

لينين

موجز ترجمة حياته



لينين

★

موجز ترجمة حياته

دار التقدم
موسكو



تعرف البشرية لينين بوصفه زعيما ومعلما الكادحي العالم بأسره ومواصلا عبقريا لتعاليم ماركس وانجلس الثورية ، ومنظما للحزب الشيوعي السوفييتي وعبقريا من عباقرة الثورة الاشتراكية ، ومؤسسا للدولة السوفييتية ، وعالما كبيرا وفي الوقت نفسه انسانا عاديا ومن ألطف الناس .

وفي هذا الكتاب الصغير حديث موجز عن المراحل الاساسية من حياة ونشاط فلاديمير أيليتش لينين وعن تعاليمه الخالدة التي تضيء للشعوب جميعا طريق المستقبل المشرق – طريق الشيوعية .

ملاحظة من دار النشر

هذه الترجمة لكتاب « لينين . موجز ترجمة حياته» مطابقة للطبعة الروسية السادسة التي اعدها معهد الماركسية - اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي (موسكو . دار نشر المطبوعات السياسية . سنة ١٩٦٩) .

الكتاب من تأليف اوبيتشكين واوستروئوخوفا وبانكراتوفا وسميرنوفا وستيليفيروفسكايا .

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١ موسكو - الاتحاد السوفييتي

طفولته ويفاعه
بدء نشاطه الثوري

ولد فلاديمير ايليتش اوليانوف (لينين) في ٢٢ ابريل (نيسان) سنة ١٨٧٠ في مدينة سيمبيرسك (المسماة الآن اوليانوفسك) الواقعة على شاطيء نهر الفولغا الروسي العظيم. وتقضت طفولته وسنوات يفاعه في مدن سيمبيرسك وقازان وسمارا (كويبيشيف الآن) في اراضي حوض نهر الفولغا الرحبة الواسعة .

وكان جده من اهالي روسيا الاصليين ، كان فلاحا قنا من حاكمية نيجني نوفغورود ثم انتقل الى حاكمية استراخان ثم الى مدينة استراخان حيث سجل في طبقة ابناء المدن الصناع ومات في فاقة شديدة .

ذاق والد لينين ، ايليا نيقولايفيتش اوليانوف ، العوز منذ نعومة اظفاره ولم يستطع تحصيل تعليمه العالي الا بمساعدة اخيه الكبير وبفضل عمله الدائب وكفاءاته الكبيرة . وبعد التخرج من جامعة قازان عمل ايليا

نيقولايفيتش معلما في المدارس الثانوية ثم مفتشا ثم مديرا للمدارس الشعبية في حاكمية سيمبيرسك. وكان من طليعيي زمانه وبذل الشيء الكثير لتعليم الشعب. وكان ينشيء مدارس في القرى ويساعد المعلمين، ويولي عناية كبيرة لتثقيف القوميات غير الروسية القاطنة فى منطقة حوض الفولغا.

أما والدة لينين ، ماريا الكسندروفنا ، فقد ولدت ونشأت لاب طبيب ، وحصلت التعليم المنزلي ، وكانت تحسن عدة لغات اجنبية وتعرف الادب جيدا وتحب الموسيقى كثيرا . وكانت ذات ارادة وشكيمة قويتين وامرأة ذكية هادئة بشوشة الوجه وقفت كل ذاتها على تربية اولادها .

وكان لاسرة اوليانوف ستة اطفال : آنا والكسندر وفلاديمير واولغا ودميتري وماريا . وقد سعى والداهم لتعليمهم مختلف العلوم وتنشئتهم مجدين شرفاء متواضعين حساسين لحاجات الشعب . ولهذا اصبح جميع اطفال اوليانوف ثوريين .

انقضت طفولة فولوديا (١) اوليانوف في كنف اسرة كبيرة يسودها الوفاق ، ونشأ هو طفلا كثير الحركة مرح الطبع ، مولعا بالالعاب الصاخبة الكثيرة الحركة ، محبا

---

(١) اسم التحبب والتدليع والتصغير من فلاديمير . المترجم .

للسباحة والقيام مع رفاقه بالنزهات الطويلة والتزحلق على الجليد .

وعندما قارب فولوديا السن الخامسة تعلم القراءة ، ونحو السن التاسعة التحق بالصف الاول من مدرسة سيمبيرسك الثانوية. وكان يتعلم برغبة عظيمة ويمتاز بكفاءاته البارزة وموقفه الجدي من التعلم ، وينتقل من صف الى صف بمكافآت من الدرجة الاولى . وكان يساعد رفاقه بطيبة خاطر ويشرح لهم الدروس الصعبة . وقد ساعد في الصفوف الاخيرة من المدرسة الثانوية طالبا من القومية التشوفاشية اسمه ن . م . اوخوتنيكوف كان يستعد لتقديم امتحانات الشهادة الثانوية .

كان فلاديمير اوليانوف يقرأ كثيرا ويعرف جيدا آثار الكتاب الروس العظام : بوشكين وليرمونتوف وغوغول وتورغينيف ونكراسوف وسالطيكوف ـ شيدرين وليون تولستوي. وكانت تشغل حيزا كبيرا من مطالعاته مؤلفات الدمقراطيين الثوريين بيلينسكي وهرتسن وتشيرنيشيفسكي ودوبروليوبوف و بيساريف ومنها مؤلفاتهم التي كانت آنذاك محظورة . وقد اولع خصوصا برواية تشيرنيشيفسكي « ما العمل ؟ » . وأكد فيما بعد ، اكثر من مرة ، على اهمية نشاط تشيرنيشيفسكي كعالم كبير وخصم لدود للحكم المطلق القيصري ونظام القنانة . وعلى

تعبير لينين ان تشيرنيشيفسكي ، حتى في ظروف الرقابة الشديدة جدا ، كان يستطيع بمقالاته ان يربي ثوريين اقحاحاً .

كانت طباع وآراء لينين الشاب تتكون بتأثير النشأة العائلية والآداب الروسية الطليعية وكذلك واقع الحياة المحيطة به . وكانت الرأسمالية تتطور بسرعة في روسيا في ذلك العهد وكانت تنشأ المصانع ذات التكنيك الآلي والعمال البالغ عددهم الالوف . ولكن كانت لا تزال هناك بقايا كثيرة من القنانة . وكان الاستغلال الرأسمالي يجتمع مع الاضطهاد القناني مما يجعل اوضاع الكادحين في المدينة والقرية شاقة للغاية . فكان ما يلقاه العمال والفلاحون من عسف الحكومة القيصرية ومظالم الاقطاعيين والرأسماليين ومن الفقر وهضم الحقوق يبعث في نفس لينين الشاب الحقد على الظالمين والتعاطف مع المظلومين . وقد برزت مشاعره الثورية منذ ان كان تلميذا في الصفوف الاخيرة من المدرسة الثانوية . وقد قال له مرة مدير المدرسة محذرا وهو يعيد له انشاءه : « عن اية طبقات مظلومة تكتب هنا ، وما دخل هذا هنا ؟ »

وفي السن السادسة عشرة قطع فولوديا صلته بالدين . وقد ذكرت كروبسكايا كيف حدثها عن ذلك قائلة ان

ايليا نيقولايفيتش اشتكى مرة لاحد جلسائه ان اولاده لا يترددون الى الكنيسة كثيرا فقال الجليس ناظرا الى فلاديمير : « اضربهم ، يجب ضربهم » . فاستاء الشاب وعزم ان يتخلص من الدين نهائيا وخرج الى الفناء راكضا وقطع سلسلة الصليب المعلقة على عنقه ورماها ارضا .

وكان لاخيه الاكبر الكسندر الذي يمتاز بالارادة القوية والمباديء الاخلاقية السامية اثر كبير فيه . كتبت آنا ايلينيشنا اوليانوفا اخت لينين في مذكراتها تقول : « كان لمثال ساشا (١) ، الاخ المحبوب جدا ، اهمية عظيمة بالنسبة لفولوديا » . فقد كان منذ طفولته يسعى للتشبه باخيه في كل شيء . وكان عندما يُسأل ماذا سيفعل في هذه الحال او تلك ، يجيب دائما : « مثلما يفعل ساشا » . وكان الكسندر يتعلم في جامعة بطرسبورغ وكان يمكن ان يصبح عالما كبيرا . ولكنه اختار النضال الثوري ضد الحكم المطلق القيصري وفي سبيل حياة افضل للشعب هدفا رئيسيا في الحياة . وكان في آرائه في مرحلة انتقال من معتقدات جمعية « ارادة

---

(١) اسم التحبب والتصغير من الكسندر . المترجم .

الشعب» (١) الى الماركسية. وقد سمع فلاديمير عن المطبوعات الماركسية لاول مرة من اخيه الاكبر .

قدر لفولوديا ان يمر بمحن شديدة الوطأة وهو في شرخ الشباب . ففي سنة ١٨٨٦ توفي والده فجأة . ولم تكد الاسرة تعود الى رشدها من اثر الصدمة حتى جاءت صدمة اخرى اذ اعتقل الكسندر اوليانوف في بطرسبورغ في مارس (آذار) ١٨٨٧ لاشتراكه في اعداد خطة لاغتيال القيصر الكسندر الثالث ، ثم اعدم في مايو (ايار) من السنة نفسها في قلعة شليسيلبورغ . كتبت آنا اوليانوفا : « لقد مات الكسندر ايليتش بطلا واضاء دمه بوهج الحريق الثوري طريق اخيه فلاديمير السائر على اثره » .

لقد هز فلاديمير اعدام اخيه وقوى فيه العزم على وقف حياته للنضال الثوري . ومع انه ابدى احترامه لجرأة وتفاني اخيه ورفاقه ولكنه رفض الطريق الذي اختاروه . فقد كان اوليانوف الشاب يعتبر النضال ضد الحكم المطلق بواسطة اغتيال هذا او ذاك من ممثلي السلطة القيصرية واغتيال القيصر نفسه اسلوبا خاطئا لا

---

(١) « ارادة الشعب » – جمعية سرية اسسها الشعبيون في روسيا سنة ١٨٧٩ للنضال الثوري ضد الحكم المطلق .

يوصل الى الهدف . قال : « كلا ، سنسير بغير هذا الطريق . بغير هذا الطريق يجب السير » .

وبدأ فلاديمير اوليانوف يبحث عن طريق آخر لتحرير الكادحين . ولما كان يعد نفسه للنشاط الثوري فقد راح يهتم خصوصا بالعلوم الاجتماعية ويسعى لدراستها دراسة عميقة . وبعد ان تخرج من المدرسة الثانوية بمدالية ذهبية التحق في اغسطس (آب) ١٨٨٧ بكلية الحقوق في جامعة قازان .

واقام اوليانوف الشاب في الجامعة صلات مع الطلاب الطليعيين ذوي الميول الثورية. وفصل من الجامعة واعتقل في بداية ديسمبر (كانون الاول) ١٨٨٧ لاشتراكه النشيط في اجتماع طلابي . وقد ذكر فلاديمير ايليتش فيما بعد حديثا جرى بينه وبين مفوض البوليس الذي رافقه الى السجن . قال له المفوض بلهجة تعليمية : « ما لك تثور وتتمرد ايها الشاب . ان امامك جدارا » . فاجاب اوليانوف : « جدار ، نعم ، ولكنه متعفن ، يكفي ان تدفعه باصبعك حتى ينهار » .

هكذا انخرط وهو شاب في السابعة عشرة من عمره في طريق النضال الثوري ضد الحكم المطلق القيصري .

ونفي فلاديمير ايليتش الى قرية كوكوشكينو من حاكمية قازان (تسمى القرية الآن باسم لينينو) . ومنذ

ذلك الحين بدأ البوليس يتتبع خطاه ويراقبه . وعندما كان في هذه القرية الصغيرة المجهولة قرأ كثيرا متمما تحصيله بنفسه . قال فيما بعد : « يبدو لي انه لم اقرأ فيما بعد في حياتي ، حتى في سجن بطرسبورغ وفي سيبيريا ، مقدار ما قرأت في سنة من مدة نفيي الى القرية من قازان . لقد كانت قراءة متلاحقة من الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة » .

وبعد سنة سمح له بالعودة الى قازان ، فحاول من جديد الالتحاق بالجامعة وطلب الاذن بالذهاب الى الخارج لمتابعة التحصيل . ولكن السلطات القيصرية رفضت اذ جعلت اسمه في قائمة « الاشخاص غير المأمونين » .

وكانت في قازان آنذاك عدة حلقات ثورية سرية نظمها ن . ي. فيدوسييف احد اوائل الثوريين الماركسيين الروس . فتعرف فلاديمير ايليتش على اعضائها وانتسب الى احداها .

وراح فلاديمير اوليانوف يدرس دراسة عميقة الماركسية ، اي التعاليم الثورية المسماة كذلك باسم مؤسسها كارل ماركس الذي وقف هو وصديقه فريدريك انجلس كل حياتهما على قضية تحرير الطبقة العاملة وجميع الكادحين من سلطة رأس المال . وانشآ في

اواسط القرن التاسع عشر علم قوانين تطور المجتمع ودلا على الطريق المؤدي الى تحويل المجتمع تحويلا ثوريا .

وبرهن معلما البروليتاريا العظيمان برهانا علميا على ان النظام الاجتماعي الذي يثري فيه الرأسماليون ويغتنون على حساب الكادحين لن يبقى الى الابد وانه لتخليص البشرية من النير الرأسمالي لا بد من قوة قادرة على اسقاط سلطة البرجوازية وبناء مجتمع جديد ، اشتراكي . وهذه القوة هي البروليتاريا ، اي طبقة العمال المأجورين ، فالبروليتاريا هي اكثر طبقات المجتمع البرجوازي تعرضا للظلم واكثرها تنظيما وثورية . وقد فسر لينين فيما بعد كنه الماركسية بقوله : « ان مأثرة ماركس وانجلس العظيمة ، ذات الاهمية التاريخية العالمية ، هي كونهما بيّنا لبروليتاريي جميع البلدان دورهم ، ومهمتهم ، ورسالتهم ، واعني بها : ان ينهضوا اول الناهضين الى النضال الثوري ضد الرأسمال ، ان يحشدوا حولهم ، في هذا النضال ، جميع الشغيلة وجميع المستثمرين » .

وكان ماركس وانجلس يقولان ان النضال بين البروليتاريا والرأسماليين سيؤدي في آخر المطاف الى الثورة الاشتراكية ، وان الطبقة العاملة ستسقط سلطة الرأسماليين

وستقيم ، لمصلحة الشعب الكادح ، دكتاتورية البروليتاريا ، اي سلطتها هي .

ان مسألة ديكتاتورية البروليتاريا هي المسألة الرئيسية في تعاليم الماركسية . فالعمال بحاجة الى ديكتاتورية البروليتاريا لقمع مقاومة الطبقات المستغلة ، اي الرأسماليين والاقطاعيين ، واجتذاب الفلاحين وبناء المجتمع الجديد ، الاشتراكي . ولتحقيق هذه الرسالة التاريخية يجب ان يكون للبروليتاريا حزبها الثوري الذي يسير على هدى النظرية العلمية فيدل الطبقة العاملة بشكل صحيح على هدفها ويترأس نضالها من اجل الاشتراكية .

في الوقت الذي انضم فيه لينين الى الحركة الثورية كانت الايديولوجية الماركسية قد سيطرت على الحركة العمالية في اوربا الغربية وبدأت تنتشر في روسيا . وكان اول داعية بارز للماركسية في روسيا غ . ف . بليخانوف الذي اضطر هو ورفاقه الى الهرب من ملاحقات السلطات القيصرية الى الخارج واسسوا في جنيف (سويسرا) سنة ١٨٨٣ اول جماعة ماركسية روسية باسم « تحرير العمل » . وترجم افرادها كتب ماركس وانجلس الى اللغة الروسية وارسلوها في السر الى روسيا . وفي الثمانينيات ظهرت في روسيا حلقات وجماعات ماركسية .



اسرة اوليانوف . صورة فوتوغرافية من سنة ١٨٧٩



في العطلة الصيفية . رسم الفنان جوكوف

رأى اوليانوف الشاب في الماركسية ذلك السلاح الفكري الذي ستستطيع البروليتاريا الروسية ، اذا امتلكته ، ان تتحرر وتبني النظام الاشتراكي . وقد درس بعمق « رأس المال » اكبر انتاج لماركس . وقالت آنا ايليتشنا فيما بعد انه كان يحدثها بحرارة واندفاع عظيمين « عن اسس نظرية ماركس وعن تلك الافق التي تفتحها . . . وكان يتدفق منه ايمان قوى تنتقل عدواه الى محدثيه . كان منذ ذلك الحين يستطيع اقناع واجتذاب الناس بكلامه » . واصبح فلاديمير اوليانوف ماركسيا قوي الايمان وداعية شديد الحماسة لافكار الاشتراكية العلمية العظيمة .

وفي مايو (ايار) ١٨٨٩ انتقل فلاديمير ايليتش مع افراد الاسرة من قازان الى حاكمية سمارا واقام فيها اربع سنين ونصف السنة . وكانت الاسرة تقيم صيفا في ضيعة قريبة من قرية آلاكايفكا وتنتقل الى سمارا في الخريف . وكانت تلك الفترة فترة دراسة دائبة متواصلة . فقد استمر فلاديمير ايليتش يدرس مؤلفات ماركس وانجلس بهمة شديدة ويقضي وقتا كبيرا في تعلم اللغات الاجنبية وخصوصا الالمانية . وقد ترجم في تلك السنين من الالمانية الى الروسية « بيان الحزب الشيوعي » ،احد اهم اعمال ماركس وانجلس البرنامجية . وكانت مخطوطة

الترجمة تقرأ في حلقات الشباب الثوريين. وقام لينين هنا ايضا ، بما عهد فيه من عزيمة وايمان ، بنشر التعاليم الماركسية .

عندما انتقل لينين الى سمارا كان الشباب ذوو الميول الثورية ، وبخاصة منهم الطلاب ، واقعين تحت نفوذ حركة الشعبيين التي كانت لا تزال مسيطرة على الحركة الثورية في روسيا . فماذا كانت آراء الشعبيين ؟ وكيف كانوا يتصورون تطور روسيا وكيف كانوا يناضلون ضد القيصرية ؟

كان الشعبيون يقولون ان الرأسمالية لن تتطور في روسيا وان روسيا ستسير في طريق خاص يميزها عن البلدان الاخرى . وكانوا ينكرون دور الطبقة العاملة التاريخي معتبرين الفلاحين هم القوة الثورية الاساسية ومحاولين استنهاضهم الى النضال ضد الحكم المطلق . ولهذا الغرض كان المثقفون الثوريون يذهبون الى القرية ، او كما كانوا يقولون آنذاك « الى الشعب » . ومن هنا تسميتهم بالشعبيين . ولكن الفلاحين لم يكونوا يصغون بثقة الى مواعظهم .

وكان الشعبيون يحلون الارهاب محلا كبيرا في النضال ضد الحكم المطلق القيصري آملين ان يخيفوا الحكم المطلق بالاغتيالات الفردية لممثلي السلطة

القيصرية وان يجبروه على تغيير سياسته . وهكذا كانوا يعتقدون ان الافراد وليس الشعب هم القادرون على اسقاط القيصرية . ولكن ذلك كان ضلالا بينا . فاغتيال كبار الموظفين القيصريين وحتى القيصر نفسه لم يكن ليغير الانظمة القائمة . وكان النظام القيصري يبقى على حاله ، ويعين في مكان الوزراء المقتولين خدم جدد مخلصون كسابقيهم للقيصر ، اما الشعبيون فكانوا يقمعون بشدة — يسجنون ويعلقون على حبال المشانق ويرسلون الى الاشغال الشاقة . وكانت بطولة الشعبيين وتفانيهم يعودان عليهم بالشهرة كثوريين ويساعدان في ازدياد نفوذهم بين المثقفين والعمال الطليعيين . ومع ان لينين كان يحترم شعبيي السبعينيات احتراما شديدا لخبرتهم الثورية وجرأتهم وتمرسهم ، الا انه كان في الوقت نفسه ينتقد آراءهم واعمالهم الخاطئة .

وبعد ان سحقت الحكومة القيصرية منظمة « ارادة الشعب » السرية تخلى معظم الشعبيين عن النضال الثوري ، واصبحوا يروجون لمصالحة الحكم المطلق . وبخلاف الشعبيين السابقين ، الثوريين ، المناضلين ضد القيصرية ، كان شعبيو التسعينيات لا يهاجمون الحكم المطلق بل حتى كانوا يتزلفون له . وقد اصبح يسمى هؤلاء الشعبيون بالليبراليين . وقد ناضل لينين بحزم ضد هؤلاء الشعبيين الذين فقدوا كل ثورية سواء في آرائهم او في اعمالهم .

وقد عارض الشعبيين امام الملا لاول مرة عندما كان في سمارا . وكان في المناقشات والاحاديث الحامية يبرهن على تهافت نظريتهم وتناقضها مع الحياة .

ما زال فلاديمير ايليتش يعمل لتثقيف نفسه بكل مثابرة ودأب . وقد اختار لنفسه في آلاكايفكا في الصيف بقعة ظليلة في حديقة كثيفة من اشجار الزيزفون كان فيها مقعد ومائدة . قالت آنا ايليتشنا : « كان يذهب الى هناك حاملا كتبه بعد شاي الصباح في موعد دقيق وكأنما ينتظره استاذ قاس ، وكان يقضي هناك لوحده كل الوقت حتى موعد الغداء » . وكان فلاديمير يحسن الجمع بين الدراسة والاستراحة : كان مولعا بالالعاب الجمبازية والنزهات والموسيقى والغناء واللعب بالشطرنج . وكان يحب المزاح والضحك كثيرا وتنتقل عدوى مرحه وحيوية شبابه الى الجميع .

وقد درس فلاديمير ايليتش لوحده في سنة ونصف كل برنامج الجامعة الموزع على اربع سنين . وفي سنة ١٨٩١ قدم امتحانات كلية الحقوق في جامعة بطرسبورغ بنجاح باهر ونال شهادة من الدرجة الاولى . ومنذ سنة ١٨٩٢ اصبح يمارس المحاماة في محكمة سمارا الاقليمية ، وكان يحامي ، في الغالب ، عن الفلاحين

الفقراء. ولكن ليست المحامات كانت تشغل بال لينين . فان كل طاقته وقواه كانت موجهة نحو دراسة الماركسية ونحو الاستعداد للعمل الثوري الفعال .

وفي سنة ١٨٩٢ نظم لينين في سمارا اول حلقة ماركسية كان اعضاؤها يدرسون مؤلفات ماركس وانجلس وينشرون الماركسية بنشاط . وكانت الحلقة تضم شبابا ذوي ميول ثورية هم آ . ب . سكلارينكو وإ . خ . لالايانتس وم . أ . سيميونوف وإ . آ . كوزنتسوف وم . إ . ليبيديفا وغيرهم . ومنذ ذلك الحين كان لينين يثير دهشة رفاقه في الفكر بعمق معرفته وقوة ايمانه وقدرته على اجتذاب الانصار . كتب إ . خ . لالايانتس احد اعضاء الحلقة في مذكراته قائلا : « في هذا الرجل البالغ من عمره ٢٣ سنة كانت تجتمع بشكل مدهش جدا البساطة والحساسية والمرح والحيوية من جهة والوقار وعمق المعرفة وقوة المنطق ووضوح ودقة الاحكام والتعريفات من الجهة الاخرى » .

كان فلاديمير ايليتش يعاين مباشرة حياة القرية الروسية . وكثيرا ما كان يتحادث مع الفلاحين ويسألهم عن ظروف معيشتهم ويصغي باهتمام الى احاديثهم . وفي الوقت نفسه كان يدرس بدقة الاعمال الاقتصادية والاحصائيات عن اوضاع الفلاحين . وقد كتب في سمارا مقالة «تطورات اقتصادية جديدة في حياة الفلاحين »

وهي اول عمل له وصل الينا . وفي هذه المقالة بين تغلغل الرأسمالية في زراعة روسيا وانقسام الفلاحين الى فقراء ووسط وكولاك (اغنياء) .

ولبحث القضايا التي تشغل بال اعضاء الحلقة كان لينين كثيرا ما يمتطي مع رفاقه ، لاجل سرية العمل ، متن زورق يذهب بهم على نهر الفولغا . وكان يتذكر بحنان ، بعد كثير من السنين ، تلك الجولات الممتعة التي كانت بالاضافة الى ذلك استراحة ممتازة .

لم يكن نشاط لينين يقتصر على سمارا بل لقد اقام الصلات مع ماركسيي بعض مدن منطقة الفولغا : قازان وساراتوف وصيزران وغيرها .

وكانت للفترة التي قضاها لينين في سمارا اهمية كبيرة بالنسبة لنشاطه اللاحق . فقد كانت فترة تجميع القوى من اجل الخروج الى طريق النضال الثوري الواسعة . وتكونت هناك وتبلورت نهائيا معتقداته الماركسية الشيوعية . واصبح لينين متابعا وفيا لقضية وتعاليم ماركس وانجلس العظيمة . وكانت سمارا ، المدينة الاقليمية ، ضيقة على نشاطه . فكان يتوق الى مركز صناعي ضخم حيث تتركز جماهير كبيرة من البروليتاريا وحيث تتوفر امكانيات اكثر للقيام بالعمل الثوري . وهكذا سافر الى بطرسبورغ في اغسطس (آب) ١٨٩٣ .

كانت بطرسبورغ في ذلك الوقت عاصمة لروسيا واحدى اهم مراكز الحركة العمالية فيها . وكانت فيها حلقات سرية يدرس اعضاؤها الماركسية وينشرون تعاليم ماركس وانجلس بين العمال الطليعيين . فانتسب لينين لاحدى هذه الحلقات. قال غ . م. كرجيجانوفسكي احد اقدم اعضاء الحزب في مذكراته : « واذا برجل غير عادي يظهر في سهولنا الشمالية ، رجل يعرف خيرا مما يعرف اي شخص آخر مدى ما للسلاح الذي صنعته عبقرية ماركس من قوة هائلة ، رجل كان الماركسي عنده ثوريا قبل اي شيء آخر » .

وانصرف لينين الى العمل الثوري بعزيمة وحماسة عظيمتين . واهلته معرفته العميقة للماركسية ، وقدرته على تطبيقها على ظروف روسيا ، وايمانه الراسخ في تعذر قهر القضية العمالية ، وكفاءاته التنظيمية البارزة ، — اهله كل هذا لان يكون قائدا لماركسيي بطرسبورغ متمتعا بتقديرهم واحترامهم .

وافق نشاط لينين في بطرسبورغ بداية نهوض الحركة العمالية الجماهيرية. ففي التسعينيات من القرن التاسع عشر كان يجري في روسيا نهوض صناعي : كانت

المصانع الجديدة تنشأ والطبقة العاملة تنمو بسرعة وتنهض بحزم متزايد للنضال ضد الرأسماليين . وكانت البروليتاريا بحاجة الى حزب ثورى عمالي مستقل لكي تنهض برسالتها التاريخية . فطرح لينين امام ماركسيي بطرسبورغ مهمة انشاء هذا الحزب .

وكانت حركة الشعبيين الليبراليين العائق الرئيسي في طريق تثبيت دعائم الماركسية وانشاء الحزب العمالي .

فاستمر لينين في بطرسبورغ على محاربة الشعبيين الليبراليين الذين كانوا في كتبهم ومجلاتهم يهاجمون الماركسية بضراوة مسمين انفسهم باصدقاء الشعب . فكتب فلاديمير ايليتش في صيف سنة ١٨٩٤ كتاب « من هم «اصدقاء الشعب» وكيف يحاربون الاشتراكيين - الدمقراطيين ؟ » . وفي هذا الكتاب انتقد آراء الشعبيين النظرية انتقادا شاملا وافيا وبرهن على خطلها وضررها . وابان ان حركة الشعبيين قد تفسخت وتحولت من حركة ثورية الى حركة ليبيرالية : فالآن اصبح الشعبيون يعرضون برنامج اصلاحات صغيرة وتخلوا تماما عن النضال الثوري ضد القيصرية . وهتك لينين الحجاب عن الشعبيين الليبيراليين بوصفهم اصدقاء مزيفين للشعب يعبرون في الواقع عن مصالح الكولاك (الفلاحين الاغنياء) . وكتب يقول ان الممثلين الفعليين للكادحين والمدافعين

الحقيقيين عنهم هم الماركسيون لا الشعبيون . ودافع لينين في كتابه عن التعاليم الماركسية وشرحها وبين من جميع الجوانت اهميتها لتحويل روسيا تحويلا ثوريا . وكان اول ماركسي روسي اثبت بالحجج العلمية الدور التاريخي للطبقة العاملة في روسيا بوصفها قوة ثورية قائدة طليعية للمجتمع . واشار لينين الى ان الطبقة العاملة هي وحدها التي ستستطيع ان تسير في طليعة جميع الكادحين وان تستنهضهم لاسقاط الحكم المطلق والرأسمالية واقامة سلطتهم هم ، سلطة العمال .

وطور فلاديمير ايليتش فكرة عظيمة ، هي فكرة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين ، هذا التحالف الذي بدونه لا يمكن اسقاط القيصرية والاقطاعية والبرجوازية واقامة سلطة الطبقة العاملة وانشاء المجتمع الجديد ، الشيوعي . وقد دافع عن هذه الفكرة وطورها طول حياته وظل طول السنين الكثيرة التالية يناضل بلا كلل في سبيل تحقيقها . وكان لينين يشير بلا كلل الى ضرورة توحيد الحلقات الماركسية المتفرقة في حزب ثوري واحد عليه ان يقود الحركة العمالية .

طبع كتاب « من هم « اصدقاء الشعب » وكيف يحاربون الاشتراكيين - الدمقراطيين ؟ » ووزع سرا بكمية صغيرة من النسخ . ولما كان ماركسيو بطرسبورغ لا

يملكون امكانية طبع الكتاب في المطبعة فقد نسخوه على الجيلاتين وتلقفته الايدي باسم « الدفاتر الصفراء » واثار جدالا حادا واصداء قوية. وقرئ في بطرسبورغ وموسكو ونيجني نوفغورود وفلاديمير وكييف وريغا وغيرها من المدن. واطلع عليه ايضا اعضاء جماعة « تحرير العمل ».

وكانت اهمية الكتاب عظيمة . فقد لعب دورا بارزا في النضال ضد حركة الشعبيين ودل الثوريين الروس والطبقة العاملة الروسية على طريق النضال والنصر الصحيحة الوحيدة . كتب س . إ . ميتسكيفيتش احد رجال الحركة الثورية في مذكراته قائلا : « . . . بعد صدور هذا الكتاب زادت شعبية فلاديمير ايليتش ومكانته بين الماركسيين . وعرف الاتجاه الماركسي الروسي الناشئ انه لقي في شخصه قوة سياسية ونظرية عظيمة » .

كان على لينين ان يناضل نضالا شديدا لا ضد الشعبيين فحسب بل ضد من يسمون بـ « الماركسيين الشرعيين » ايضا . وكان هؤلاء جماعة من المثقفين البرجوازيين يكتبون عن الماركسية في جرائد ومجلات شرعية ، اي مسموح لها بالصدور من قبل الحكومة القيصرية . وكانوا في سعيهم الى تكييف الماركسية مع مصالح البرجوازية يرفضون النضال ضد الانظمة الرأسمالية وينبذون المحتوى الثوري للماركسية الذي هو

تعاليم عن النضال الطبقي والثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا . ولكن بما ان « الماركسيين الشرعيين » كانوا يهاجمون الشعبيين فقد رأى لينين من الجائز عقد اتفاقات موقتة معهم . وكان في الوقت نفسه ينتقد آراء اعداء الماركسية المقنعين هؤلاء نقدا حادا ويكشف عن معدنهم الليبيرالي البرجوازي ، ويعلم الماركسيين الذود عن نقاوة التعاليم الثورية ومكافحة كل مظاهر تشويهها وتحريفها .

عكف لينين بحماسة على بناء الحزب الماركسي الثوري . فاقام الصلات مع العمال الطليعيين في كبريات المصانع : ف . آ . شيلغونوف (من ترسانة البلطيق) وا . ف . بابوشكين (من ترسانة ومصنع ميكانيك نيفا) ون . ي . ميركولوف (من مصنع الكسندروفسكي الميكانيكي) وكثيرين غيرهم . وكان هؤلاء ممثلين مرموقين للطبقة العاملة الروسية بنوا الحزب بقيادة لينين . وكان لينين ينمّي وينشئ بعناية كادرات العمال الثوريين ، منظمي الحزب البروليتاري .

كان لينين يقود الحلقات العمالية في نيفسكايا زاستافا وناحيتي بيتربورغسكايا وفيبورغسكايا . وكانت الدروس تجري في منازل العمال . فحلقة عمال مصنع سيميانيكوفسكي مثلا كانت تجتمع في بيت ا . ف . بابوشكين الذي اصبح فيما بعد شخصية بارزة من

شخصيات الحركة العمالية الروسية سماه لينين بمفخرة الحزب وبطل الشعب . كتب لينين يقول : « ان كل ما انتزع من الحكم المطلق القيصري انتزعته ، حصرا ، الطبقة العاملة التي يقودها اناس مثل بابوشكين » .

كان فلاديمير ايليتش يحسن شرح اعقد المسائل من تعاليم ماركس ببساطة وبشكل مفهوم . كان يسعى لجعل التعاليم الماركسية قريبة الى مدارك العمال ومفهومة لديهم ، وهذا بربطها بمسائل حياة البلاد اليومية وحاجات الجماهير العاملة .

يقول بابوشكين في ذكرياته عن الدروس التي كانت تجري في حلقة لينين : « كانت محاضراتنا حية جدا وممتعة . . . وكنا جميعا نخرج منشرحين من هذه المحاضرات ونبدي دائما اعجابنا بعقل محاضرنا » .

تعرف فلاديمير ايليتش سنة ١٨٩٤ على ناديجدا قسطنطينوفنا كروبسكايا المعلمة في مدرسة الاحد المسائية للعمال في نيفسكايا زاستافا . وربطتهما القضية المشتركة باواصر الصداقة . وانتسب كثير من تلاميذ كروبسكايا الى الحلقات التي يقودها لينين .

وكان العمال يحبون فلاديمير ايليتش حبا جما . فقد كان بالنسبة لهم انسانا قريبا الى قلوبهم متحسسا لحاجاتهم . وكانت دروسه تستهوي المزيد والمزيد من

الاعضاء . وكان يدرس بدقة ظروف حياة العمال وعملهم ويتمعن في كل ما يشغل بالهم من قضايا . قالت كروبسكايا : « كان فلاديمير ايليتش يهتم بكل صغيرة تعطي صورة عن حياة العمال ويسعى على اساس الخطوط الصغيرة المتفرقة ان يحيط بحياة العمال كلها وان يجد ما يمكن الامساك به لكي يمارس الدعاية الثورية مع العامل بشكل افضل » . وكان يبين بالامثلة المفهومة كيف يجب تطبيق الماركسية في الحياة وباية وسائل يجب النضال ضد الرأسماليين والحكم المطلق القيصري .

وقد نما لينين في بطرسبورغ بين البروليتاريين الاصليين كقائد للطبقة العاملة ، كمنظم وزعيم لها .

كان ماركسيو بطرسبورغ يقومون بالدعاية في حلقات صغيرة . وكان لينين اول من طرح مهمة الانتقال من نشر الماركسية في وسط ضيق من العمال الطليعيين الى التحريك في الجماهير الواسعة . ولعبت دورا كبيرا في هذا ، كتيبات ومنشورات لينين . قال فلاديمير ايليتش : « لم اتمنّ شيئا ولم احلم كثيرا بشيءٌ مثلما تمنيت وحلمت بامكان الكتابة للعمال » . وكانت الكتيبات والمنشورات التي كتبها مفهومة لمدارك ابعد القراء تهيئة ذهنية . وفيها وصف اوضاع العمال البائسة واستغلال الرأسماليين القاسي لهم وفقر وقهر الجماهير

الكادحة ، وشرح طرق نضال الطبقة العاملة من اجل التحرر . ولمزيد من الوضوح كان لينين كثيرا ما يستخدم الادب . ففي كتيّب « قانون المصانع الجديد » استشهد بحكاية كريلوف المشهورة « أسد في الصيد » . وكتب ان اللوائح الجديدة عن العمل الاضافي تذكرنا كيف كان الاسد يتقاسم الفريسة بين رفاقه في الصيد : « الحصة الاولى يأخذها لنفسه بالحق ، والحصة الثانية يأخذها لانه ملك الوحوش ، والحصة الثالثة لانه اقوى الحيوانات جميعا ، اما الحصة الرابعة فمن يمد يده اليها سيموت حالا » . وهكذا يفعل الرأسماليون ، اذ يستغلون العمال وينهبونهم بلا رحمة . وكان التحريك يساعد في انتشار الحركة الاضرابية الواسعة .

وفي ربيع سنة ١٨٩٥ سافر لينين الى الخارج ، بتفويض من ماركسيي بطرسبورغ ، للاتصال بجماعة « تحرير العمل » والاطلاع على الحركة العمالية في اوربا الغربية .

وتقابل في سويسرا بعضوي جماعة « تحرير العمل » غ . ف . بليخانوف وب . ب .. آكسلرود واتفق معهما على اصدار مجموعة من المقالات بصورة مشتركة باسم « العامل » . وكتب بليخانوف عن الانطباع القوي الذي تركه فيه لينين وقال في احدى رسائله انه في مدة وجوده

الطويلة في الخارج تقابل مع اناس كثيرين من روسيا ولكنه لم يعلق على احد من الآمال مثلما علقه على اوليانوف الشاب الذي اعجبه بذكائه ونشاطه وثقته الراسخة بانتصار الثورة .

ومن سويسرا سافر لينين الى باريس وبرلين . وهناك كان يتردد الى اجتماعات العمال الفرنسيين والالمان ويدرس حياتهم ومعيشتهم . وتعرف في باريس على بول لافارغ الشخصية البارزة في الحركة العمالية الثورية وصهر ماركس . وكان يتمنى كثيرا ان يقابل فريدريك انجلس معلم البروليتاريا العالمية وزعيمها الكبير ولكن هذا كان مريضا مرضا شديدا ولم تتيسر للينين مقابلته .

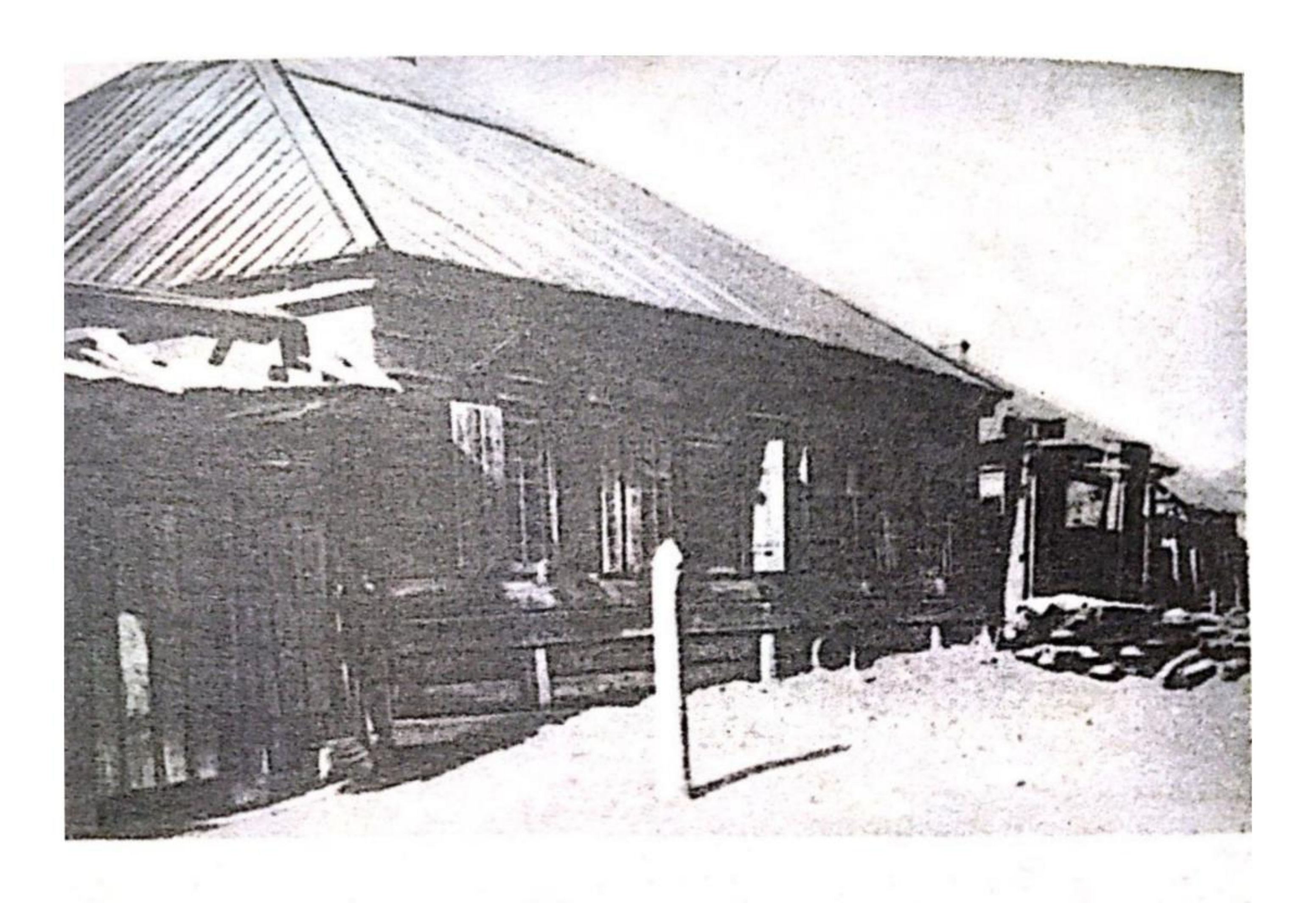
كان لينين يخصص كل اوقات فراغه لدراسة الماركسية . يقرأ في المكتبات العامة المطبوعات التي لا يمكن ان تطالها اليد في روسيا .

ولدى العودة من الخارج زار لينين ، قبل ان يذهب الى بطرسبورغ ، فيلنو وموسكو واوريخوفو - زويفو حيث اتصل بالاشتراكيين - الدمقراطيين (كما كان يسمى آنذاك الماركسيون الثوريون) فيها . وجلب معه الى روسيا سرا ، في حقيبة ذات قعرين ، مطبوعات ماركسية وزعت في كثير من المدن . قالت آنا ايلينيتشنا في مذكراتها : « . . . عند التفتيش الجمركي قلبت حقيبة

فلاديمير ايليتش رأسا على عقب ونقروا فضلا عن ذلك على قعرها . ولما كان فلاديمير ايليتش يعرف ان موظفي الحدود المجربين يفتشون بهذه الطريقة عما اذا كان في الحقيبة قعر ثان فقد ايقن ، كما كان يقول لنا ، ان الامر انفضح ، ولذلك فعندما ترك بسلام وسلم الحقيبة في بطرسبورغ حيث وزعت محتوياتها ايضا بسلام ، امتلأت نفسه غبطة وبهذه النفس المغتبطة جاء الينا فى موسكو. . . »

وفي بداية سبتمبر (ايلول) ١٨٩٥ عاد لينين الى بطرسبورغ وانخرط في عزيمة اشد بالنشاط الثوري وكان كثيرا ما يعقد الاجتماعات ويتحادث مع العمال . وحتى مراقبة البوليس المشددة لم تحل دونه ودون ذلك . كان يحسن الافلات من رقابة الامن العام القيصري ويخدع بمهارة كل من يتتبع خطاه من رجال المباحث ويكثر من تغيير مكان اقامته تفاديا للاعتقال .

وفي خريف سنة ١٨٩٥ وحد لينين حلقات بطرسبورغ الماركسية في منظمة سياسية واحدة اطلق عليها فيما بعد اسم « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » . وكانت تقود « اتحاد النضال » مجموعة مركزية على رأسها لينين . وضمت المنظمة آ . آ . فانييف وب . ك . زابوروجيتس وغ . م . كرجيجانوفسكي ون . ك .



البيت الذي اقام فيه لينين اثناء منفاه في قرية شوشنسكويه .
صورة فوتوغرافية



ناديجدا كروبسكايا. صورة فوتوغرافية من سنة ١٨٩٥

كروبسكايا ول . مارتوف وآ . ن . بوتريسوف وس . ا . رادتشينكو وف . ف . ستاركوف وغيرهم .

كانت اساس « اتحاد النضال » حلقات العمال في المصانع التي تقودها جماعات منطقية تقوم بوظائف اللجان المنطقية . وكان لينين يربي اعضاء « الاتحاد » بروح الانضباط الشديد والخضوع للمركز الاعلى وتنفيذ توجيهاته بدقة . وجعلت جميع حلقات المنظمة ملزمة بتقديم الحساب عن اعمالها .

كان « اتحاد النضال » اول نواة للحزب الماركسي الثوري في روسيا ، الامر الذي يضفى عليه اهميته التاريخية العظيمة . وكان يعتمد على الحركة العمالية الجماهيرية ويقود نضال البروليتاريا الطبقي . ولاول مرة في روسيا اصبح « اتحاد النضال » يحقق الجمع بين افكار الاشتراكية العلمية والحركة العمالية .

قبل اواسط التسعينيات كانت الحلقات الماركسية المتفرقة في روسيا ضعيفة الصلة بالحركة العمالية ولا تمارس الدعاية للماركسية الا بين العمال الطليعيين دون ان تقوم بالعمل السياسي بين الجماهير . اما « اتحاد النضال » اللينيني فقد باشر التحريك السياسي الجماهيري وبدأ يقود النضال الاضرابي وكان يصدر المنشورات التي ترفع من وعي العمال الثوري . وقد طبعت

في مدة وجيزة من الزمن عشرات من المنشورات التي تفضح عسف اصحاب المصانع وتشرح كيف يجب على العمال ان يناضلوا من اجل مصالحهم وما هي المطالب التي يجب ان يقدموها للرأسماليين والحكومة القيصرية .

وبقيادة « اتحاد النضال » جرى في صيف ١٨٩٦ اضراب عمال نسيج بطرسبورغ الشهير الذي اشترك فيه اكثر من ٣٠ الف عامل وعاملة . ورفع الاضراب مكانة الاشتراكيين - الدمقراطيين في بطرسبورغ . وبفضل قيادتهم اكتسب الاضراب مدى واسعا واهمية سياسية كبيرة. وانتشر نفود « اتحاد النضال » بعيدا خارج نطاق بطرسبورغ . واقتداء به اتحدت الحلقات العمالية في اتحادات ومجموعات اشتراكية - دمقراطية في موسكو وكييف وفلاديمير وياروسلافل وايفانوفو - فوزنيسينسك وغيرها من مدن وحاكميات روسيا . وحفز نشاط « اتحاد النضال » تطور الحركة الثورية في كل روسيا ويسّر بذلك انشاء حزب الطبقة العاملة الماركسي في بلادنا .

كانت الحكومة القيصرية تتتبع نشاط «اتحاد النضال» ثم انزلت به ضربة شديدة . ففي بداية ديسمبر (كانون الاول) ١٨٩٥ اعتقل قسم كبير من رجاله وعلى رأسهم لينين. كما استولى البوليس على العدد الاول من جريدة «رابوتشييه ديلو» («القضية العمالية») الذي كانوا قد اعدوه

للطبع . وهكذا انتهت محاولة الاشتراكيين - الدمقراطيين الروس لانشاء جريدة عمالية سرية .

زج بلينين في سجن بطرسبورغ وقضى في زنزانته اكثر من ١٤ شهرا ولكنه لم يكف وهو وراء القضبان عن نشاطه الثوري فقد عثر على طرق واساليب لقيادة « اتحاد النضال » واقام الاتصال مع الرفاق الذين بقوا احرارا وكان يكتب الرسائل والمنشورات والكتيبات ويرسلها الى خارج السجن . وفي السجن كتب المشروع الاول لبرنامج الحزب الماركسي وتوضيحاته .

كان لينين يكتب الوثائق الثورية بالحليب بين اسطر الكتب والمجلات بحيث لا تظهر الكتابة بوضوح كاف الا بعد تسخينها على النار . وكثيرا ما كان الثوريون يتراسلون بهذه الطريقة . وكان لينين يصنع من الخبز « محابر » صغيرة يملأها بالحليب وعندما يأتي الحارس يبلعها بسرعة . وقد قال مازحا في احدى رسائله : « بلعت اليوم ستة محابر » .

وكان لينين يتراسل ايضا مع رفاقه المسجونين مستخدما في ذلك كتب مكتبة السجن : كان يشير بالنقاط الى الاحرف التي اذا جمعت فيما بينها امكن الحصول على الكلمات الضرورية . وكانت رسائله تفوح بعبير الحيوية والنشاط والايمان بانتصار الطبقة العاملة . وكانت

العناية بالرفاق تظهر في كل رسالة يرسلها الى خارج السجن وكان دائما يطلب شيئا : اما الحصول على ملابس دافئة لاحد او التفتيش عن « خطيبة » تستطيع ان تتردد بهذه الصفة الى احد الرفاق الذي لا يتردد اليه احد .

وفي السجن بدأ لينين العمل في كتابة بحث كبير هو « تطور الرأسمالية في روسيا » . وقد درس لجمع المواد مئات الكتب والمجلات وكان يرسل في رسائله الى اهله قوائم بالمطبوعات الضرورية له . وكانت اخته الكبرى آنا ايليينتشنا هي التي تولت امر ايصالها اليه .

وعين لينين لنفسه نظاما قاسيا بحيث كان يومه كله مليئا بالعمل. اما قبل النوم فكان يمارس الرياضة البدنية بانتظام. قال فيما بعد : « اجهد احيانا بحيث اشعر بالدفء حتى في اشد البرد عندما تبرد الزنزانة كلها وانام بعد هذا نوما اهنأ » . كان يربي نفسه على الشدائد لا فكريا فقط بل جسديا ايضا ، من اجل النضال المقبل ، وكان يعلم رفاقه القيام بالامر ذاته .

مثلا، كتب لينين في رسالة له ارسلها لاخته الصغرى ماريا ايلينيتشنا عندما سجنت، يقول : « انصحك ايضا بتوزيع عملك على الكتب الموجودة توزيعا صحيحا بحيث يكون عملك متنوعا : فانا اذكر جيدا ان تغيير القراءة او العمل ــ من الترجمة

الى القراءة ، من الكتابة الى التمارين الرياضية ، من قراءة المطبوعات الجدية الى قراءة الروايات يساعد الى حد فائق » .

كان نشاط لينين في بطرسبورغ وابحاثه النظرية بداية مرحلة جديدة في تطور الماركسية وفي الحركة العمالية في روسيا ، وهي المرحلة اللينينية .

في المنفى السيبيري

في ١٣ فبراير (شباط) ١٨٩٧ ابلغ لينين بالحكم عليه بالنفي الى سيبيريا الشرقية لمدة ثلاث سنين . وبهذه الطريقة عاقبت السلطات القيصرية لينين لنشاطه الثوري .

وفي مايو (ايار) ١٨٩٧ وصل لينين الى قرية شوشينسكويه من قضاء مينوسينسك في حاكمية ينيسيي ، التي عينت منفى له . وكانت هذه القرية في ذلك الحين قرية سيبيرية نائية بعيدة عن الخط الحديدي مئات الكيلومترات (شوشينسكويه الآن مركز منطقي كبير لاقليم كراسنويارسك فيه مصنع لتعليب الحليب ومكتبتان عامتان ومدرسة ثانوية ومدرسة زراعية ودار ثقافة ودار للرواد . وفي سنة ١٩٣٧ افتتح هناك متحف لينين) .

كان الامر صعبا جدا على لينين . كتب في احدى رسائله الى اخته : « لقد عزمت في الوهلة الاولى من نفيي على ألا امسك بخرائط روسيا الاوروبية واوروبا: اذ كانت الغصة تأخذ بالخناق احيانا عندما تبسط هذه الخرائط وتبدأ بالنظر الى مختلف نقاطها السوداء » . ولكنه ، حتى في هذا الانقطاع عن العمل الثوري المباشر ، لم يفقد حيويته ونشاطه ومرحه وكان يشتغل كثيرا وفي عناد ويدرس حياة القرية السيبيرية واوضاع الفلاحين بامعان . وكان يتمتع باحترام كبير بين سكان المنطقة الذين كانوا كثيرا ما يأتون اليه طلبا للعون . وهكذا ساعد مرة عاملا من عمال مناجم الذهب في كسب دعوى قضائية على رب المنجم . وبعد هذا اصبح الفلاحون يتقاطرون اكثر من ذي قبل عليه لشرح حاجاتهم له وطلب العون منه . قال لينين بعد ٢٥ سنة من ذلك : « . . . تأتى لي ان اكون محاميا عندما كنت في المنفى في سيبيريا . لقد كنت محاميا سريا لاني كنت منفيا بصورة ادارية ، ولذا كان هذا ممنوعا ؛ ولكن بما انه لم يكن هناك محامون آخرون ، فقد كان الناس يأتون الي ويحدثونني عن بعض القضايا » . وكان لينين يقدم للسكان المحليين النصائح في كيفية حماية النفس من عسف الاغنياء والسلطات المحلية .

وبعد سنة جاءت الى قرية شوشينسكويه ناديجدا كروبسكايا التي اعتقلت ايضا في قضية « اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة » في بطرسبورغ ونفيت الى حاكمية اوفا . ولكنها بوصفها خطيبة لينين سمح لها بقضاء مدة نفيها في شوشينسكويه . وهناك جرى عقد قرانهما واصبحت ناديجدا كروبسكايا زوجة لفلاديمير ايليتش وظلت حتى آخر حياته صديقته القريبة ورفيقته في النضال ومعاونته الوفية .

وبمعونة الاهل والرفاق كان لينين يتلقى في منفاه الكتب والمجلات . واستمر يدرس مؤلفات ماركس وانجلس ويتابع ما تنشره الجرائد ويترجم الكتب الاجنبية الى اللغة الروسية. وكثيرا ما كان النور يبقى مضاءا في غرفته حتى ساعة متأخرة من الليل في حلوكة الظلام التى تلف القرية في نومها .

ووضع لينين في اثناء نفيه مشروع برنامج الحزب وكتب اكثر من ثلاثين بحثا ومقالة . ويشغل كراس « مهمات الاشتراكيين -الدمقراطيين الروس » مكانا خاصا بين هذه الاعمال. وقد رسم لينين في مؤلفاته لهذه المرحلة مهمات الاشتراكيين-الدمقراطيين الروس وعلل ضرورة انشاء حزب عمالي متلاحم وهاجم اعداء الماركسية .

وهناك ايضا انهى كتابه « تطور الرأسمالية في روسيا » . وصدر الكتاب سنة ١٨٩٩ وكان عملا علميا كبيرا في تطور روسيا الاقتصادي وتتمة مباشرة لكتاب ماركس « رأس المال » . وبدراسة اقتصاد روسيا اغنى لينين الاقتصاد السياسي الماركسي باحكام جديدة . وعلى اساس المعطيات الفعلية برهن ان الرأسمالية في روسيا تتطور لا في الصناعة فقط بل في الزراعة ايضا . وبهذا اجهز الكتاب على الشعبيين نهائيا وكشف فيه لينين عن اعمق التناقضات الخاصة بالمجتمع الرأسمالي وبيّن كيف تنمو وتشتد في داخله الطبقة العاملة حافرة قبر الرأسمالية وصانعة المجتمع الجديد الاشتراكي . وبالرغم من قلة عدد الطبقة العاملة في روسيا بالنسبة لمجموع عدد السكان رأى لينين فيها قوة عظيمة وبرهن علميا على دورها القائد في الحركة الثورية . وفي الوقت نفسه اكد لينين على ضرورة تحالف البروليتاريا مع الفلاحين ، هذا التحالف الذي يستحيل بدونه الانتصار في الثورة القادمة . وكان الكتاب مساهمة كبيرة في وضع نظرية الحزب البروليتاري وبرنامجه وتاكتيكه وضعاً علمياً. وقد نفق بسرعة بين المثقفين الطليعيين والشباب الطلاب وافراد حلقات العمال وكانت له اهمية عظيمة في تربية الكادرات الماركسية فكريا ونظريا .

كان لينين يرى دائما في الماركسية تعاليم حية متطورة لا يجب فقط حسن استخدامها في النشاط العملي بل تطويرها ايضا . قال في احد مؤلفاته التي كتبها في المنفى : « اننا لا نعتبر ابدا نظرية ماركس شيئا كاملا لا يجوز المساس به ؛ بل اننا مقتنعون ، على العكس ، بانها لم تفعل غير ان وضعت حجر الزاوية لذلك العلم الذي يترتب على الاشتراكيين ان يدفعوه الى الابعد في جميع الاتجاهات ، اذا شاؤوا ألاّ يتأخروا عن موكب الحياة » . وان هذا الموقف الخلاق من النظرية الماركسية يطبع بطابعه كل نشاط لينين .

والى جانب العمل الدائب كان لينين يحسن الاستراحة ايضا . كان في اوقات فراغه يتزحلق على الجليد ويذهب الى الصيد ويتنزه في الغابات والحقول . وكانت البحيرات الجميلة وضفاف نهر شوشا مكانه المفضل . وكان يعجب بجمال الطبيعة السيبيرية الجبارة الجليل وبنهر يينيسيي الزاخر . وكانت منغصات النفي تخففها نادرا زيارات الرفاق المنفيين المقيمين في اماكن غير بعيدة عنه او زياراته هو اليهم. وكان كرجيجانوفسكي وستاركوف وفانييف وكورناتوفسكي وليبيشينسكي وغيرهم من الاشتراكيين - الدمقراطيين البطرسبورغيين يقضون مدة نفيهم آنذاك في قضاء مينوسينسك . وكان لينين يذهب الى

مينوسينسك وقرية تيسينسكويه والى كراسنويارسك . وكان يشترك في الغناء مع الاصدقاء. وكان يحب خصوصا الاغاني الثورية : « معذب بالاسر المرهق » و« سيروا بجرأة يا رفاق ! » و « الاعاصير المعادية » .

وكانت رسائل اهله الذين يتراسل معهم باستمرار تثير فيه فرحا عظيما . وكانت رسائله الى اهله مليئة بالحنان والعناية وخالية من اي اثر لكآبة او شكوى من حالته . قالت آنا ايلينيتشنا : « اذكر ان رسائله كانت دائما نافورة مياه ينبوعية على كل كآبة وعصبية وعلى كل عدم اكتراث ، وكانت تعطي دفقا من النشاط . . . وفرحاته الحلوة تبعث على الانشراح الذي هو خير مرهم لاي عمل كان » .

وكان حنونا بشكل خاص على امه التي يحبها جدا . فكان دائما يسأل عن صحتها ويرجوها ألا تقلق عليه ويحدثها باسهاب عن حياته ومشاريعه . ولم تكن تربطه باهله وشائج الدم وحدها بل وحدة الآراء والمعتقدات ايضا . ولهذا كانت المراسلات غير ذات طابع شخصي وانما كانت تتناول كثيرا من مسائل النظرية والممارسة الماركسية الهامة بالنسبة لذلك العصر ، بمقدار ما كان ذلك ممكنا في رسائل تفتحها الرقابة .

وحتى في منفاه البعيد كان يتابع باهتمام تطور الحركة

العمالية . ويتراسل كثيرا مع ممثليها في روسيا والخارج ويعرف اوضاع المنظمات الاشتراكية - الدمقراطية ومتطلباتها وصعوباتها وحاجاتها .

وبتأثير بعض النجاحات التي اصابتها الاضرابات آنذاك اصبح قسم من الاشتراكيين - الدمقراطيين الروس يقنع العمال بان يناضلوا نضالا اقتصاديا فقط في سبيل زيادة الاجور وانقاص يوم العمل وتحسين ظروف العمل . اما النضال السياسي ففي رأيهم انه من شأن البرجوازية . واطلق على هؤلاء الاشتراكيين - الدمقراطيين اسم « الاقتصاديين ». وقد رأى لينين في نشاطهم خطرا جسيما : فهم يدفعون الطبقة العاملة الى التفاهم مع البرجوازية وينقصون من دورها الثوري ويصرفونها عن النضال السياسي . وكان « الاقتصاديون » اول الانتهازيين في الحركة العمالية الروسية ، الذين حاولوا اخضاع مصالح البروليتاريا لمصالح البرجوازية . وعزم لينين على شن معركة حاسمة ضد الاقتصاديين .

وفي صيف سنة ١٨٩٩ تلقى لينين من بطرسبورغ من آ . ا . اوليانوفا - ييليزاروفا وثيقة تشرح وجهات نظر « الاقتصاديين » فكتب « احتجاج الاشتراكيين - الدمقراطيين الروس » الذي وافق عليه ووقعه بالاجماع سبعة عشر ماركسيا منفيا مقيما في قضاء مينوسينسك ،

وفضح فيه آراء « الاقتصاديين » الخاطئة والضارة لقضية العمال ورسم المهمات الاساسية للاشتراكيين - الدمقراطيين الروس . وكان « الاحتجاج » يؤكد على ما للحزب البروليتاري من اهمية عظيمة في النضال من اجل تحرير الكادحين . جاء في هذه الوثيقة الرائعة : « لا يمكن لغير الحزب العمالي المستقل ان يكون سندا متينا في النضال ضد الحكم المطلق » . . .

وعرف لينين من كروبسكايا بانعقاد المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي - الدمقراطي الروسي في مدينة مينسك في مارس (آذار) ١٨٩٨ ، الذي اعلن تأسيس الحزب ، وكانت اهميته التاريخية في هذا . وقد اشار لينين الى فضل المؤتمر وقال ان ادخال كلمة « الروسي » في تسمية الحزب يجعله يجمع العمال الطليعيين لجميع شعوب روسيا . واعلن البيان الذي صدر عن المؤتمر اهداف الحزب . واعرب لينين عن تضامنه مع احكام البيان الاساسية . ولكن المؤتمر لم يستطع ان يوحد الحلقات والمنظمات الماركسية المتفرقة ، ولم يتخذ برنامج للحزب ولا نظام داخلي له . كما ان اللجنة المركزية التي انتخبت فيه اعتقلت بعد قليل . واستمر بل واشتد عدم الوفاق بين المنظمات الاشتراكية - الدمقراطية واقتصر نشاطها على الحدود المحلية ولم تكن هناك صلة

وثيقة وتعاقب متواصل في العمل . وكان التغلب على الاسلوب الحرفي في العمل وعلى التوزع في حلقات يتطلب انشاء منظمة قوية للاشتراكيين - الدمقراطيين الروس .

وقد اختمر في ذهن لينين وهو في المنفى مشروع لانشاء الحزب الماركسي الثوري . كان يجب بناء الحزب في سريه شديدة بسبب رجعية الحكم المطلق القاسية جدا . وخصص الدور الاساسي في مشروع لينين العبقري لانشاء جريدة سياسية لكل روسيا عليها ان تلف من حولها اللجان والجماعات على اساس مبادىء الماركسية الثورية ، وان تشرع في التهيئة الشاملة للمؤتمر الثاني وان تضع برنامجا واحدا ونظاما داخليا واحدا للحزب . ولكن لينين لم يقصر مهمات الجريدة على الدعاية والتحريك وحدهما . فقد استنتج ان عليها ان تصبح المنظمة لقوى الحزب ايضا وان توحد حلقات الاشتراكيين - الدمقراطيين وجماعاتهم المحلية في منظمة واحدة . وكانت هذه وجهة نظر جديدة مبدئيا الى الجريدة الماركسية ، تقلب كل تصورات الاشتراكيين - الدمقراطيين السابقة لدور واهمية الصحافة الدورية . ويذكر غ . م . كرجيجانوفسكي كيف راح لينين في اثناء نزهة على شاطئ نهر يينيسيي في احدى الليالي الشتوية الباردة يشرح

له بحماسة برنامج انشاء الحزب الماركسي ، المدهش بجرأته وجدته .

كان لينين ينتظر انتهاء مدة نفيه بفارغ الصبر . كتبت كروبسكايا عن اشهر النفي الاخيرة قائلة : « لم يعد فلاديمير ايليتش ينام وهزل جسمه بشكل رهيب . كان في ليالي الارق يفكر في مشروعه في جميع تفاصيله ... وكلما كان الزمن يمر كان يزداد فراغ الصبر استبدادا بفلاديمير ايليتش ويزداد هو اندفاعا للعمل » .

واذا بالتفتيش هنا يزيد الطين بلة . فقد كان اخشى ما يخشاه فلاديمير ايليتش ان يستغل ذلك حجة لتمديد نفيه . ولكن كل شيء ، لحسن الحظ ، مر بسلام .

وبانتهاء مدة النفي فى ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٠ سافر فلاديمير ايليتش مع اسرته من شوشينسكويه صبيحة اليوم نفسه . وكان امامه طريق طويل : اذ يجب اجتياز قرابة ٣٠٠ فرسخ في زحافة تجرها الخيل . وبالرغم من الصقيع الشديد سافروا دون توقف ليلا ونهارا . كان لينين يستعجل الزمن لكي ينخرط في العمل الثوري النشيط وهو حر طليق .

حظرت الحكومة القيصرية عليه الاقامة في العاصمة وفي المراكز الصناعية من روسيا . فقرر الاقامة في بسكوف حتى يكون اقرب الى بطرسبورغ .

ما ان انطلق لينين من اساره حتى انصرف بكل جوارحه الى تحقيق القضية التي فكر بها ، مهيئا لها بدقة وشمول . وانقضت كل سنة ١٩٠٠ في عمل دائب لتنظيم جريدة سياسية لعموم روسيا . وكان من المستحيل تقريبا انشاء جريدة عمالية ثورية في روسيا بسبب المضايقات البوليسية . فقرر لينين اصدارها في الخارج . ولكنه ، قبل ان يشرع بذلك ، اتصل بكثير من المنظمات الاشتراكية ـ الدمقراطية في روسيا واتفق معها على ان تؤيد الجريدة وعين بخطوط عامة من سيعمل فيها وسيكون مراسلا لها . ولهذا الغرض زار لينين ، رغم الحظر البوليسي ، موسكو وبطرسبورغ وريغا وسمارا وصيزران ونيجني نوفغورود واوفا وسمولينسك .

وفي مايو (ايار) ١٩٠٠ اعتقل لينين عندما قدم الى بطرسبورغ سرا . وكانت معه قائمة بعناوين اناس في الخارج مكتوبة على ورقة فاتورة . ولحسن الحظ لم يعثر البوليس عليها فاطلقوا سراحه بعد قليل . واصبح المقام في روسيا خطرا . فقد كانت القيصرية تشعر ان لها في شخص لينين عدوا بالغ القوة . وقال عقيد الدرك زوباتوف في رسالة سرية الى رؤسائه سنة ١٩٠٠ انه

« ليس في الثورة الآن اكبر من اوليانوف » واقترح تدبير اغتياله .

استطاع لينين بشق النفس ان يسافر الى الخارج . وفي ١٦ يوليو (تموز) ١٩٠٠ سافر الى المانيا وبدأت الهجرة الاولى التي دامت اكثر من خمس سنين .

تقررت تسمية الجريدة الثورية العامة لكل روسيا باسم « ايسكرا » (« الشرارة ») . وكان مكتب تحريرها قد اقام في مدينة مونيخ الالمانية . واليها جاء لينين . وكان لاعتبارات العمل السري يرسل رسائله الى روسيا عن طريق براغ حتى لا يكتشف جواسيس المباحث القيصرية المكان الحقيقي الذي تطبع فيه « ايسكرا » .

وكان كل اهتمام لينين متركزا على اصدار الجريدة . قال في رسالة له الى نورنبيرغ في سبتمبر (ايلول) ١٩٠٠ : « ان كل ما في عروقنا من عصير الحياة يجب ان يذهب لتغذية طفلتنا الوليد » . وفي الحق كانت « ايسكرا » طفلة لينين المحبوبة .

كان اصدار الجريدة تعترضه عدة صعوبات . كان يجب ايجاد الموارد المالية والمكان اللازم للمطبعة والحصول على الاحرف الطباعية الروسية . وقد قدم الاشتراكيون ـ الدمقراطيون الالمان مساعدة كبيرة لمكتب التحرير .

وفي ديسمبر (كانون الاول) من تلك السنة اعد العدد الاول من « ايسكرا » التي صدّرت كل عدد من اعدادها بكلمات « من الشرارة سيندلع اللهيب ! » وهذا ما حدث فيما بعد فقد اندلع في روسيا لهيب الثورة الهائل الذي احترق في ناره الحكم المطلق والنظام الرأسمالي .

بدأت جريدة « ايسكرا » تصدر عندما كانت تتصاعد في البلد حركة ثورية تسير الطبقة العاملة في طليعتها ، وتتكاثر الاضرابات في المصانع ، ويثور الفلاحون على الاقطاعيين ، وتنتشر الاضطرابات بين الشباب الطلاب . فكان لا بد من حزب ماركسي منظم قوي لرئاسة هذه الحركة . فانطلقت « ايسكرا » اللينينية تناضل في سبيل انشاء هذا الحزب .

وبمبادرة من لينين وبقيادته نشأت في روسيا جماعات لمساعدة « ايسكرا » وشبكة من عملائها يوزعون الجريدة ويوافونها بالرسائل والمقالات والمواد ويجمعون لها التبرعات. ولما كان عملاء « ايسكرا » معرضين للملاحقات المستمرة من جانب الدرك والمباحث فقد كان عملهم خطرا مفعما بنكران الذات . وكان يتهددهم في حالة الاعتقال ، السجن والاشغال الشاقة والنفي . ومن عملاء « ايسكرا » إ . ف . بابوشكين ون . ا . باومان وس . ا . غوسيف

وت . س. زيليكسون ـ بوبروفسكايا ور . س . زملاتشكا وم . ا . كالينين وف . ز . كيتسخوفيلي وم . م . ليتفينوف وي. د. ستاسوفا وغيرهم من الثوريين والثوريات.

وكان لينين يعير اهمية كبيرة لعمل عملاء « ايسكرا » فكان يوجه خطاهم وينشئهم منظمين حزبيين جريئين متفانين ومناضلين من اجل مصالح الشعب . وتدل الرسائل المتبادلة التي بقيت منذ تلك الايام على ان لينين كان يدرس الاوضاع بدقة في كل مكان ويقدم النصائح الملموسة او يوجه الناس لاقامة الصلات التي كان يعيرها اهمية كبيرة دائما . كتب الى س . ا . غوسيف : « صلنا حتما صلة مباشرة بالقوى الجديدة والشباب والحلقات الجديدة . ولا تنس ان قوة المنظمة الثورية في عدد صلاتها » . واصبحت « ايسكرا » مركزا لتوحيد القوى الحزبية وجمع الكادرات الحزبية وتربيتها .

وكان من الصعب جدا ايصال الجريدة الى روسيا . فكانت تطبع على ورق رقيق ومتين لتيسير نقلها . وتفاديا للحواجز البوليسية كانت ترسل في حقائب ذات قعر مزدوج او توضع في جلود الكتب التي ترسل الى عناوين مأمونة او تخيط في صداري الرفاق الذاهبين الى روسيا . وبما ان الطلب على الجريدة كان يزداد بلا

انقطاع فقد انشئت في روسيا بعد قليل مطابع سرية في باكو وكيشينيف لاعادة طبع الجريدة .

كان لينين روح الجريدة التي لعبت دورا حاسما في انشاء الحزب ، ونادرا ما كان يصدر عدد بدون ان تكون له فيه مقالة . وكانت « ايسكرا » تنشر مقالات في كيف يمكن على خير وجه تنظيم وبناء الحزب وجر الجماهير الى النضال الثوري وتنشر انباء الحركة الثورية في مختلف مدن روسيا وانباء ما يجري في المصانع والقرى . وسرعان ما عرف العمال الجريدة واحبوها . وكان كل عدد ينتقل من يد الى يد ويقرأ حتى يتمزق ورقه. كتب احد عمال النسيج : « . . . كنت اري « ايسكرا » لكثير من رفاقي وكان العدد كله يبلى مع انه غال . . . فهو يتحدث عن قضيتنا ، عن كل القضية الروسية التي لا تقدر بالدراهم ولا تحدد بالساعات . وعندما تقرأه يتضح لك لماذا يتوجس الدرك والبوليس خيفة منا نحن العمال واولئك المثقفين الذين نسير وراءهم » .

وابتداء من اواخر سنة ١٩٠١ بدأ فلاديمير ايليتش اوليانوف يوقع بعض مقالاته واعماله باسم لينين . وكثيرا ما يسأل الناس لماذا اختار هذا الاسم المستعار ؟ تقول كروبسكايا ان الاختيار كان عرضيا على ما يظهر . وربما انه عندما كان يعمل في « ايسكرا » مع بليخانوف

الذي كان يوقع مقالاته باسم فولغين (من اسم نهر الفولغا الروسي) اختار هو نهر لينا السيبيري الجبار اساسا لاسمه المستعار .

وفي سنة ١٩٠٢ صدر للينين كتاب « ما العمل ؟ » . وكان ذلك عملا رائعا لعب دورا هائلا في انشاء الحزب . فقد عرض فيه لينين بالتفصيل ودعم بالحجج العلمية مشروع بناء الحزب الماركسي البروليتاري . وكان يرى ان على هذا الحزب ان يكون حزبا ثوريا كفاحيا للغاية ومن طراز جديد .

قبل تأسيس الحزب البروليتاري في روسيا كانت في اوربا الغربية احزاب عمالية منذ زمان بعيد . فبم يجب ان يمتاز الحزب الاشتراكي - الدمقراطي الروسي ، من وجهة تفكير لينين ، عن هذه الاحزاب ؟ لقد نشأت الاحزاب العمالية الاشتراكية - الدمقراطية في اوربا الغربية في جو من التطور السلمي نسبيا للرأسمالية ولم تكن مكيفة مع النضال الثوري وكانت تتهاون مع الانتهازيين الذين اصبحوا بالتدريج يلعبون الدور الرئيسي فيها . وكان الانتهازيون يزعمون ان بالوسع القضاء على الاستغلال والانتقال الى الاشتراكية بدون الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا . وكانوا بهذا يحكمون على العمال بالجمود واصبحوا هم انفسهم ، عمليا ،

مدافعين عن النظام الرأسمالي . فقد كانوا يعيدون النظر في الماركسية ويحرفونها ويقتلون جوهرها الثوري . وكانوا من انصار المصالحة يقومون بدور اعوان البرجوازية وعملائها . وكان زعماء اكثرية الاحزاب الاشتراكية ـ الدمقراطية يستنكرون الانتهازية بالقول فقط اما في الواقع فكانوا يرضون عنها .

اما نيين فكان يفكر بانشاء حزب بروليتاري مختلف تماما وثوري حقا ، قادر على تنظيم وقيادة الطبقة العاملة في روسيا الى اقتحام معاقل الحكم المطلق القيصري والرأسمالية . وعلى الحزب لكي يرأس الحركة العمالية ويصبح قوة قائدة لها ، ان يكون مسلحا بالنظرية الثورية الطليعية وهي الماركسية ، ان يحمل هذه النظرية الى الحركة العمالية ويبعث فيها بذلك ، الوعي الاشتراكي . قال لينين في تقدير دور النظرية الماركسة : « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية » .

وكان يقول انه في ظروف المجتمع البرجوازي يمكن ان تكون الايديولوجية اما برجوازية واما بروليتارية، ولا ثالث لهما . وان للبرجوازية بوصفها طبقة حاكمة موارد وامكانيات لنشر ايديولوجيتها اكثر مما للبروليتاريا . ولهذا فان كل تقليل لدور الوعي ، والاذعان للعفوية، وهو ما يدعو اليه « الاقتصاديون » ، يعني في الواقع

تشديد تأثير الايديولوجية البرجوازية على البروليتاريا .
ومن هنا كانت مهمة الاشتراكيين ـ الدمقراطيين المباشرة وهي ان يكافحوا الايديولوجية البرجوازية ويتولوا امر تربية الطبقة العاملة سياسيا لرفعها الى مستوى الوعي الاشتراكي . وبالنظر الى ما لتنظيم الحزب الممركز المتلاحم من اهمية عظيمة وضع لينين مشروعا لبنائه يرى فيه ان على الحزب ان يتألف من جزئين : من دائرة ضيقة من الثوريين المحترفين، من الناس الذين يعكفون كليا على الثورة ، ومن شبكة واسعة من المنظمات الحزبية المحلية وعدد كبير من اعضاء الحزب .

وكان لينين يرى تنشئة الثوريين المحترفين من اوساط العمال امرا له اهمية خاصة . فالثوري المحترف ، في رأي لينين ، يجب ان يكون دائما في قلب الجماهير وان يعرف حاجاتها وميولها ، وان يستجيب لكل مظهر من مظاهر العسف والاضطهاد اينما كانا واية طبقة اصابا ، وان يحسن الاستفادة من « كل امر تافه لكي يعرض امام الجميع معتقداته الاشتراكية ومطالبه الدمقراطية ولكي يشرح للجميع ولكل انسان ما للنضال البروليتاري التحرري من اهمية تاريخية عالمية » .

وقف « الاقتصاديون » في وجه مشروع لينين لبناء الحزب . ولما كانوا ينكرون دور البروليتاريا السياسي

المستقل فقد اعترضوا ايضا على انشاء حزبها الثوري المستقل . وقد كال لينين في كتابه « ما العمل ؟ » ضربة قوية جدا لـ « الاقتصاديين » وبين ان « الاقتصادية » هي شكل من اشكال الانتهازية العالمية . ولهذا كان كتاب لينين موجها ليس فقط ضد الانتهازية الروسية بل ضد الانتهازية العالمية ايضا . وكانت له اهمية كبيرة لرص صفوف الحزب على اساس الماركسية ولاعداد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي الذي انشأ عمليا حزبا ماركسيا ثوريا حقا .

كان لينين شديد الاهتمام بمعرفة كيف استقبل القراء كتابه . كتب الى لجنة موسكو لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي في آب (اغسطس) ١٩٠٢ : « تلقينا رسالتكم التي تعربون فيها عن شكركم لمؤلف « ما العمل ؟ » . هل كان عدد نسخ الكتاب كافيا عندكم ؟ هل قرأه العمال وكيف رأيهم فيه؟»

عندما وضع لينين نظرية الحزب الثوري للطبقة العاملة اعار اهمية اولية لتسليحه ببرنامج علمي كفاحي . كتب يقول : « ان البرنامج هو عبارة عن بيان موجز وواضح ودقيق عن كل ما يريد الحزب بلوغه وعن كل ما يناضل في سبيله». وكان دور لينين عظيما في اعداد مسودة البرنامج الاول للحزب. ولم تستطع هيئة تحرير « ايسكرا »

ان تنشئ برنامجا حزبيا ثوريا الا بفضل الصاحه ومثابرته . وقد اشير في هذا البرنامج بدقة ووضوح الى الهدف النهائي للحركة العمالية وهو بناء مجتمع جديد اشتراكي ، والى الطرق المؤدية لتحقيق هذا الهدف وهي الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا . ورسم البرنامج ايضا المهمات القريبة وهي : اسقاط القيصرية واقامة جمهورية دمقراطية . وهكذا اكد البرنامج على وحدة النضال من اجل الدمقراطية والاشتراكية .

ولشرح برنامج الحزب للفلاحين كتب لينين في ربيع سنة ١٩٠٣ كتيب « الى الفلاحين الفقراء » وفيه بيّن ببساطة ووضوح ماذا يريد حزب العمال ولماذا يحتاج فقراء الفلاحين الى التحالف مع العمال . كتب يقول : « نريد النضال في سبيل تنظيم جديد ، افضل ، للمجتمع : وفي هذا المجتمع الجديد الافضل ، ينبغي ألا يكون ثمة اغنياء وفقراء ، انما ينبغي ان يشترك الجميع في العمل . ينبغي ان يتمتع جميع الشغيلة بثمرات العمل المشترك ، لا حفنة من الاثرياء فقط . ينبغي ان تسهل الآلات وسائر الاتقانات كدح الجميع ، لا ان تغني البعض على حساب الملايين وعشرات الملايين من الناس . هذا المجتمع الجديد ، هذا المجتمع الافضل ،

يسمّى المجتمع الاشتراكي . والمذهب الذي ينادي به يسمى الاشتراكية » .

في بداية سنة ١٩٠٢ عرف رجال المباحث بمكان وجود « ايسكرا » . فكان من الضروري مغادرة مونيخ لان البقاء فيها اصبح خطرا . فاختارت هيئة التحرير مدينة لندن مكانا جديدا لطبع الجريدة . والى هناك انتقل لينين في ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ .

وعندما كان لينين في عاصمة بريطانيا تابع الحركة العمالية باهتمام ودرس حياة البروليتاريا البريطانية وحضر الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية . قالت كروبسكايا ان فلاديمير ايليتش كان يشعر دائما بانجذاب الى جماهير العمال . وكثيرا ما كان يعرف من الجرائد اين سيعقد اجتماع ما للعمال ، فكان يأتي الى مكان الاجتماع وينتحي جانبا ويستمع .

وكان يقضي وقتا كبيرا في المكتبات العامة واكثر ما كان يتردد الى مكتبة المتحف البريطاني حيث كان يعمل ماركس .

وفي ربيع سنة ١٩٠٣ انتقل لينين من لندن الى جنيف التي نقلت اليها مطبعة « ايسكرا » . واستأجر مع اسرته بيتا صغيرا في احدى ضواحي جنيف ، كان فيه يستقبل الرفاق القادمين من روسيا الذين كان الكثيرون منهم ،

بعد هربهم من منفاهم ، لا يملكون ما يقوم باودهم فكان لينين يهتم بهم ويسعى لتأمين المسكن والغذاء للمحتاجين . لقد كان رجلا حساسا يهتم بالناس ويشملهم بحنانه وكان يأسرهم ببشاشته ولطفه . لقد تحدثت ت . س . زيليكسون ـ بوبرفسكايا عميلة « ايسكرا » عن لينين فاشارت الى بساطته وتواضعه ومرحه ، وقالت : « كان فلاديمير ايليتش يرتدي قميصا ازرق بحزام يضفي عليه هيئة « روسية » خاصة » . وقال احد ممثلي لجنة ييكاتيرينوسلاف لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي ، الذي زار لينين في جنيف ، ان فلاديمير ايليتش استقبله استقبالا اكثر من ودي ، كأخ اكبر ، كرفيق اكبر ، واستثار نشاطه واضفى على الحديث فورا جوا من عدم الكلفة .

اصبح عقد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي مهمة ملحة عاجلة . وكان لينين يخصص وقتا كثيرا لتحضيره : يفكر بخطة تنظيم عمل المؤتمر ويعدّ مسودات القرارات ويضع النظام الداخلي للحزب . وكان ينتظر افتتاح المؤتمر بانفعال شديد وفروغ صبر ويستقبل المندوبين بحرارة وسرور ويسألهم في لهفة عن روسيا وعن ميول العمال الثورية وعن العمل في الاماكن . قالت ي . د . ستاسوفا احدى اقدم اعضاء

الحزب : « كانت طريقة فلاديمير ايليتش في الاصغاء والسؤال خاصة . كان عندما يطرح الاسئلة يوجه المحدث في الطريق الذي يحتاج اليه ويجبره على تناول المسائل التي تهمه » . وكان وهو بعيدٍ عن الوطن يحن كثيرا اليه ويسر لكل نبأ منه . وحيثما كان يعيش في الخارج يتذكر دائما روسيا وسهولها الفسيحة ويحلم بالشتاء الروسي الحقيقي والهواء الصاقع ويتمنى ان يذهب الى الفولغا الحبيب .

افتتح المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي الروسي في يوليو (تموز) ١٩٠٣ . وقد التأم المؤتمر اولا في بروكسيل ولكن جلساته استمرت بعد ذلك في لندن بسبب مضايقات البوليس البلجيكي . وكان تركيب المؤتمر غير متجانس . فالى جانب الثوريين البروليتاريين المثابرين الايسكراويين كان يحضره ايضا الانتهازيون وكذلك المتقلبون او من يسمون بـ « المستنقع » . ومع ان الايسكراويين كانوا الاكثرية ولكن لم يكونوا جميعا ثابتين بل كان فيهم المتقلقلون او « ضعاف الطبع » . ولهذا خاض الجناح الثوري في المؤتمر نضالا عنيفا ضد الانتهازيين في سبيل انتصار مبادئ « ايسكرا » .

اشترك لينين اشتراكا نشيطا في قيادة المؤتمر وفي

عمله ، حتى لقد سجل في محاضر جلسات المؤتمر اكثر من مئة خطاب وجواب وملاحظة ادلى بها لينين .

ونوقش مشروع برنامج الحزب مناقشة طويلة وحامية في المؤتمر . ودافع لينين وانصاره عن البرنامج الثوري وعن مقولة دكتاتورية البروليتاريا وعن تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين وعن حق الامم في تقرير مصيرها بنفسها وعن الاممية البروليتارية . وهاجم الانتهازيون هذه الاحكام الماركسية الاساسية . ولكن انصار « ايسكرا » ردوا كل هذه الهجمات .

واقر المؤتمر باكثرية الاصوات البرنامج الثوري الذي اعدته هيئة تحرير « ايسكرا » . وكان هذا ، في ذلك الحين ، البرنامج الحزبي الوحيد في العالم ، الذي اعتبر فيه النضال من اجل دكتاتورية البروليتاريا مهمة اساسية للحزب البروليتاري .

وعلى هدى هذا البرنامج ناضل الحزب بنجاح في سبيل انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا . وقد احتاج الحزب الى زهاء ١٥ سنة من النضال البطولي المتوتر والعمل المتفاني الدائب والحرمانات والتضحيات لكي ينفذ برنامجه الاول هذا .

وظهرت في المؤتمر خلافات حادة عند مناقشة النظام الداخلي . فقد اراد لينين انشاء حزب كفاحي موحد

يشترك كل عضو من اعضائه بنشاط في النضال الثوري ويخضع للانضباط الحزبي . ولهذا كان يرى انه يمكن ان يكون عضوا في الحزب كل من يعترف ببرنامجه ويدفع اشتراكات العضوية ويكون منتسبا لاحدى منظمات الحزب ويشترك في عملها . فكانت صيغة لينين هذه تقيم الصعاب في وجه العناصر غير البروليتارية وغير الثابتة للانتساب الى الحزب وتسمح بانشاء حزب منظم يسوده الانضباط .

ولكن المؤتمر ، باكثرية زهيدة من الاصوات ، اقر اقتراح مارتوف الانتهازي القاضي بانه يكفي لعضو الحزب ان يعترف ببرنامج الحزب وان يقدم له المساعدة المادية دون ان يكون ملزما بالانتساب لمنظمة من منظماته ودون ان يخضع للانضباط الحزبي . وكان هذا التفسير للعضوية يجعل الحزب مائعا ويفتح ابواب الحزب امام العناصر المترددة . وليس بوسع العمال ابدا ان ينتصروا على اعدائهم الطبقيين بحزب مبني على هذه الاسس . وقد وقف تروتسكي الى جانب مارتوف ضد خطة لينين التنظيمية لبناء الحزب .

وفي جلسات المؤتمر الاخيرة ، عند انتخاب الهيئات المركزية ، تغيرت نسبة القوى لصالح انصار لينين لان جزءا من الانتهازيين غادر المؤتمر . ونال انصار لينين

اكثرية الاصوات عند انتخاب اللجنة المركزية وهيئة تحرير « ايسكرا » التي اعترف بانها جريدة الحزب المركزية . ومنذ ذلك الحين اصبح هؤلاء يسمون بالبولشفيك او البلاشفة، والانتهازيون الذين بقوا اقلية، بالمنشفيك او المناشفة (١) .

كان المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي نقطة تحول لا في الحركة العمالية الروسية فقط بل العالمية ايضا . وتتجلى اهميته التاريخية في انه انشأ حزبا بروليتاريا من طراز جديد هو الحزب البلشفي اللينيني . كتب لينين فيما بعد : « ان البلشفية بوصفها اتجاها لافكار سياسية ، وبوصفها حزبا سياسيا ، موجودة منذ سنة ١٩٠٣ » .

واصبح الحزب البلشفي الناشئ قوة جبارة قادرة على استنهاض الطبقة العاملة وجميع الكادحين في روسيا لاسقاط سلطة الاقطاعيين والرأسماليين ولبناء الاشتراكية . واصبح الحزب البلشفي الذي نظمه لينين وانصاره قدوة لجميع الاحزاب الشيوعية والعمالية .

وبيّن انتصار مشروع لينين لانشاء الحزب الماركسي الثوري ان البروليتاريا الروسية والعالمية لها في شخص

---

(١) بولشيفيك مشتقة من كلمة « بولشنستفو » اي الاكثرية ، والمنشفيك مشتقة من كلمة « منشنستفو » اي الاقلية . المترجم.

لينين نظري مرموق ومتابع لقضية وتعاليم ماركس وانجلس يرى من وراء حجب الغيب آفاق تطور الحركة العمالية .

وبعد المؤتمر الثاني تعقد الوضع كثيرا في داخل الحزب ، فقد شغل المنشفيك محل « الاقتصاديين » المهزومين وتبعوا خطهم الانتهازي . ومنذ ذلك الحين ولمدى سنين كثيرة جرى نضال عنيف ودائب بين البلاشفة والمنشفيك . وكان المنشفيك يسعون لتحويل الحزب الى طريق الانتهازية . وقد استولوا على جريدة الحزب المركزية « ايسكرا » وناضلوا على صفحاتها ضد لينين والبلاشفة وضد مقررات المؤتمر الثاني . فكان يجب شن معركة فاصلة ضد المنشفيك وتوضيح كل خطر المنشفية على الحزب وعلى الحركة الثورية في روسيا . وهذا ما فعله لينين في كتاب « خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء » الذي صدر في مايو (ايار) ١٩٠٤ .

بيّن لينين ان المنشفيك يهاجمون الحزب بوصفه قوة تنظيمية في الحركة العمالية ويخربونه ، وطور التعاليم الماركسية عن الحزب بوصفه المنظمة القائدة للبروليتاريا ، التي بدونها يستحيل الانتصار في الثورة الاشتراكية وبناء المجتمع الشيوعي . كتب لينين : « ليس للبروليتاريا من سلاح في النضال في سبيل الحكم غير سلاح التنظيم » . وقال ان الحزب هو جزء من الطبقة العاملة وفصيلة طليعية

وواعية منها . ولن يمكن للحزب ان يقود بنجاح نضال البروليتاريا الا عندما يكون كل اعضائه متحدين في فصيلة واحدة تجمعها وحدة الارادة والعمل والانضباط ، عندما يتسلح الحزب بالنظرية الثورية .

وابان لينين ان شغل الحزب الشاغل هو تكثير وتمتين صلاته بالملايين من ابناء الطبقة العاملة ، وهو ما لا يستطيع بدونه ان يحيا ويتطور .

ووضع لينين في كتاب « خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء» القواعد الراسخة للحياة الحزبية ومبادئ القيادة الحزبية التي اصبحت قانونا لكل نشاط الحزب اللاحق وهي : تقيد جميع اعضاء الحزب تقيدا بالغ الشدة بمطالب النظام الداخلي ، والانضباط الحزبي الواحد ، وخضوع الاقلية للاكثرية والمنظمات الادنى للمنظمات الاعلى ، والاساس الانتخابي لهيئات الحزب ووجوب تقديم الحساب عن اعمالها ، وتطوير فعالية ومبادرة الجماهير الحزبية وتطوير الانتقاد الذاتي . وقد استقبلت المنظمات الحزبية ظهور كتاب لينين بالاستحسان الشديد وانتشر انتشارا واسعا بين العمال الطليعيين .

وفي صيف سنة ١٩٠٤ ناضل لينين والبلاشفة لعقد المؤتمر الثالث للحزب . وكان الوضع الاستثنائي في روسيا يتطلب ذلك . فقد كانت تختمر الثورة التي يجب

على الحزب ان يستقبلها بحالة من الاستعداد التام .
كما كانت ضرورة عقد المؤتمر الجديد تنجم ايضا عن الوضع السائد في داخل الحزب ، اذ يجب الخلاص من النشاط الانقسامي للمنشفيك الذين كانوا يحبطون مقررات المؤتمر الثاني ويثيرون الفوضى في عمل الحزب .

وفي اشد فترات الصراع الحزبي الداخلي حدة سارت اكثرية لجان الحزب في روسيا وراء البلاشفة . وايدت كادرات الثوريين المحترفين الاساسية واعضاء الحزب من العمال لينين كل التأييد. وكان الحزب في اكثريته العظمى يلتف حول زعيمه .

الى الهجوم الاول على القيصرية

فيما كان لينين في الخارج كان يتابع باهتمام تطورات الحركة الثورية في روسيا . وقد استشف اقتراب الثورة قبل بدايتها بمدة طويلة . ولقد نشبت الثورة . ففي ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٥ اطلق الرصاص في بطرسبورغ ، بامر من القيصر ، على العمال الذين ساروا اليه في سلام مع زوجاتهم واطفالهم ليشرحوا له حاجاتهم . واثار عمل القيصر الدامي هذا حفيظة الشعب وغضبه . فلم يأت المساء حتى اصبحت المتاريس تنصب في

الاحياء العمالية بالمدينة . وهزت حوادث العاصمة البلاد كلها . وقيّمها لينين بانها بداية الثورة . كتب يقول : « ان شعار بروليتاريا بطرسبورغ الباسلة : « الموت او الحرية ! » يتردد اليوم كالصدى في جميع اصقاع روسيا » .

كانت كل خواطر لينين متجهة الى روسيا . وكان يقود لجان الحزب مباشرة ويرسل اليها الرسائل ويوافيها بالارشادات المفصلة التي تبين كيف يجب العمل في ظروف الثورة المبتدئة . قال م . ن . ليادوف عضو « مكتب لجان الاكثرية » في مذكراته : « لقد كنت كثيرا ما اسافر الى الخارج بشكل غير شرعي . فكنت آتي لمدة اسبوع واقول لايليتش كل الاخبار واحمل معي تعليماته وارشاداته ونصائحه واعود ادراجي باحثا عن رفاقي في « مكتب لجان الاكثرية » . وكنا دائما ندهش لكون ايليتش وهو هناك في جنيف استطاع ان يقدر الاوضاع تقديرا صائبا . . . »

استشف لينين ان الثورة ستتصاعد حتما . وكان هذا يلقي على عاتق حزب العمال الاشتراكي ـ الدمقراطي مسئولية فادحة ، اذ كان عليه ان يرسم خط سلوكه في الثورة وان يتفق على اشكال وطرائق النضال ، اي ان يعين تكتيكه وهذا ما لم يكن يستطيع تحديده الا مؤتمر

الحزب . ولهذا كان لينين يطالب في اصرار بعقد المؤتمر الجديد للحزب عاجلا ويعد العدة له في همة ونشاط .

وفي ابريل (نيسان) ١٩٠٥ عقد في لندن المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي - الدمقراطي الروسي . وكان هذا اول مؤتمر للبلاشفة ، اذ رفض المنشفيك حضوره رغم ان الدعوة كانت قد وجهت اليهم ، واجروا في جنيف مؤتمرا لهم كان خطوة انقسامية واضحة . ووصف لينين الوضع القائم في الحزب بقوله : مؤتمران — حزبان .

بحث المؤتمر المسائل الجذرية للثورة الصاعدة . وانتخب لينين رئيسا للمؤتمر وقاد عمله مباشرة . وقد ادلى بعدة تقارير وخطب واعد المقررات الاساسية : عن الانتفاضة المسلحة ، عن الحكومة الثورية الموقتة ، عن الموقف من الحركة الفلاحية. واعتبر المؤتمر تنظيم الانتفاضة المسلحة هو مهمة الحزب الرئيسية والعاجلة وكلف جميع منظمات الحزب باتخاذ التدابير الملموسة لتسليح البروليتاريا ولوضع خطة الثورة المسلحة ولقيادتها قيادة مباشرة .

كتب مندوب المؤتمر م . غ . تسخاكايا مستعيدا ذكرى خطاب لينين عن اشتراك الاشتراكية - الدمقراطية في الحكومة الثورية الموقتة قائلا : « لقد اصغى مندوبو

المؤتمر كلهم له في صمت مطبق وهم واقفون لان المنطق الحديدي لنظري الثورة وخطيبها ومنظمها استأثر باهتمام جميع المندوبين .

وعندما انهى ايليتش خطابه انطلقت عواصف مدوية من التصفيق والهتاف . كان امامنا ثوري ونظري وخطيب كبير » .

اقر المؤتمر الفقرة الاولى من النظام الداخلي الخاصة بعضوية الحزب في صيغتها اللينينية . ومنذ ذلك الحين رسخ في النظام الداخلي لحزبنا احد اهم المبادئ التنظيمية اللينينية . وانتخبت في المؤتمر لجنة مركزية برئاسة لينين .

لقد سلحت قرارات المؤتمر الحزب بخطة محددة للعمل وعينت طرق ووسائل التطور اللاحق للثورة ووجهت الطبقة العاملة نحو الانتصار في النضال ضد الحكم المطلق . وفي اول دورة عقدتها اللجنة المركزية اقر تعيين لينين رئيسا لتحرير جريدة « بروليتاري » جريدة الحزب المركزية .

وبعد المؤتمر عاد لينين الى جنيف . وكتب عن اهمية المؤتمر وعن مقرراته كتاب « خطتا الاشتراكية - الدمقراطية في الثورة الدمقراطية » الذي صدر في يوليو (تموز) ١٩٠٥. وتناول لينين في كتابه العبقري هذا كل

قضايا الثورة الناشئة وحددت مهمات الحزب كما بين فيه ان البلاشفة والمنشفيك مختلفون في تقدير الثورة وقواها المحركة وفي النظر الى مهمات الطبقة العاملة والحزب وفي تحديد تكتيكهم .

فلينين والبلاشفة يرون ان الثورة التي بدأت في روسيا ثورة برجوازية دمقراطية مهمتها القضاء على بقايا القنانة واسقاط القيصرية ونيل الحريات الدمقراطية . وكان للينين الفضل في انه اول من حلل في تاريخ الماركسية مسألة خصائص الثورة البرجوازية الدمقراطية في عصر الامبريالية وقواها المحركة وآفاقها . ورأى لينين ان للبروليتاريا مصلحة في انتصار الثورة البرجوازية التام لانه يقرّب وييسّر نضالها من اجل الاشتراكية . اضف الى ذلك ان البروليتاريا هي التي عليها ان تصبح القوة المحركة الرئيسية للثورة وقائدتها . وكان حليف البروليتاريا الفلاحون الذين لهم مصلحة في انتزاع الارض من الاقطاعيين واسقاط القيصرية . وهكذا فان ابعاد الثورة كانت تتوقف على سلوك قوتيها المحركتين الاساسيتين : البروليتاريا والفلاحين . اما البرجوازية الروسية فكانت تميل لبقاء القيصرية وما كان بوسعها، بحكم طبيعتها الطبقية ، ان تكون ثورية . ولهذا كان البلاشفة يرون ان البرجوازية يجب ازاحتها وعزلها عن الجماهير وفضح دمقراطيتها المزعومة .

كانت الثورة الروسية الاولى شعبية من حيث قواها المحركة ، اما من حيث اساليب النضال فكانت كما وصفها لينين بروليتارية ، استعملت فيها اشكال جماهيرية للنضال كالاضراب السياسي والانتفاضة المسلحة .

وشرح لينين ان الانتفاضة المسلحة هي الوسيلة الحاسمة لاسقاط الحكم المطلق القيصري وان على الانتفاضة الظافرة ان تقيم لا حكم البرجوازية ، كما كان الامر في ثورات الماضي ، بل الدكتاتورية الثورية الدمقراطية اي حكم البروليتاريا والفلاحين. وستكون هيئتها الحكومة الثورية الموقتة .

كانت خطة لينين البلشفية موضوعة بقصد انتصار الثورة وكانت تبين كيف يمكن احراز هذا الانتصار . لقد كانت خطة ثورية حقا .

فماذا كانت خطة المنشفيك ؟ كانوا يزعمون انه ما دامت الثورة برجوازية فقائدتها يجب ان تكون البرجوازية اما مهمة الطبقة العاملة فتقتصر على دعمها . وكان المنشفيك يعارضون تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين لانهم لم يكونوا يثقون بقوة الفلاحين الثورية . وكانوا يعترضون بشكل خاص على الانتفاضة المسلحة . فبين لينين ان الخط المنشفيكي هو خيانة للثورة ورغبة في

اخضاع البروليتاريا لقيادة البرجوازية وان هذا الخط كان يعبر عن الرعب من امكان انتصار الشعب . واستعار لينين في وصفه للمنشفيك الخائفين من النضال الثوري والمستعدين لاغراق الثورة في الكلام الفارغ ، احد تعبيرات تشيخوف وقال انهم « رجال في علبة » (١) .

قال لينين في كتابه : ان البروليتاريا عندما تنتصر مع كل الفلاحين في الثورة البرجوازية الدمقراطية لا تستطيع ان تكتفي بهذا . فهي في سياق النضال تنظم قواها وتلف من حولها الفقراء من الفلاحين وابناء المدن وتكيل الضربة للرأسمالية . وهكذا فان الثورة البرجوازية الدمقراطية تتحول الى ثورة اشتراكية . وكانت هذه وجهة جديدة نحو انتصار الثورة الاشتراكية ، رفضت خط المنشفيك الروس والانتهازيين الاوربيين الغربيين الذين كانوا لا يقدرون الامكانيات الثورية لجماهير المدينة والقرية نصف البروليتارية حق قدرها . فقد كان الانتهازيون يرون ان البروليتاريا ستعمل في الثورة الاشتراكية لوحدها ، بلا حلفاء ، ولهذا لا يمكن ان تحدث الثورة الاشتراكية الا عندما تصبح البروليتاريا

---

(١) « الرجل الذي في العلبة » هو بطل قصة بهذا العنوان لتشيخوف واصبح رمزا للرجل المحدود الافق الذي يخشى كل جديد ويتهيب من المبادرة .

هي الاكثرية بين سكان البلد . وقد برهن لينين على خطأ وضرر هذا القول واثبت بالحجج ان من المحتم في سياق الثورة ان تنضم جماهير المدينة والقرية نصف البروليتارية الى البروليتاريا . واكدت الحياة صحة ما جاء به .

في كتاب « خطتا الاشتراكية ـ الدمقراطية في الثورة الدمقراطية » اغنى لينين التعاليم الماركسية عن الثورة الاشتراكية بافكار جديدة لها اهمية عظيمة بالنسبة لشعوب العالم كله في النضال من اجل انتصار الدمقراطية والاشتراكية . واستقبلت منظمات الحزب في روسيا كتاب لينين باستحسان . كتب ف . ف . آدوراتسكي عضو منظمة قازان في مذكراته : « لقد شعرنا نحن جميعا ان من غير الممكن الدفاع عن مصالح تطور الثورة دفاعا اصح واكثر حزما ونبوغا مما فعل فلاديميز ايليتش » .

كانت الحركة الثورية في روسيا تتسع بسرعة . ففي ربيع وصيف سنة ١٩٠٥ حدثت اضرابات كبيرة في المراكز الصناعية : بطرسبورغ ووارصو ولوذز وباكو واوديسا . وتصاعدت موجة الحركة الفلاحية وشملت خمس مجموع الاقضية . وكان الجيش ايضا ــ سند القيصرية العسكري ــ مترددا . ففي يونيو (حزيران) ١٩٠٥ ثار البحارة في البارجة « بوتمكين » في اسطول

البحر الاسود واعار لينين لهذه الانتفاضة اهمية بالغة. وارسل الى اوديسا لمساعدة البارجة الثائرة البلشفي م. ا . فاسيلييف ـ يوجين ومعه ارشادات قيادية في كيف يجب العمل لاحراز النصر . ولكن فاسيلييف ـ يوجين وصل متأخرا عندما كانت البارجة قد اضطرت الى مغادرة ميناء اوديسا والذهاب الى رومانيا .

وطرح لينين بالحاح متزايد مسألة الانتفاضة المسلحة . واستعاد قراءة كل ما كتبه ماركس وانجلس عن الانتفاضة ودرس كثيرا من كتب الفن العسكري . وانتقد لجنة بطرسبورغ الكفاحية التي نظمت لاعداد الانتفاضة ، لتقاعسها وترددها ، ورسم خطة محددة لعملها . ونصحها قائلا : « اتصلوا بالشباب . وانشئوا حالا فرقا قتالية في كل مكان ، عند الطلاب وعند العمال خصوصا . . . وليتسلحوا هم انفسهم ، كل كما يستطيع . . . وعلى الفصائل ان تشرع حالا بالتدريبات الحربية في عمليات عاجلة ، في الحال » . وفي الوقت نفسه اتخذ لينين تدابير نشيطة لتدبير شراء الاسلحة من الخارج وارسالها الى روسيا .

وفي خريف سنة ١٩٠٥ بلغت الحركة الثورية في روسيا مدى لا سابق له . ونشب في اكتوبر (تشرين الاول) اضراب سياسي عام . وتوقفت عن العمل

المصانع ودوائر البريد والبرق وجمدت كل الحياة في البلد . وكان هذا شكلا جديدا لنضال البروليتاريا ، لم تشهد البلدان الاحرى له مثيلا قبل ذلك الحين . واضطرت الحكومة القيصرية التي أرعبها نضال الطبقة العاملة، الى التنازل . ففي ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) اصدر القيصر بيانا وعد فيه الشعب بحرمة الفرد وحرية القول والصحافة والاجتماعات وغيرها من الحريات المدنية . وكان هذا نصرا كبيرا . ولكن لينين ابان انه لا يجوز التصديق بوعود القيصر وان مهمة البروليتاريا تطوير الثورة شوطا ابعد وجر الجماهير الى الانتفاضة المسلحة .

وظهرت في ايام الثورة العاصفة ، لاول مرة في التاريخ ، منظمات سياسية جماهيرية هي سوفييتات (مجالس) نواب العمال . ولم تكن قد نشأت في اي بلد آخر منظمات كهذه . وقدرها لينين تقديرا ساميا بوصفها هيئات للانتفاضة المسلحة وجنيناً للحكم الشعبي . واستشف في ذلك الحين ان السوفييتات سيكون لها مستقبل عظيم : ستصبح عاجلا ام آجلا سلطة دولة الكادحين . وتحققت نبوءة لينين هذه كليا. ودرس لينين مسألة دور السوفييتات بعمق خاص في مقالة « مهماتنا وسوفييت نواب العمال » .

كانت امواج الثورة تتزايد صعودا . واصبحت قيادة الحركة الثورية من الخارج اصعب فاصعب على لينين ،

وكان يتلهف للعودة . وفعلا عاد الى بطرسبورغ في بداية نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٥ وراح يقود الحزب والنضال الثوري بصورة مباشرة . وقام بعمل تنظيمي واسع : يقود اللجنة المركزية ولجنة بطرسبورغ للبلاشفة ، ويخطب في الاجتماعات والمجالس العامة الحزبية ويجتمع بالعاملين الحزبيين القادمين من جميع انحاء روسيا . وكان لينين يقود جريدة « نوفايا جيزن » (« الحياة الجديدة ») البلشفية العلنية ويكتب كثيرا لها . وكانت مقالاته الرائعة العميقة المضمون بمثابة ارشادات للمنظمات الحزبية في عملها اليومي .

وبين مقالات لينين التي نشرت في الجريدة مقالة اتسمت باهمية كبيرة ، هي مقالة «التنظيم الحزبي والادب الحزبي » التي قال فيها بمبدأ تحيز الكلمة المطبوعة واقام تحته اساسا علميا وبين ان الكلمة المطبوعة لا يمكن ان تكون بالنسبة للبروليتاريا اداة لثراء بعض المجموعات او الاشخاص ، لا يمكن ان تكون قضية خاصة مستقلة عن القضية العامة للطبقة العاملة . قال : « ان الكلمة المطبوعة يجب ان تكون متحيزة . وبخلاف الاخلاق البرجوازية ، بخلاف الصحافة البرجوازية التجارية ، بخلاف الوصولية والفردية الادبية البرجوازية و« الفوضى الارستقراطية» والركض وراء الربح ، يجب ان

ترفع البروليتاريا الاشتراكية مبدأ الكلمة المطبوعة المتحيزة وان تطور هذا المبدأ وتطبقه عمليا باكثر ما يمكن من الكمال والنقاوة » . ولقد بينت الخبرة التاريخية ان كل تراجع عن مبدأ تحيز الكلمة المطبوعة اللينيني يلحق بقضية الطبقة العاملة ضررا فادحا لا في مرحلة نضالها من اجل الحكم فحسب بل عندما تكون على دست الحكم ايضا .

وبالرغم من بعض الحريات التي انتزعها الشعب انتزاعا من القيصر ، كان لينين ، كسائر الثوريين الآخرين ، مضطرا الى الاختفاء عن انظار البوليس . كان عليه ان يعيش في السر : يغير كثيرا اوراق هويته ومنزله ويذهب عدة مرات من بطرسبورغ الى فنلنده .

وبلغت الثورة اوجها في انتفاضة عمال موسكو المسلحة في ديسمبر (كانون الاول) . وناضل عدة الوف من العمال المسلحين لمدة تسعة ايام نضالا بطوليا ضد البوليس والقوات القيصرية التي ارسلت من بطرسبورغ . وقد كان مكسيم غوركي في ذلك الوقت في موسكو وابدى في احدى رسائله اعجابه بنضال الطبقة العاملة المتفاني . كتب في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) : « جئت الآن من الشارع . القتال جار عند حمام ساندونوفسكي ومحطة نيقولاييفسكي وفي سوق سمولينسكي وفي كودرينو . قتال رائع ! المدافع تدوي – لقد بدأ

ذلك امس في الساعة الثانية بعد الظهر واستمر طول الليل ولا يزال مستمرا اليوم بكامله . . . انه نجاح كبير ! في الشوارع ينتزع السلاح في كل مكان من الدرك والبوليس . . . العمال يسلكون سلوكا رائعا ! » . وجرت اشد المعارك في حي بريسنيا (كراسنايا بريسنيا حاليا) . وعلى اثر موسكو اندلعت الانتفاضات في نيجني نوفغورود وروستوف على الدون ونوفوروسييسك ويكاتيرينوسلاف واوفا وكراسنويارسك وتشيتا وغيرها من المدن . ولكن كل هذه الانتفاضات كانت متفرقة وغير منظمة تنظيما كافيا ، فقمعتها الحكومة القيصرية بقسوة .

اشاد لينين كثيرا بانتفاضة ديسمبر المسلحة معتبرا اياها مأثرة بطولية خالدة للعمال الروس ساعدت في تنشئة اجيال جديدة من المناضلين تنشئة ثورية . ونظر اليها كتجربة ذات اهمية فائقة لجميع الثورات البروليتارية . ومع تبيان النواحي الايجابية للانتفاضة كشف ايضا عن النواقص التي كانت في تنظيمها . قال انه كان يجب حمل السلاح بحزم اشد وخوض المعارك الهجومية لا الدفاعية وكسب تأييد الجيش وتأمين اشتراك الفلاحين في النضال العام . تلك كانت دروس الانتفاضة . واهاب لينين بجميع العمال الواعين ان يدرسوها ويستعدوا لمعارك جديدة .

لم تبدأ الثورة بالانتكاس فورا بعد هزيمة انتفاضة ديسمبر (كانون الاول) . فالجماهير الشعبية لم تشأ ان تتراجع . ولم تهدأ الاضرابات ، واستمرت اضطرابات الفلاحين والنضالات الثورية في الاسطول والجيش . وكان لينين متصلا اتصالا مباشرا بقادة انتفاضتي البحارة والجنود في سفيابورغ وكرونشتادت ، اللتين جرتا في صيف سنة ١٩٠٦ . وكان يعطي الارشادات للبلاشفة واعضاء لجنة بطرسبورغ بضرورة اجراء اضراب تأييدا لرجال كرونشتادت . ولكن الانتفاضتين قمعتا .

وخصص لينين كتيّب « انتصار الكاديت ومهمات حزب العمال » الذي كتبه في مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ، لتعميم تجربة نضال بروليتاريا روسيا في اكتوبر- ديسمبر (تشرين الاول - كانون الاول) ١٩٠٥ . واعتبر معارك هذه الاشهر خطوة هامة المدلول في نضال الطبقة العاملة العالمي التاريخي ، استخدمت فيها لاول مرة خطة الجمع بين الاضراب السياسي الجماهيري والانتفاضة . وفضح لينين في كتيبه هذا سلوك حزب الكاديت (١) البرجوازي وبيّن رياءهم وجبنهم

---

(١) الكاديت - اعضاء الحزب الدمقراطي الدستوري الذي كان الحزب الرئيسي للبرجوازية الليبيرالية الملكية في روسيا . تأسس سنة ١٩٠٥ .

وتفاهمهم مع القيصرية وسماهم بـ « ديدان قبور الثورة » .

وللنضال بنجاح اكبر من اجل انتصار الثورة كان كثير من اعضاء الحزب العمال يطالبون بتوحيد الحزب ، ومن اجل هذا كان من الضروري عقد مؤتمر جديد .

وقد ايد لينين والبلاشفة هذا المطلب . ولكن كيف يمكن الاتحاد ؟ وعلى اي اساس ؟ على هذا السؤال اجاب لينين بقوله ان الاتحاد مع المنشفيك غير ممكن الا على اساس الماركسية الثورية. وعارض بحزم طمس الخلافات المبدئية في المسائل الاساسية للثورة . وقام بعمل ضخم لاعداد المؤتمر الرابع للحزب ، الذي كان يجب ان يتم فيه الاتحاد . ووضع منهاج البلاشفة وهو مسودة مقررات المؤتمر الاساسية . ولاعداد البرنامج الزراعي لمناسبة المؤتمر كتب لينين كتيب « اعادة النظر في البرنامج الزراعي لحزب العمال » .

وكانت هناك اعتبارات اخرى تجعل من الضروري عقد مؤتمر التوحيد . فعدا حزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي كانت في روسيا ايضا الاشتراكية ـ الدمقراطية لبولونيا وليتوانيا وحزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي اللاتفي وغير ذلك من الاحزاب الاشتراكية ـ الدمقراطية التي كان كل واحد منها يعمل لوحده مع ان مصالح

النضال ضد القيصرية تتطلب توحيد جهود جميع قوميات روسيا وتلاحم عمال البلد كله تلاحما امميا .

وفي بداية ابريل (نيسان) ١٩٠٦ سافر لينين الى ستوكهولم (السويد) للاشتراك في المؤتمر الرابع (التوحيدي) لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي. وافتتح المؤتمر في ١٠ منه في مبنى بيت الشعب الذي قدمه الاشتراكيون ـ الدمقراطيون السويديون .

والقى لينين تقريرا عن المسألة الزراعية وآخر « عن اللحظة الحاضرة والمهمات الطبقية للبروليتاريا » وتقريرا مشتركا حول مسألة الموقف من مجلس دوما الدولة ، وخطابين عن الانتفاضة المسلحة والمسألة التنظيمية ، واشترك في لجنة وضع مسودة النظام الداخلي للحزب .

جرى المؤتمر في جو من الصراع البالغ الحدة بين البلاشفة والمنشفيك . ونشبت معارك حامية حول المسألة الزراعية . فقد كان لينين والبلاشفة يدافعون عن مطلب مصادرة اراضي الاقطاعيين وتأميم الارض كلها ، اي الغاء الملكية الخاصة للارض وجعلها ملكا للدولة . وما كان يمكن تأميم الارض الا بشرط اسقاط الحكم المطلق. وعلى هذا كان البرنامج الزراعي البلشفي يدعو الفلاحين الى الثورة على القيصر والاقطاعيين .

فماذا كان موقف المنشفيك ؟ لقد اعترضوا على تأميم الارض وطالبوا بتسليم اراضي الاقطاعيين للبلديات على ان تتولى هذه تأجيرها للفلاحين . وانتقد لينين انتقادا شديدا البرنامج المنشفيكي الذي كان يعني التواطؤ مع الاقطاعيين ويثير آمالا لا تتحقق في امكان حل المسألة الزراعية بدون اسقاط حكم القيصر والاقطاعيين .

كان المنشفيك اكثر عددا في المؤتمر ولهذا استطاعوا تمرير مقرراتهم في جميع المسائل الاساسية ، بما فيها برنامج « الارض للبلديات » . وتمكن المنشفيك نيل اكثرية المقاعد في اللجنة المركزية والاستيلاء على هيئة تحرير « سوسيال ـ ديموقراط » الجريدة المركزية .

ولكن انتصار المنشفيك ما كان يمكن له ان يكون طويلا ومتينا . وكان لينين يؤمن ايمانا راسخا بانتصار الماركسية الثورية والاستراتيجية والتكتيك الثوريين . وكان على يقين من ان المنشفيك سيمنون بالهزيمة. وعلى اثر المؤتمر قام لينين بنشاط واسع قوي . فقد اقر المؤتمر قرارا بانصهار الاحزاب الاشتراكية ـ الدمقراطية القومية في روسيا في حزب واحد: حزب العمال الاشتراكي ـ الدمقراطي الروسي. وكان هذا التوحيد يتيح للبلاشفة فرصة التأثير في فئات واسعة من عمال جميع قوميات روسيا ، وييسر فضح المنشفيك وعزلهم . وكان لينين يطلع جماهير

العمال الواسعة على الصراع الذي جرى في المؤتمر ، وكتب نداء مندوبي المؤتمر البلاشفة الى الحزب واصدر كتيبا بعنوان « تقرير عن المؤتمر التوحيدي لحزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي الروسي (رسالة الى عمال بطرسبورغ) » .

كان لينين ، في متابعته بلا كلل الذود عن الخط البلشفي وشرح صحته ، يستفيد من كل فرصة للاجتماع بالعمال والمثقفين والمستخدمين والطلاب لكي يتحدث معهم . وقد القى في ٩ مايو (ايار) ١٩٠٦ خطابا في مؤتمر شعبي ضم ثلاثة آلاف شخص في بطرسبورغ فضح فيه تواطؤ حزب الكاديت البرجوازي مع الحكم المطلق ودافع عن خط البروليتاريا الثوري . واصغى الحاضرون باهتمام وانفعال عظيمين الى هذا الخطاب . كتبت كروبسكايا عن هذا الخطاب قائلة : « لقد جمد الحاضرون وكأن على رؤوسهم الطير واستولى عليهم جميعا بعد خطاب لينين ، شعور حماسي غير عادي ، وراح الجميع في هذه اللحظة يفكرون بالنضال المقبل حتى النهاية » . وكان لينين يخطب في العمال بكل رغبة ويقدم لهم الارشادات والتوضيحات في كل مسائل النضال الثوري . وقد خطب في اجتماع للعمال الاشتراكيين-الدمقراطيين في منطقة نارفا وامام عاملات

مصنع شابشال للتبغ وامام عمال حي سيميانيكوف في نيفسكايا زاستافا وكثيرين غيرهم .

وبعد ان افلح لينين ، في صراع حاد ، بجمع المنظمات الحزبية حول البلاشفة، قال بمهمة عقد مؤتمر جديد للحزب وراح يستعد له استعدادا نشيطا . وفي فبراير (شباط) ١٩٠٧ كتب مسودات مقررات لمناسبة المؤتمر الخامس لحزب العمال الاشتراكي- الدمقراطي الروسي . وفي مارس (آذار) القى تقريرا عن اللحظة الراهنة ومهمات الحزب في اجتماع ارشادي للبلاشفة الذين تفرقوا كل في مكان لاجراء الانتخابات الى المؤتمر .

وفي اواخر ابريل (نيسان) ١٩٠٧ سافر لينين الى لندن حيث جرى المؤتمر الخامس لحزب العمال الاشتراكي - الدمقراطي الروسي . وقاد عمله والقى تقريرا في المسألة الرئيسية من جدول الاعمال — حول الموقف من الاحزاب البرجوازية . وقد وصف مكسيم غوركي الكاتب البروليتاري الكبير الذي حضر المؤتمر وصفا ساطعا في مذكراته لينين كخطيب وقال ان لينين «لم يحاول انشاء الجمل الجميلة وانما قدم كل كلمة على راحة اليد معرّيا بسهولة مدهشة معناها الدقيق... وقد تكلم ، من حيث الزمن ، اقل من الخطباء الذين خطبوا قبله ، اما من حيث التأثير فكان اقوى منهم بكثير . ولست وحدى الذي شعرت

بهذا ، فالذين كانوا ورائي كانوا يتهامسون في اعجاب : « انه يتكلم بكثافة . . . » وهكذا كان ، فان كل حجة كانت تفصّل نفسها بنفسها – بالقوة الكامنة فيها » .

وقف مع لينين في المؤتمر فريق المندوبين البلاشفة المتراصّ : آ . س . بوبنوف ، ك . ي . فوروشيلوف ، ا . ف . دوبروفينسكي ، م . ن . ليادوف ، م . غ . تسخاكايا ، س . غ . شاوميان ، ي . م . ياروسلافسكي ، وغيرهم .

واقر المؤتمر مشروع قرار لينين حول الموقف من الاحزاب البرجوازية . وكانت هذه المسألة متصلة اتصالا مباشرا بتقدير الثورة في روسيا . فالاحزاب كانت تعبر عن مصالح طبقات معينة . وللقيام بدور القائد في الثورة الدمقراطية كان على الطبقة العاملة ان تعرف كنه الطبيعة الطبقية للاحزاب السياسية . وكان القرار الاينيني يطالب بالنضال نضالا لا رحمة فيه ضد احزاب المئة السود واحزاب الاقطاعيين الكبار والبرجوازية ، وبفضح الدمقراطية المزيفة لحزب الكاديت ، حزب البرجوازية الليبيرالية ، وعدم تمكينه من جر الفلاحين وراءه بالخداع . اما الترودوفيك (كما كان يسمى في مجلس الدوما نواب الفلاحين) فقد نظر اليهم لينين نظرة اخرى . فبما انهم كانوا يعبرون عن مصالح الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في

المدن فقد قال لينين بامكان الاتفاق معهم في النضال ضد القيصرية .

اكد المؤتمر الخامس صحة الخط البلشفي في الثورة . وانتصر البلاشفة في هذا المؤتمر على المنشفيك في المسائل الاخرى ايضا . وشجبت فكرة المنشفيك بعقد ما يسمى « مؤتمر العمال » الذي كان عليه ان يؤسس حزبا واسعا للعمال يضم ممثلي الاشتراكيين - الدمقراطيين والاشتراكيين الثوريين (١) والفوضويين وغيرهم . ورفض المؤتمر هذه الفكرة باعتبارها ضارة بالحركة العمالية وتعني في الحقيقة تصفية الحزب البروليتاري الحقيقي .

كان لينين يتحادث مع مندوبي المؤتمر العمال بكثير من الحنان والحب. تحدث غوركي في مذكراته عن حديث جرى بين عمال رأوا لينين لاول مرة. قال احدهم :

« انه منا !

فاعترضوا عليه :

ـ وبليخانوف ايضا منا .

فسمعت جوابا صائبا :

---

(١) الاشتراكيون الثوريون ـ حزب للبرجوازية الصغيرة في روسيا نشأ في اواخر سنة ١٩٠١ وبداية ١٩٠٢ بنتيجة توحيد مجموعات الشعبيين المختلفة .

ـ بليخانوف معلمنا وسيدنا اما لينين فزعيمنا ورفيقنا » .

انتخب المؤتمر الخامس لينين لعضوية اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي ـ الدمقراطي الروسي .

وفي بداية يونيو (حزيران) ١٩٠٧ عاد لينين من لندن الى روسيا واقام في فنلنده (١) . وكان قد اصبح واضحا آنذاك ان الثورة خاسرة . فقد تحولت الحكومة القيصرية الى الهجوم وبدأ عهد الرجعية الاسود .

وطلبت الشعبة الخاصة لدى مدبرية درك حاكمية بطرسبورغ من رئيس الاوخرانكا (٢) في بطرسبورغ معلومات عن لينين واقترحت « اثارة مسألة تسليمه من فنلنده » . وكان جواسيس القيصر يبحثون عن زعيم الطبقة العاملة في كل مكان . فاضطر لينين الى الانتقال الى اعماق الاراضي الفنلندية . ولكن حتى هناك اصبح مقامه في خطر . ولهذا قرر المركز البلشفي ان يسافر لينين الى الخارج .

لم تكن مغادرة فنلنده سهلة . فلتفادي الملاحقة والاعتقال اضطر لينين الى ركوب الباخرة لا في الميناء بل في احدى الجزر . ولكنه كان عليه ان يأتي الى الجزيرة

---

(١) كانت فنلنده آنذاك جزءا من الامبراطورية الروسية . المترجم.

(٢) الاوخرانكا ـ « شعبة حماية الامن والنظام العام » ، أسست سنة ١٨٨١ للمباحث السياسية ومكافحة الحركة الثورية .

في الايل مشيا على جليد الخليج الفنلندي الذي لم يصلب بعد . وكاد ان يغرق هناك لان الجليد بدأ يتكسر وينزلق من تحت قدميه . وقد ذكر لينين فيما بعد انه فكر في تلك اللحظة قائلا : « آه ! يالها من ميتة حمقاء » . وهكذا استطاع ان يسافر الى الخارج في مخاطرة عظيمة . وفي هذه المرة استمر مقام لينين الاجباري في المهجر زهاء عشر سنين .

لقد هزمت الثورة الروسية الاولى التي استمرت زهاء سنتين ونصف . ولكنها احدثت ثغرة في نظام الحكم المطلق في روسيا. وكانت فاتحة فترة المعارك الثورية لعصر الامبريالية واثرت اثرا كبيرا في تطور الحركة التحررية في العالم كله وبينت ان مركز الحركة الثورية العالمية قد انتقل الى روسيا وان بروليتاريا روسيا اصبحت طليعة البروليتاريا العالمية . وقد قيم لينين ثورة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ في مقالات « دروس انتفاضة موسكو » و « دروس الثورة » « وتقرير عن ثورة ١٩٠٥ » وغيرها .

وقد اكدت الثورة تماما صحة تاكتيك لينين البلشفي وتأكدت على محك الممارسة مقولة لينين ذات الاهمية القصوى عن دور البروليتاريا القيادي في الثورة .

وفي فترة الثورة ظهر بسطوع خاص نبوغ لينين كزعيم ونظري عبقري ومنظم بارز وقائد للجماهير الكادحة .

النضال من اجل الحزب في عهد الرجعية

في يناير (كانون الثاني) ١٩٠٨ عاد لينين الى جنيف (سويسرا) . وكان من الشاق عليه ان يعود من روسيا الثورية الى الخارج ، الى المدينة الهادئة .

وكانت افكار لينين مرتبطة بالثورة الروسية . ولم تحطم هزيمة الثورة عزيمته على النضال . وانما عكف بقوة جديدة ونشاط جديد على العمل الحزبي واعداد العدة لثورة جديدة . وكان على يقين راسخ بان هزيمة البروليتاريا في الثورة الروسية الاولى ما هي الا موقتة وان انتصارها على الحكم المطلق امر لا مفر منه . ودوت بقوة عظيمة كلمات لينين الملتهبة التي خاطب بها الحزب بقوله : « لقد احسنّا العمل سنين طويلة قبل الثورة . وليس عن عبث سمينا بالصلبين . ان الاشتراكيين ـ الدمقراطيين انشأوا حزبا بروليتاريا لا تهون عزيمته بسبب هزيمة اول هجوم عسكري ولا يضيع صوابه ولا ينساق وراء المغامرات... وان هذا الحزب البروليتاري سائر نحو النصر»

وفي عهد الرجعية الكالحة التي كان يبدو ان لا بصيص فيها من نور ، كان لينين يعيش مفكرا في انتصار البروليتاريا القادم . لقد رأى هذا النصر من وراء حجب

الغيب . وكان ايمانه الراسخ به يبعث الايمان في نفوس الآخرين .

انتقمت الحكومة القيصرية في روسيا من الجماهير الشعبية لنضالها الثوري وارسل عشرات الالوف من الثوريين الى الاشغال الشاقة واعدم الالوف . وسحق البوليس منظمات العمال . واصبح الوضع في الحزب شاقا جدا . ونقص عدد اعضائه . وضعفت الصلة بين منظماته . واضطر الحزب الى العمل في الخفاء الشديد . وكانت الحكومة ترسل الى الهيئات الحزبية الاستفزازيين وتعتقل بناء على وشاياتهم المناضلين البارزين وتخرب منظمات بكاملها . وبدأت في اوساط رفاق طريق الثورة وخصوصا بين المثقفين فترة خيانات وانسحابات وعدم ثقة في امكان نهوض الحركة الثورية في روسيا من جديد . ولكن مهما استشرت الرجعية السوداء فقد كانت عاجزة عن قمع كل ما تجلى اثناء الثورة من طليعي وتقدمي ، وظلت البروليتاريا بقيادة الحزب البلشفي تسير كالسابق في رأس هذه القوى التقدمية .

ما ان وصل لينين الى جنيف حتى انصرف الى استئناف اصدار جريدة « بروليتاري » التي كانت في تلك السنين جريدة البلاشفة المركزية عمليا . واشرك لينين في عمل الجريدة ا . م . غوركي وآ . ف . لوناتشارسكي وغيرهما

من كبار الكتاب. وتطلب تنظيم الجريدة عملا كبيرا من لينين اذ لم يكن يشتغل في اصدارها فقط بل كان يهتم ايضا بايصال الجريدة الى روسيا . وفي اواخر فبراير (شباط) ١٩٠٨ بدأت جريدة « بروليتاري » تصدر من جديد . وقد رأى لينين في جريدة الحزب ، في ظروف الرجعية القاسية ، وسيلة بالغة الاهمية لجمع صفوف الكادرات البلشفية وتنشئتها ، واداة لاعداد الحزب والطبقة العاملة لنهوض جديد للثورة .

ونشأ سؤال : كيف يمكن في هذا الجو الثقيل القيام بالعمل الحزبي وحفظ الحزب الثوري وتقوية صلاته بالجماهير وما هي اشكال النضال التي يجب استخدامها .

كان لينين والبلاشفة يرون ان من الضروري تدعيم المنظمات الحزبة السرية وفي الوقت نفسه استخدام المنظمات العمالية العلنية . لقد كان لينين يعلم الحزب ان يتحلى بمرونة في القضايا التكتيكية وان يحسن التراجع في انتظام مع المحافظة على صفوفه . وهذا هام بقدر اهمية معرفة الهجوم . كان يعلم الحزب القيام من اجل الثورة بعمل يومي غير ملحوظ والسعي الى استخدام كل فرصة للكلام المكشوف في مجلس دوما الدولة (كما كان يسمى المجلس الشبيه بالبرلمان ، الذي انشأته الحكومة القيصرية في اثناء الثورة الروسية الاولى) والعمل

في النقابات وصناديق التأمين والتعاونيات واندية العمال وهكذا كان لينين يعلم البلاشفة الجمع بمهارة بين العمل السري والعلني . وكان تاكتيك لينين المرن هذا ، وهو التاكتيك الصحيح الوحيد ، يسمح للحزب ، في اوضاع ذلك العهد الشاقة ، بان يقوي صلته بالجماهير وان يعدها لثورة جديدة .

كان نضال لينين لحفظ وتدعيم الحزب يلقى العداء من الخصوم الكثيرين . فبعد هزيمة الثورة تراجع المنشفيك في ذعر وفوضى وتخلوا بشكل معيب عن برنامج الحزب وشعاراته وعملوا لتصفية منظماته السرية والتوقف عن العمل الثوري السري . ولهذا سموا بالمصفّين . وكان المنشفيك المصفون ، لعدم ايمانهم بقيام ثورة جديدة في روسيا ، يدعون الطبقة العاملة الى التفاهم مع البرجوازية والتسليم بالانظمة الرجعية . وكان املهم من ذلك ان يحصلوا على اذن بوجود حزب عمالي علنا . ولكن ما كان يمكن ان يكون في روسيا القيصرية وجود علني لحزب البروليتاريا الثوري . وبالتالي فان المنشفيك كانوا يريدون عن قصد انشاء حزب انتهازي لا ثوري . وكان هذا خطرا كل الخطر . وقد فضح لينين بلا كلل المصفين بوصفهم اعداء للحزب يجب النضال ضدهم

بلا رحمة . وكتب يقول ان المسألة المطروحة هي :
« ان يكون حزبنا القديم السري او لا يكون » .

وابدى بعض البلاشفة الضعفاء ايضا تذبذ بات خطرة ، وحاولوا ، تحت ستار من العبارات الثورية ، صرف الحزب عن العمل في المنظمات العمالية العلنية ، واقترحوا سحب الكتلة الاشتراكية - الدمقراطية من مجلس دوما الدولة . ومن هنا اسموا بالسحبيين . وقد وقف لينين بحزم ضد وجهات النظر الضارة بالحزب هذه وابان ان التخلي عن العمل العلني يؤدي بالحزب الى الانفصال عن الجماهير ويحوله الى منظمة مغلقة على نفسها عاجزة عن جمع القوى لنهوض ثوري جديد ، وان هذا وخيم العواقب على الحزب ويعني عمليا تصفيته . ولهذا اسمى لينين السحبيين بالمصفين المقلوبين وبين ان المصفين والسحبيين ليسوا ثوريين حقيقيين بل مجرد عناصر من البرجوازية الصغيرة كانوا رفاق طريق للبروليتاريا وان هؤلاء واولئك لا يؤمنون بالثورة وبانتصار الطبقة العاملة . وكان من رأي لينين ان حزب البروليتاريا عليه ان يطهر صفوفه من هؤلاء الانتهازيين .

في اواخر سنة ١٩٠٨ نقل مكان اصدار جريدة « بروليتاري » الى باريس التي كانت في ذلك الوقت مركز الهجرة الروسية . وانتقل الى هناك ايضا لهذا السبب

لينين وكروبسكايا (وسكنا في شارع ماري روز رقم ٤ في شقة انشيء فيها الآن متحف لينين) .

كانت ظروف حياة لينين واسرته صعبة جدا . فلاستخدام جرائد ومجلات وكتب « المكتبة الوطنية » الرئيسية كان على لينين ان يذهب على الدراجة من طرف المدينة ، حيث استأجر الشقة باجر اقل ، وان يقطع كل المدينة تقريبا . فكان هذا يستغرق كثيرا من وقته.

وكان عدد الروس المهاجرين في باريس غير قليل ومن مختلف التيارات . وكان ثمة كثير جدا من الضجة والازدحام والمشاحنة، الامر الذي كان يزعج لينين ويؤثر تأثيراً سيئا على العمل. فكان يحاول الخروج من المدينة انتجاعا للراحة واحيانا كان يستطيع الذهاب الى ساحل البحر .

كان لينين يشترك اشتراكا نشيطا في عمل جماعة باريس البلشفية وكثيرا ما كان يلقي التقارير عن الوضع السياسي في روسيا وعن كومونة باريس (١) وعن غيرهما من المسائل . وكان يدرس بانتباه حياة فرنسا

---

(١) كومونة باريس سنة ١٨٧١ – حكومة ثورية للطبقة العاملة انشأتها الثورة البروليتارية في باريس ، واول حكومة لديكتاتورية البروليتاريا في التاريخ استمر وجودها ٧٢ يوما ، من ١٨ مارس (آذار) حتى ٢٨ مايو (ايار) ١٨٧١ .

الكادحة ويحضر اجتماعات العمال ويتردد الى المسارح الموجودة في الاحياء العمالية حيث كانت تعرض مسرحيا ت ممنوعة في مركز المدينة ذا ت موضوعات ثورية .

حافظ لينين في عهد الرجعية الثقيل على مرحه وروحه الاجتماعية ونشاطه . وبالرغم من ضخامة عمله كان يجد ما يكفي من الوقت لمشاهدة مسرحية جديدة وزيارة متحف واللعب بالشطرنج مع الرفاق ومعاودة قراءة مؤلفات كتابه المحبوبين . وكان في حديثه مع الكتاب القادمين من روسيا يسأل مهتما عن نفسية الشباب وعما هي المطبوعات التي تلقى اكبر الاقبال بينهم . وكان رفاقه ، كما في جنيف سابقا ، يحبون قضاء وقتهم في بيته ، يجذبهم اليه ذلك الجو من الصداقة والرعاية وحسن المعاملة والحساسية تجاه مصائب الآخرين . قال سيماشكو في مذكراته : « كانت الاكثرية العظمى من المهاجرين يعيشون في ظروف شاقة جدا ، يأوون الى فراشهم مساء غير عارفين ماذا سيأكلون غدا . وكان عندنا صندوق تعاون يسهم فيه لينين بكل ما في وسعه . وكان يحدث ان يدعى لالقاء تقرير مدفوع الاجر لمصلحة الرفاق المحتاجين . ومع انه كان منهكا بالعمل الذي يتعدى حدود طاقة البشر — تحرير الجريدة وكتابة المقالات والقاء الخطب في

الاجتماعات والتراسل مع روسيا ــ الا انه لم يكن قط يرفض بل كان يلقي التقارير المسهبة المعدة اعدادا جيدا امام جمهور غفير من المستمعين . وكان اذا لاحظ ان احدا من الرفاق عضته الحاجة بانيابها سارع الى مساعدته وبحث عن عمل ، ــ وهذا ما حدث معي اكثر من مرة » .

بعد قدوم لينين الى باريس بوقت وجيز عقد هناك مجلس عام للحزب مثل البلاشفة فيه كبريات المنظمات الحزبية. وجرى المجلس العام تحت شعار النضال ضد المصفين والسحبيين . والقى لينين التقرير الرئيسي . وبروح تقريره اتخذت المقررات التي استرشد بها الحزب في كل نشاطه في عهد الرجعية . وباقتراح من لينين شجب المجلس العام اتجاه التصفية واهاب بالمنظمات الحزبية الى النضال ضده بحزم وبلا هوادة .

كتب لينين في مقاله «الى الجادة» ان المجلس العام كان نقطة انعطاف في تطور الحركة العمالية في روسيا بعد هزيمة الثورة ونصرا كبيرا للبلاشفة . « . . . ان الاشتراكية ـ الدمقراطية التي برهنت اثناء الثورة السافرة انها حزب الطبقة والتي استطاعت ان تجر خلفها الملايين الى الاضراب والى الانتفاضة المسلحة في سنة ١٩٠٥ ، والى الانتخابات في سنتي ١٩٠٦ ــ ١٩٠٧ ، تستطيع ان

تبقى في الظرف الراهن ايضا حزب الطبقة ، حزب الجماهير ، تستطيع ان تبقى الطليعة ، التي لا تنفصل عن كامل الجيش في اصعب الاوقات ، تستطيع ان تساعده على اجتياز هذه الظروف العصيبة وتستطيع ان ترص صفوفه من جديد ، وان تحضر من المناضلين رعيلا في اثر رعيل » .

كان لينين يربط ربطا وثيقا بين نشاط الحزب العملي والنضال من اجل النقاوة الفكرية لاسسه النظرية ومن اجل الوفاء لتعاليم ماركس وانجلس . وناضل لينين بحماسة وغضب ضد محاولات اعادة النظر في الاسس الفلسفية للماركسية وضد محاولات تصوير الاشتراكية بانها نوع جديد من الدين . وقد عمل لاعادة النظر هذه بعض الاشتراكيين ـ الدمقراطيين ومنهم افراد من البلاشفة غير ثابتين فكريا . وكان ذلك هجوما جديدا للتحريفيين ، في ميدان فلسفة الماركسية هذه المرة .

كان انتشار الآراء التحريفية في مسائل الفلسفة يشكل خطرا كبيرا على الحزب والطبقة العاملة وادى الى التسليم بوجود النظام الرجعي والايديولوجية البرجوازية في روسيا القيصرية والى التخلي عن النضال الثوري . فكان من الضروري الرد على المحرفين بحزم . وقد تولى لينين هذا الامر . فقد كان دائما يولي اهتماما كبيرا بنشر وتطوير

فلسفة الماركسية. وفي عهد الرجعية، عندما اصبحت الحاجة ماسة بشكل خاص الى الدفاع عن الفلسفة الماركسية، كتب لينين كتاب «المادية والمذهب النقدي التجريبي. ملاحظات انتقادية حول فلسفة رجعية » (كتب في فبراير — شباط ١٩٠٨ وطبع في مايو— ايار ١٩٠٩ بالاسم المستعار « فل . ايلين ») . وهذا الكتاب هو نتاج عمل علمى ضخم قام به لينين. فقد درس مئات الكتب والمقالات لمختلف المؤلفين في الفلسفة وعلم الطبيعة والفيزياء باللغات الالمانية والفرنسية والانجليزية والروسية ، وعاود قراءة مؤلفات ماركس وانجلس الفلسفية واعمال بليخانوف وميرينغ وفورباخ وغيرهم من الفلاسفة . وفي ايار (مايو) ١٩٠٨ سافر لينين من جنيف الى لندن حيث عمل قرابة شهر في مكتبة المتحف البريطاني . ويتضح من رسائل لينين الى اقربائه كم كان شاقا عليه اصدار هذا الكتاب علنا في روسيا . وقد امكن بمساهمة سكفورتسوف - ستيبانوف الاتفاق على طبع الكتاب مع دار « زفينو » للنشر في موسكو . ورجا فلاديمير ايليتش اخته آنا ايلينيتشنا كثيرا ان تعجل في اصدار الكتاب . فقد كان مستعجلا في هذا لانه كان قد دعي الى اجتماع لهيئة تحرير « بروليتاري » الموسعة (وهي عمليا مركز بلشفي) تطرح فيه مسألة الموقف من السحبيين . وفي اواخر ايار

(مايو) ١٩٠٩ ابلغ آنا ايلينيتشنا : « تلقيت الكتاب واری ان طباعته جيدة . . . انا على العموم راض عن الطبعة » .

وفي هذا الكتاب فضح لينين اعداء الفلسفة الماركسية وبين ان بين الفلسفة والسياسة صلة متينة وان الماركسية هي الوحدة التي لا تنفصم بين النظرية العلمية والممارسة الثورية . وانتقد انتقادا قاصما الآراء الرجعية للفيلسوفين البرجوازيين (ماخ وآفيناريوس) وبعض الاشتراكيين - الدمقراطيين الذين قطعوا صلتهم بفلسفة الماركسية . ان هؤلاء الاشتراكيين - الدمقراطيين (آ . آ . بوغدانوف وغيره) الذين ابتعدوا عن الماركسية في مجال الفلسفة ، وقفوا موقفا خاطئا في السياسة ايضا . ولعب كتاب « المادية والمذهب النقدي التجريبي » دورا مرموقا في حماية وتطوير الفلسفة الماركسية وفي تسليح كادرات الحزب بالسلاح النظري . ولا يزال هذا الكتاب حتى الآن سلاحا فكريا صارما في يد الحزب في النضال ضد الفلسفة المثالية البرجوازية المعاصرة وضد المحرفين على اختلاف ضروبهم .

ايد ف . ف . فوروفسكي وا . آ . تيودوروفيتش وي . ا . رودزوتاك ون . آ . سكريبنيك وكثير من البلاشفة العمال نضال لينين ضد السحبيين تأييدا حارا . واحدث

كتاب لينين ، كما جاء في كثير من المذكرات ، اثرا عظيما في الجميع . اما في الخارج فقد ايد ا . ف . دوبروفينسكي عضو هيئة تحرير جريدة « بروليتاري » تأييدا شديدا لينين في اثناء المناقشات الفلسفية . وفي احدى المناقشات التي جرت في جنيف في مايو (ايار) ١٩٠٨ القى كلمة رائعة ضد آراء بوغدانوف المثالية . وكان لينين هو الذي وضع الخطوط العامة لهذه الكلمة .

كان لينين لا يعرف الهوادة في النضال من اجل الحزب ومن اجل نقاوته الفكرية ومن اجل السياسة الماركسية حقا . ولم يكن يطيق صبرا على البلبلة الفكرية وعلى التهرب من النضال المباشر والصريح ويرى هذا شديد الضرر على الحزب الذي كان يضع مصالحه فوق كل مصلحة . وما كان لاية افضال سابقة ان تنقذ من النقد اللينيني الشديد كل من يبتعد عن الماركسية وعن الخط الثوري لحزب العمال . كتب لينين الى غوركي في مارس (آذار) ١٩٠٨ : « لا بد ان تفهم ولسوف تفهم طبعا انه ما دام رجل الحزب قد ايقن ان شيئا معينا خاطىء كل الخطأ وضار فهو ملزم بان يحاربه » .

ونزولا عند رجاء غوركي ذهب اليه لينين لمقابلته في ايطاليا ، في جزيرة كابري ، في نيسان (ابريل) ١٩٠٨ . وقد رجا لينين غوركي فور وصوله ألا يحاول

اطلاقا مصالحته مع بوغدانوف وانصاره الموجودين في كابري. وقد كرس لينين وقتاً طويلا للمحادثة مع غوركي عن روسيا. واستمع باهتمام كبير الى قصص غوركي عن طفولته ويفاعه وعن تجوابه الآفاق ونصحه ان يكتب عن هذا . وقد وصف غوركي حياته فيما بعد في روايات « الطفولة » و« مع الناس » و« جامعاتي » . وكان لاحاديث لينين اثر كبير في غوركي وساعدته في الخلاص من الآراء الخاطئة . كتب غوركي يقول : « كان موقفه مني موقف المعلم الصارم والصديق الحنون الطيب » .

وفي يونيو (حزيران) ١٩٠٩ وقف لينين بحزم ضد السحبيين في اجتماع موسع لهيئة تحرير جريدة « بروليتاري » . وبين اي ضرر يسببه السحبيون للحركة العمالية ولوحدة الحزب. واكد الاجتماع ان الحزب البلشفي لا يمت باية صلة الى الاتجاه السحبي ودعا اعضاء الحزب الى النضال الحازم ضده . واشار الاجتماع ايضا الى ان المنشفيك العمال في عدد من المنظمات الحزبية عارضوا المصفين ودافعوا عن الحزب السري . ووقف بليخانوف ايضا ضد المصفين . ودون ان يسكت الاجتماع عن الخلافات المبدئية التي بين البلاشفة والمنشفيك اقترح السعي الى التقارب مع هذا القسم من العناصر الحزبية التي كانت تسمى بالمنشفيك الحزبيين وتقدم لينين

بخطة لتوحيد جميع القوى الحزبية على اساس مبدئي من النضال في سبيل الحزب السري .

ناضل لينين بلا هوادة ليس فقط ضد الانتهازيين السافرين الذين كان يمثلهم المصفون بل ناضل ايضا ضد اولئك الذين يخفون انتهازيتهم بعبارات ثورية . وفي سياق هذا النضال قوّى الحزب البلشفي صفوفه وذاد عن السياسة الثورية والتكتيك الثوري. وقد كتب لينين فيما بعد ، في كتاب « مرض « اليسارية » الطفولي في الشيوعية » ، ان البلاشفة استطاعوا بعد هزيمة الثورة ان ينسحبوا انسحابا صحيحا حافظوا فيه على صفوفهم لانهم « فضحوا ثوريي الكلام بلا رحمة ونبذوهم نبذ النواة » .

وتخلص الحزب من اناس يميلون الى الكلمات « الثورية » الجميلة ولكنهم لا يحسنون ولا يريدون العمل اليومي المستمر .

كان تروتسكي يعيق نضال البلاشفة في سبيل حزب ثوري متين . فقد كان يصرح ، نفاقا ورياء ، بانه يسعى لاحلال السلام في الحزب، مع انه في الواقع يدافع عن المصفين ويشكل كتلة مضادة للينين من الجماعات والتيارات المعادية للحزب . وقد فضح لينين تروتسكي كمنافق ووصولي ومفتر يلعب على الحبلين . وقد اطلق

على تروتسكي في تلك السنين لقب « يهودوشكا » المشين (١) .

وكان لينين يرى ان من اهم مهمات الحزب في تلك الفترة استخلاص نتائج الثورة الروسية الأولى ونشر دروسها في الطبقة العاملة والجماهير الشعبية . وكان يدعو الى دراسة التجربة البالغة الغنى الحاصلة من نضال الجماهير دراسة دقيقة ويربي العمال على روح التقاليد الثورية الكفاحية .

ورأى لينين النتيجة الاولى في ان البروليتاريا استولت على دور الزعامة في الثورة الدمقراطية وان الطبقات المقهورة تعلمت النضال الجماهيري الثوري . وشرح لينين مدى اهمية تدعيم التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين . وبين بعمق لا مثيل له عظمة منجزات البروليتاريا الروسية . كتب يقول : « . . . ان البروليتاريا الروسية ، بنضالها البطولي في غضون ثلاث سنين (١٩٠٥ – ١٩٠٧) ، نالت لنفسها وللشعب الروسي ما انفقت الشعوب الاخرى على نيله عشرات السنين » . وكان

---

(١) يهودوشكا – بطل رواية « السادة غولوفليوف » الكاتب الروسي الساخر سالطيكوف ـ شيدرين ، لقب بيهودوشكا لريائه وخبثه . وقد اصبح اسم يهودوشكا غولوفليوف اسما يطلق على كل من يتحلى بهذه الصفات .

لينين يصف طابع الثورة الروسية ودروسها في اعماله المطبوعة وخطبه وتقاريره في الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية في جنيف وباريس وغيرهما من المدن ، وكان يكشف عما للثورة الروسية الاولى من اهمية دولية عظيمة ، اذ كانت فاتحة نهوض جديد في الحركة الثورية في اوربا واثرت تأثيرا قويا على تطور نضال شعوب آسيا الوطني التحرري . قال لينين فيما بعد : « لولا « التمرين الاخير » الذي حدث سنة ١٩٠٥ لما امكن ان تتحقق الثورة سنة ١٩١٧ ، لا البرجوازية منها ، ثورة فبراير (شباط) ، ولا البروليتارية ، ثورة اكتوبر (تشرين الاول) » .

واشتغل لينين كثيرا ، في عهد الرجعية ، بالمسألة الزراعية ، اي مسألة العلاقات العقارية في روسيا ، وابان ان الارض يجب ألا تكون ملكا للاقطاعيين والرأسماليين بل يجب ، بعد اسقاط القيصرية ، تسليمها للدولة لكي يستعملها الفلاحون بلا عوض . ومن اهم المؤلفات التي كتبها لينين في تلك الفترة كتاب « البرنامج الزراعي للاشتراكية - الدمقراطية في الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ — ١٩٠٧ » .

وترأس لينين النضال ضد الانتهازية في الحركة العمالية العالمية وفعل الشيء الكثير لتنظيم وتوحيد القوى الثورية ، واشترك اشتراكا نشيطا في مؤتمرات الاممية الثانية —

الجامعة الدولية للاحزاب الاشتراكية ــ وكتب المقالات والقى التقارير عن الحركة العمالية العالمية .

وفي خريف ١٩١٠ سافر لينين الى ستوكهولم لمقابلة امه التي لم يرها منذ ثلاث سنين . ومع ان ماريا الكسندروفنا كانت في السن الخامسة والسبعين من عمرها فان رغبتها في رؤية ابنها حملتها على السفر الى الخارج . وكان لينين كعهده دائما شديد الاهتمام والعناية الى حد مؤثر . وفي ستوكهولم سمعت ماريا الكسندروفنا لاول مرة خطابا علنيا لابنها في اجتماع للجماعة البلشفية . وفي يوم سفر الوالدة رافقها حتى الميناء ولكنه لم يستطع الدخول الى السفينة لانها تخص شركة روسية ويمكن اعتقاله فيها . كتبت كروبسكايا : « لقد كانت تلك آخر مرة يرى فيها امه . وقد استشعر ذلك وتابع السفينة الذاهبة بعينين حزينتين . وعندما عاد الى روسيا سنة ١٩١٧ ــ اي بعد سبع سنين ــ كانت قد فارقت الدنيا » . (توفيت والدة لينين سنة ١٩١٦) .

وفي اواخر سبتمبر (ايلول) عاد لينين الى باريس .

وكان اعظم فضل له انه في تلك الفترة العصيبة جدا في حياة الحزب والطبقة العاملة ــ فترة الرجعية القيصرية الكالحة ــ دل على الطريق الصحيح للسير قدما الى امام . فعلى هدى ارشادات لينين عزز البلاشفة الحزب وجمعوا

صفوف الطبقة العاملة للقيام بهجوم جديد على الحكم المطلق وازدادوا يقينا بان الثورة الجديدة في روسيا امر محتم وانها ستؤدي الى انتصار الكادحين .

في فترة النهوض الثوري الجديد

سرعان ما تأكد تنبؤ لينين بحتمية النهوض الثوري الجديد . فلم تستطع الملاحقات والاضطهادات على اختلافها وقف النمو الذي لا يرد لنضال الجماهير الثوري . وبدأ انتعاش الحركة العمالية من جديد في روسيا سنة ١٩١٠ . وجرت في الصيف والخريف ، في مصانع بطرسبورغ وموسكو وغيرهما من المدن الكبرى ، اضرابات ومظاهرات ومؤتمرات شعبية وغير ذلك من النضالات السياسية . وفي السنين التالية ظلت الحركة الثورية على تصاعدها . ودخل الفلاحون والجيش والاسطول غمرة النضال . وترأس الحزب البلشفي حركة الجماهير الثورية .

وطرح لينين على البلاشفة ، كمهمة بالغة الاهمية ، ان يحيوا في روسيا الصحافة الماركسية العلنية التي حطمت في سنوات الرجعية القاتمة . وقد ذلل البلاشفة صعوبات هائلة ونظموا اصدار جريدة « زفيزدا » الاسبوعية في بطرسبورغ في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٠ ومجلة

« ميسل » في موسكو . وقد صدر في « زفيزدا » و « ميسل » اكثر من خمسين مقالة وكلمة صغيرة للينين . وبقيادته اصبحت « زفيزدا » جريدة ماركسية كفاحية .

ولاحظ لينين بسرور كبير نمو الكادرات الحزبية من بين العمال واهتم باعدادها سياسيا . ونظم في ربيع سنة ١٩١١ مدرسة حزبية في محلة لونجومو القريبة من باريس. وكان طلابها العمال المناضلون السريون من المنظمات الحزبية الكبيرة. وقد ذكرت كروبسكايا فيما بعد كيف استقبل لينين في سرور العمال البطرسبورغيين الذين كانوا اول من جاء الى باريس وتحدث معهم طول المساء .

كان يتعلم في المدرسة ١٨ عاملا اتوا من بطرسبورغ وموسكو وسورموفو ويكاتيرينوسلاف ونيقولايف ومنطقة دومبروفسكي (بولونيا) وباكو وتفليس وغيرها من المدن . وتلا لينين في المدرسة ٢٩ محاضرة في الاقتصاد السياسي و ١٢ محاضرة في المسألة الزراعية و١٢ محاضرة في نظرية وممارسة الاشتراكية في روسيا . ونزولا عند رجاء التلاميذ تلا لينين عدة محاضرات في الفهم المادي للتاريخ وموجز رسالة عن اللحظة الراهنة والوضع القائم في الحزب. وكانت محاضراته تمتاز بسهولة فهمها ووضوحها . كان يعرض اصعب مسائل الاقتصاد السياسي والفلسفة في شكل بسيط ومفهوم للعمال . وكثيرا ما كانت الدروس

تأخذ شكل حديث حي يشترك فيه جميع التلاميذ . وكانوا يتعلمون في دأب وكثرة .

وكان لينين راضيا عن عمل المدرسة التي غدت الصورة الاولى للمدارس الحزبية البلشفية والجامعات الشيوعية القادمة . وقد اقام الشيوعيون الفرنسيون في لونجومو ، في ملتقى شارع المدرسة وشارع غران رو ، في المنزل رقم ٩١ الذي سكن فيه لينين ، لوحة تذكارية كتب عليها :

« هنا سكن في سنة ١٩١١ ف . ا . لينين نظري وقائد الحركة الشيوعية العالمية ومؤسس الاتحاد السوفييتي » .

في اواخر سنة ١٩١١ القى لينين في باريس خطابا باسم حزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي الروسي عند تشييع جنازة بول لافارغ وزوجته لاوورا ابنة ماركس . والقى الخطاب باللغة الفرنسية . وفي هذا الخطاب القصير والرائع من حيث المحتوى اشار لينين الى افضال لافارغ كواحد من انبغ مروجي افكار ماركس . وقال ان فصيلة العمال الروس الطليعية وحدت صفوفها تحت راية هذه الافكار وكالت بنضالها الجماهيري المنظم ضربة للقيصرية وراحت تدافع عن قضية الاشتراكية ، قضية الثورة ، قضية الدمقراطية ، بالرغم من كل خيانات

البرجوازية الليبيرالية وتذبذباتها وتقلباتها . ثم قال لينين ان الثورة الروسية « دشنت عهد الثورات الدمقراطية في آسيا كلها ، وثمة ٨٠٠ مليون نسمة اخذوا اليوم يسهمون في الحركة الدمقراطية الدائرة في العالم المتمدن من اقصاه الى اقصاه » . وفي ختام خطابه عبر لينين عن الاقتناع الراسخ بانه يقترب عصر « المعارك الثورية التي تشنها البروليتاريا المنظمة والمرباة بروح الافكار الماركسية من اجل اسقاط سيادة البرجوازية واقامة النظام الشيوعي » .

وبسبب انتعاش الحركة العمالية في روسيا واحتدام النضال ضد اتجاه التصفية اشتدت الحاجة الى تدعيم المنظمات الحزبية وتحسين عملها . وطرحت مسألة عقد مجلس عام للحزب بلا ارجاء . فاتخذ لينين والبلاشفة التدابير لعقده . وارسل الى روسيا ، لاعداد المجلس العام ، طلاب المدرسة الحزبية وفيهم اوردجونيكيدزه احد كبار رجالات الحزب البلشفي وغيره من العاملين البارزين في الحزب . وانشئت لجنة تنظيمية روسية لعقد المجلس العام اعار لينين لنشاطها اهمية سياسية عظيمة . وكتب يقول ان المركز الحزبي الروسي قد اجتمع لاول مرة بعد اربع سنين من التداعي والاختلاف وان « الراية رفعت واندفعت اليها حلقات العمال في كل روسيا ولن يسقطها الآن اي هجوم معاد للثورة ! »

بناء على اقتراح لينين تقرر عقد المجلس العام للحزب في براغ . وسافر لينين من باريس الى براغ في بداية سنة ١٩١٢ ، وهناك ، في بيت الشعب ، في مقر الجريدة الاشتراكية ـ الدمقراطية التشيكية ، وفي سرية شديدة ، عقد المجلس العام لكل روسيا ، الذي دخل تاريخ الحزب باسم مجلس عام براغ . وفي الوقت الحاضر اعيدت الغرفة التي جرى فيها ، الى شكلها الذي كانت عليه في ايام المؤتمر وافتتح متحف للينين في البناية نفسها في ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٣ .

اسدى الرفاق التشيكيون من الاشتراكيين ـ الدمقراطيين مساعدة كبيرة في تنظيم المجلس العام وقدموا له المكان واهتموا بالمندوبين واسكنوهم في منازل العمال . وقد سكن لينين مع مندوب منظمة بطرسبورغ العامل ا . ب . اونوفرييف الذي كتب فيما بعد قائلا : « انه بمرحه ونشاطه وحيويته اصبح حالا قريبا الينا وكأننا نعرفه منذ سنين وسنين . لقد كان لينين يحسن استطلاع الشيء الرئيسي والاساسي . ولشد ما اسرتنا حالا بساطة لينين المدهشة وانفتاحه هذا ! » . وقد ابدى لينين اشد العناية بكل مندوب من المندوبين الذين ادهشهم عمق معرفته لاوضاع الطبقة العاملة والفلاحين في روسيا وللحالة السائدة في البلاد .

قاد لينين كل عمل المجلس العام . وبناء على اقتراحه اعلن المجلس العام الذي وحد جميع المنظمات الحزبية تقريبا الموجودة آنذاك في روسيا ، انه هيئة الحزب العليا المدعوة الى انشاء المؤسسات المركزية ذات الصلاحية وبعث الحزب . والقى لينين خطابا في افتتاح المجلس العام وترأس جلساته والقى تقارير وكتب مسودات المقررات في اهم مسائل جدول الاعمال وسجل التقارير عن العمل في مختلف الاماكن .

واقر المجلس العام مشروع قرار اقترحه لينين عن اللحظة الحاضرة ومهمات الحزب ولفت نظر المنظمات الحزبية الى ان امامها ، كما في السابق ، عملا طويلا للتربية الاشتراكية وتنظيم وجمع صفوف جماهير البروليتاريا الطليعية ، وان من الضروري القيام بعمل مشدد لاعادة التنظيم الحزبي السري الذي يستخدم كل الامكانيات العلنية بشكل اوسع من السابق . وسيكون هذا التنظيم قادرا على قيادة نضال البروليتاريا الاقتصادي ولن يستطيع غيره ، كما جاء في القرار ، قيادة « كل نضالاتها السياسية المتزايدة » .

واستمع مندوبو المجلس العام باهتمام كبير الى تقرير لينين عن نشاط المكتب الاشتراكي الدولي وعن الصراع في الحركة العمالية العالمية . واشتمل تقرير لينين

على احكام هامة عن الحقبة التاريخية الجديدة ، حقبة الثورات الاشتراكية ، حقبة « المعارك ضد البرجوازية » حسب تعبير لينين ، وعن الصراع بهذا الصدد في الحركة العمالية العالمية بين الاشتراكيين ـ الدمقراطيين الثوريين والاصلاحيين . ووقف لينين وقفة خاصة عند الوضع السائد في الحزب الاشتراكي ـ الدمقراطي الالماني . واشار الى التأزم البالغ للعلاقات في داخل هذا الحزب ـ « من الخارج وحدة ومن الداخل تياران مختلفان » . وقال : « لا شك ان الاشتراكية ـ الدمقراطية الالمانية ستدخل الحقبة الجديدة ـ حقبة الثورة الاشتراكية ، وان الازمة الاقتصادية والعسكرية والمضاعفات الدولية تقرّب ايضا اعراض هذه الحقبة » .

وجه لينين في كل خطبه في المجلس العام اهتماما كبيرا لمسألة اشكال العمل الحزبي التنظيمية الجديدة الاكثر مرونة ، التي ـ تؤمن الصلة بالجماهير وتتفق مع ظروف نهوض الحركة العمالية . واكد مجددا على اهمية استخدام المنظمات الحزبية بمهارة لجميع انواع العمل العلني وفي الدرجة الاولى عمل كتلة مجلس الدوما والنقابات والجمعيات العمالية العلنية .

وتطرق لينين باسهاب الى ماهية العمل الذي يجب ان تقوم به المنظمة الحزبية بواسطة الجمعيات العمالية

العلنية : تنظيم المحاضرات ، وتوزيع المطبوعات البلشفية العلنية بواسطة المكتبات العامة وقاعات المطالعة ، والعمل في الاندية ، وغير ذلك . وقال لينين : هل عملنا على توسيع هذه الجمعيات ؟ هل قدمنا تقارير عن هذه الجمعيات في المصانع ؟ واشار لينين الى ان المنظمات الحزبية لم تفعل بعد ما فيه الكفاية في هذا الميدان . وان على الخلايا السرية ان تنشئ من حولها شبكة من المنظمات العلنية فهذا سيوسع قاعدة العمل الحزبي . وقال لينين : لا بأس ان تكون المنظمة الحزبية اقل تقولبا « ولكنها متسعة بالعمل في الجمعيات العلنية . . . لها خلية مرتبطة بالجريدة المركزية ، تتصل مرة في السنة وتعمل بمئة مرة اكثر مما في السابق » . ومع هذا اكد لينين على ان العمل الثقافي في المنظمات العلنية يجب ان يكون مشبعا بروح الحزبية . وقد رأى في هذا ، فيما رأى ، ضمانة نجاح النضال ضد المصفين . وحدد المجلس العام خط الحزب السياسي وتاكتيكه في ظروف النهوض الثوري الجديدة .

كان لمجلس عام براغ دور بارز في بناء حزب البلاشفة، الحزب ذي الطراز الجديد ، وكانت اهميته كاهمية مؤتمر الحزب . واتخذ المجلس العام قرارا بطرد المنشفيك المصفين من الحزب واعلن فصلهم عن

الحزب ، واهاب بجميع اعضاء الحزب الى النضال ضد اتجاه التصفية وشرح ضرره على قضية تحرير الطبقة العاملة وتركيز الجهود لاعادة وتدعيم المنظمات الحزبية السرية .

كانت خطب لينين وكل عمل المجلس العام مشبعة بروح عدم الهوادة مع الانتهازية . وكانت لمقررات مجلس عام براغ اهمية عالمية كبيرة ، اذ كان انفصال البلاشفة التنظيمي التام عن الانتهازيين قدوة تحتذى للعناصر الثورية في الاحزاب الاشتراكية ـ الدمقراطية الاخرى .

وانتخب المجلس العام لجنة الحزب المركزية برئاسة لينين وعضوية اناس صامدين بواسل مجربين في العمل السري الشاق . وكان من الذين انتخبوا الى اللجنة المركزية : ف . ا . لينين ، ف . ا . غولوشيكين ، غ . ك . اوردجونيكيدزه ، س . س . سبانداريان . وضمت اللجنة المركزية ا . س . بيلوستوتسكي وي . ف . ستالين ورشحت لعضويتها ، في حالة اعتقال احد من اعضائها ، آ . س . بوبنوف وم . ا . كالينين وي . د . ستاسوفا وس . غ . شاوميان . وفيما بعد ضمت اللجنة المركزية الى عضويتها غ . ا . بتروفسكي وي . م . سفردلوف . وكتب لينين الى غوركي :

« اخيرا امكن ، برغم الاوغاد المصفين ، بعث الحزب ولجنته المركزية . وآمل ان تسر لهذا معنا » .

بعد المجلس العام عكف لينين والبلاشفة بنشاط على تحقيق مقرراته . وتوزع اعضاء اللجنة المركزية والمندوبون في مختلف الاماكن لالقاء التقارير . ونصح لينين في رسائله بطبع جميع مقررات المجلس العام بشكل منشورات وتوزيعها في مختلف الاماكن وبين الجماهير : « انكم بالمنشورات تنالون كل شيء » . واكد على ضرورة اعادة الصلة عاجلا مع المنظمات الحزبية . كتب الى اعضاء مكتب اللاجنة المركزية في روسيا : « ... اعطونا المزيد من الصلة . الصلة ، الصلة ، الصلة ، هذا ما ليس موجودا عندنا . وبدون هذا يكون كل شيء متقلقلا » . ولقيت مقررات المجلس العام تأييد المنظمات الحزبية الاجماعي .

وفي ربيع سنة ١٩١٢ وبمبادرة من عمال بطرسبورغ ايدها لينين بحرارة ، اسست جريدة « البرافدا » (« الحقيقة ») البلشفية اليومية العلنية. وصدر العدد الاول منها في بطرسبورغ في ٢٢ ابريل — نيسان (٥ مايو — ايار) . وكان يدوي في ذلك الحين ، في طول البلاد وعرضها ، صوت الجماهير الغاضب على ما اقدمت عليه القوات القيصرية من اطلاق النار على العمال في مناجم ذهب

لينا في غابات التايغا السيبيرية النائية . وعمت اضرابات الاحتجاج روسيا كلها على اثر حادثة لينا الشنيعة هذه .

واحتفالا بذكرى صدور العدد الاول لجريدة « البرافدا » اصبح فيما بعد اليوم الخامس من شهر مايو (ايار) عيدا للصحافة العمالية .

وانتقل لينين من باريس الى مدينة كراكوف في بولونيا ليكون اقرب الى روسيا . وهناك اقام اكثر من سنتين ، حتى بداية الحرب العالمية الاولى . كان يقيم شتاء في كراكوف وصيفا في قرية بورونينو . وكانت كراكوف قريبة الى الحدود الروسية وتصل اليها الجرائد من بطرسبورغ بعد ثلاثة ايام من صدورها وكان من الاسهل فيها التراسل والاتصال المباشر بالمنظمات الحزبية في روسيا . وكان لينين ، كعهده دائما وفي كل مكان ، يهتم بحياة السكان ويدرس معيشة العمال والفلاحين المجاورين والفقراء . وازداد اتصالا هنا بالحركة العمالية البولونية والاشتراكيين ـ الدمقراطيين البولونيين وقدم لهم مساعدة كبيرة . وكان ، كعهده دائما ، يعمل بلا كلل باذلا كل وقته وكل قواه للحزب ولقضية الطبقة العاملة .

ان الشعب البولوني يحافظ بعناية على كل ما له صلة بمقام لينين في بولونيا . ففي كراكوف وبورونينو

افتتح متحفان للينين وعلقت لوحات تذكارية على البيوت التي سكن واشتغل فيها .

وكان يقود جريدة « البرافدا » كل يوم ويتراسل مع هيئة التحرير كثيرا ويسر لنجاحات الجريدة ويساعد في اصلاح اخطائها ويسعى باصرار لنشر الجريدة في الوقت المناسب بين العمال ولزيادة عدد نسخها وبوصي بتسجيل المشتركين فيها في المصانع مباشرة . كتب يقول : « ان انتصار الروح الحزبية هو انتصار « البرافدا » والعكس بالعكس » . وقال ان على جريدة العمال ان تكون كفاحية وان تسير في الطليعة وان تطرح المشاكل بجرأة وتفضح من يضر بالطبقة العاملة والثورة .

وكان يشرح في صبر واناة الخطة التي يجب على جريدة العمال ان تنهجها تجاه المصفين . كتب الى هيئة تحرير « البرافدا » : « لا يجوز باي حال الحديث عن الوحدة مع المصفين : لا يجوز توحيد الحزب مع مخربي الحزب » . وكان يعلم العاملين في « البرافدا » ان يصغوا الى الانتقاد والا يسكتوا عن الاخطاء المرتكبة بل ان يتحلوا بالجرأة في الاعتراف بها صراحة واصلاحها . قال : « ان الخطأ الذي يصلّح يزول اما الخطأ الذي لا يصلّح فيبقى قرحة متقيحة » .

ولقد اشار لينين اكثر من مرة الى نجاحات هيئة

التحرير في اصدار الجريدة (المقالات الموفقة وزيادة حجم الجريدة ونمو عدد المشتركين فيها وغير ذلك) ولكنه كان في الوقت نفسه يذكر بان على « البرافدا » ألا ترضى بالحاصل بل ان تواصل النضال من اجل زيادة عدد القراء والتغلغل « عرضا وعمقا » .

وكان زعيم الحزب البلشفي يكتب للجريدة كل يوم تقريبا ويشرح على صفحاتها لجماهير العمال جوهر تعاليم ماركس ويكشف عن اهمية نظرية الماركسية الثورية . وكانت مقالاته المكتوبة ببساطة ووضوح تربي في القارئ مشاعر الاممية البروليتارية والتضامن الطبقي ووعي وحدة مصالح العمال في جميع البلدان . وكثيرا ما كان يكتب في شؤون الحركة العمالية الاضرابية . « لن تدور كل الدواليب اذا لم تشأ يدك ذلك » . . . هذه الكلمات من احدى اغاني العمال الالمان كان يستشهد بها عندما يصف السير الناجح لاضراب عمال مقالع الفحم البريطانيين سنة ١٩١٢ . وكان يؤكد على اهمية انسجام الاعمال وصمود المضربين واصرارهم . وقد صدر في « البرافدا » في فترة ١٩١٢ ــ ١٩١٤ اكثر من ٢٨٠ مقالة للينين نشر الكثير منها باسماء مستعارة : «ف . ايليين » و « ف . فراي » و«ف . ا . » و«ت » و« برافدي » و« احصائي » و« قارئ» وغيرها .

وكان يكتب في قلق ومرارة عن تأخر روسيا الاقتصادي ويفضح الطبقات المستغلة التي حكمت على الشعب بالفقر والبؤس والجهل

وبيّن ان الرأسمالية تعيق تطور العلم والتكنيك والثقافة ، وان الامبرياليين ، خوفا من الطبقة العاملة النامية المتزايدة قوة، مستعدون لدعم كل ما هو متأخر وفي سبيله الى الانقراض وقتل كل ما هو فتي وجديد . « ولكن الفتيّ ينمو وينتصر رغم كل شيء » – كما كتب لينين . وكان يؤيد تأييدا حارا الثورة الصينية وحركة التحرر الوطني في اقطار آسيا الاخرى .

وكان بواسطة « البرافدا » يشرح اهمية تنظيم البروليتاريا وتلاحمها : « العمال المتفرقون – لا شيء . العمال الموحدون – كل شيء » . وكان يغرس في الحزب والطبقة العاملة الثقة في انتصار الثورة القادم .

كانت « البرافدا » تتمتع بحب العمال العظيم وتصدر بالاموال التي يتبرعون بها . وكان لينين يعتبر تبرعات العمال لـ « البرافدا » بمثابة اشتراكات العضوية في حزب البلاشفة . ولعبت الجريدة دورا كبيرا في تدعيم المنظمات الحزبية وتربية الجماهير العمالية تربية سياسية وحاربت المصفين والتروتسكيين والسحبيين وغيرهم من الانتهازيين . وساعد نشاط « البرافدا » في وضع اساس مكين للحزب

البلشفي الجماهيري الذي ليس بوسع اية استفزازات وملاحقات ان تهدمه . وربّت « البرافدا » جيلا جديدا من العمال الثوريين ومئات الالوف من البروليتاريين الطليعيين الذين لعبوا فيما بعد دورا عظيما في ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى .

وكان من اعضاء هيئة تحرير « البرافدا » ومن العاملين النشيطين فيها في اوقات مختلفة : ن . ن . باتورين وديميان بيدني وك . س . ييريمييف ون . ك . كروبسكايا وف . م . مولوتوف وف . ا . نيفسكي وم . س . اولمينسكي ون . ا . بودفويسكي ون . غ . بوليتايف وم . آ . سافيلييف وك . ن . ساموليلوفا وي . م . سفردلوف ون . آ . سكريبنيك وي . ف . ستالين وب . ا . ستوتشكا وأ . ا . اوليانوفا - يليزاروفا وغيرهم . واشترك في الجريدة اشتراكا نشيطا النواب البلاشفة في مجلس دوما الدولة الرابع . كما كان مكسيم غوركي يطبع مؤلفاته فيها .

ان تأسيس لينين ورفاقه لجريدة « البرافدا » واستخدامها لتحقيق الخط الثوري ولتربية الجماهير سياسيا في ظروف الحكم القيصري الشاقة هو حدث بارز في تاريخ كل الحركة العمالية العالمية . وان التقاليد الرائعة التي اوجدتها « البرافدا » اللينينية — الاخلاص للحزب والثورة ، الروح المبدئية العالية ، عدم المهاوده

مع التقلبات الفكرية ، القرب من الجماهير — هي نموذج لكل الصحافة الطليعية الشيوعية الثورية في العالم .

في خريف ١٩١٢ جرت الانتخابات الى مجلس دوما الدولة الرابع . وكان من رأي لينين ان الاشتراك في الحملة الانتخابية سيساعد الحزب في تقوية صلته بالجماهير وتنشيط المنظمات الحزبية . كتب يقول : « على نتائج الانتخابات يتوقف الشيء الكثير لبناء الحزب».

وكان المنهاج الانتخابي الذي كتبه لينين وطبع في منشور خاص باسم اللجنة المركزية ، بمثابة ارشاد للحزب في الانتخابات . وتقدم البلاشفة بثلاثة مطالب اساسية : جمهورية دمقراطية ، ثماني ساعات عمل في اليوم ، مصادرة كل اراضي الاقطاعيين . وسميت هذه المطالب، من قبيل الاستعارة، بـ« الحيتان الثلاثة » (١).

تابع لينين الحملة الانتخابية باهتمام ووافى هيئة تحرير « البرافدا » بالارشادات في كيف يمكن انعاش وتقوية اشتراك العمال في الانتخابات . وكان راضيا عن النتائج : فقد نجح البلاشفة في النيابة في مجلس دوما الدولة عن العمال (من فئة العمال) في جميع الحاكميات

---

(١) في اساطير الاقدمين ان العالم يرتكز على ثلاثة حيتان . المترجم .

الصناعية الاساسية الست التي تتركز فيها اربعة اخماس بروليتاريا روسيا .

وكان لينين يقود عمل النواب البلاشفة ويكتب لهم مسودات الخطب في اهم المسائل السياسية ويعلمهم استخدام منبر الدوما للدعاية الثورية . وقد كتب للعمال النواب رؤوس الاقلام والمخطط المفصل لاول خطاب لهم في المجلس. وجعلت رؤوس الاقلام اساسا لمشروع بيان صادر عن الكتلة الاشتراكية ـ الدمقراطية في المجلس . واوصى لينين النواب اعضاء الكتلة الاشتراكية ـ الدمقراطية بان يعلنوا في اول خطاب لهم في مجلس الدوما ، ان الاشتراكية ـ الدمقراطية في روسيا هي احدى فصائل جيش البروليتاريا الاشتراكية العالمي العرمرم ، وانه يقترب الزمن الذي سيوضع فيه حد للرأسمالية وينشئ فيه الملايين من البروليتاريين المتحدين مجتمعا اشتراكيا خاليا من فقر الجماهير ومن استغلال الانسان للانسان .

وكان النواب البلاشفة يأتون كثيرا الى كراكوف لمقابلة لينين ويحصلون منه في احاديثهم معه على النصائح الضرورية والعون . ويذكرون هذه المقابلات في كثير من الحنان . وها هو م . ك . مورانوف احد النواب في مجلس الدوما يصف قدومه الى لينين كما يلي : « كان

لينين وكروبسكايا يشغلان شقة غير كبيرة مؤلفة من غرفتين . وكل ما فيها من اثاث يتألف من موائد ومقاعد بسيطة وسريرين حديديين وخزانة ثياب بسيطة . ولكن كل الامكنة الاخرى مشغولة بالكتب والمجلات والجرائد الموضوعة على الرفوف واكتاف الشبابيك ومكومة اكواما مرتبة على الارض » .

ويقول مورانوف ان لينين كان يتحلى بمقدرة رائعة « على الاصغاء لمحدثه بشكل يريد معه المحدث ان يتكلم باكثر ما يمكن من الدقة والجد . وفي الوقت نفسه لم يدع لي ولا لدقيقة واحدة ان اشعر انا العامل البسيط البراد بتفوقه الثقافي علي » .

كيف كان يشرح لينين للنواب البلاشفة مهماتهم في مجلس الدوما ؟ يقول آ . ي . بادايف عن هذا : « كان لينين يقول ان مهمة النائب العمالي ان يذكّر المئة السود (١) من منبر مجلس الدوما يوما اثر يوم بان الطبقة العاملة هي من القوة والجبروت بحيث انه ليس بعيدا اليوم الذي ترتفع من جديد فيه موجة الثورة التي ستكنس كل المئة السود مع وزرائهم وحكومتهم » .

ويقول بادايف ان لينين كان يرى من الممكن كل

---

(١) « المئة السود » – عصابة ملكية انشأتها الحكومة القيصرية لمكافحة الحركة الثورية. وقد كان المئة السود يقتلون الثوريين و يهجمون على المثقفين التقدميين ويدبرون المذابح ضد اليهود .

الامكان ان يتقدم النواب العماليون بتعديلات او حتى بمشروع قانون ولكن كل هذا يجب ان يوجز في شيء واحد وهو انه « يجب التشهير بالنظام القيصري وتبيان كل عسف الحكومة الفظيع والتحدث عن بؤس الطبقة العاملة وما تلاقيه من اشد انواع الاستغلال . وهذا سيكون فعلا ما يجب ان يسمعه العمال من نائبهم » .

كانت الكتلة الاشتراكية ـ الدمقراطية في مجلس الدوما تضم ، عدا البلاشفة الستة ، سبعة من المنشفيك انتخبوا عن الحاكميات غير الصناعية . وقد استغل المنشفيك المصفون هذه الاكثرية العرضية فحاولوا ضرب حقوق النواب البلاشفة . وفضح لينين على صفحات « البرافدا » نشاط النواب المنشفيك الانقسامي المعادي لمصالح الطبقة العاملة . فيم رأى لينين كنه النضال بين النواب البلاشفة الستة والمنشفيك السبعة ؟ « ان المصفين يحبطون بناء العمال لحزبهم ـ هذا هو مغزى ومعنى نضال « الستة ضد السبعة » . ولكنهم لن يستطيعوا احباطه . ان النضال شاق ، ولكن النجاح مضمون للعمال » . وبتأييد من اكثرية العمال انشأ النواب البلاشفة كتلة مستقلة في مجلس الدوما .

كان النواب العماليون بادايف وبتروفسكي ومورانوف وساموِيلوف وشاغوف يقومون ، بقيادة لينين ، بعمل دعائي

وتحريكي بين الجماهير مفعم بنكران الذات ويخطبون في المصانع وينشئون المنظمات الحزبية الجديدة ويكتبون لجريدة « البرافدا » وينظمون المساعدة للمضربين وينفذون ما تلقيه عليهم اللجنة المركزية من مهام . وكانوا يرفعون عاليا راية حزب العمال في مجلس الدوما العدائي الخاضع للمئة السود . كتب لينين ان النواب البلاشفة « لم يلمعوا بالكلام الجميل الفارغ ولا بـ « اثبات الوجود » في صالونات البرجوازيين والمثقفين . . . ، بل بالصلات بالجماهير العمالية وبالعمل المتفاني بين هذه الجماهير وبتنفيذ وظائف الدعاية السرية والتنظيم السري المتواضعة ، غير المنظورة ، الشاقة ، غير المشكورة ، الخطرة جدا » . واشار لينين اكثر من مرة الى ما لتجربة عمل البلاشفة « البرلماني » في مجلس الدوما من اهمية عظيمة لكل الحركة الشيوعية العالمية .

وكان لمقررات اجتماعي اللجنة المركزية مع العاملين الحزبيين – اجتماعي كراكوف وبورونينو – اللذين جريا سنة ١٩١٣ بقيادة لينين ، دور كبير في تدعيم الحزب ووحدته .

كان لينين يعير اهمية كبيرة للاجتماعات الموسعة للجنة الحزب المركزية . ويتجلى هذا ، مثلا ، من الرسالة التالية التي ارسلها لينين الى باريس في اثناء اجتماع

كراكوف : « اكتب من الاجتماع . انه يجرى بشكل رائع . لن تقل اهميته عن مجلس عام يناير (كانون الثاني) ١٩١٢ . ستصدر قرارات في جميع المسائل الهامة ، بما فيها التوحيد . . .

جميع القرارات تتخذ بالاجماع . . . انه نجاح هائل ! »

اكد الاجتماع على الاهمية الخاصة للنضال من اجل وحدة الحركة الثورية العمالية . ففي قرار « عن الموقف من حركة التصفية وعن الوحدة » الذي اقترح لينين مسودته ، رفع الاجتماع شعار الوحدة من تحت ، الوحدة التي يحققها العمال انفسهم على اساس الاعتراف بالتنظيم السري والتاكتيك الثوري . وكتب لينين : « من الضروري ضرورة مطلقة وحدة التنظيم السري ومناشدة جميع العمال بان ينشئوه » .

وسر لينين كثيرا لمقدم رجالات الحزب من روسيا . كتب الى غوركي في يناير (كانون الثاني) ١٩١٣ : « تبين ان قاعدة كراكوف كانت مفيدة : ان انتقالنا الى كراكوف « عوّض الخسارة » تماما (من وجهة نظر العمل) » .

وفي «الاعلام» عن الاجتماع سمى لينين سنة ١٩١٢ سنة انعطاف تاريخي عظيم في الحركة العمالية في

روسيا . وقال ان روسيا ، من حيث سعة الحركة الاضرابية ، تتقدم جميع البلدان حتى اكثرها تطورا ، ودخلت في مرحلة نمو ثورة جديدة . وقال لينين في حماسة كيف ترعرع واشتد الحزب البلشفي وكيف زاد نفوذه في الجماهير العمالية ، وقال : ان مهمة المنظمات الحزبية ان تؤيد وتطور وتنظم ، بكل الوسائل ، الاضرابات الثورية والمظاهرات والمؤتمرات الشعبية ، وان تجر الفلاحين الى نضالات تتفق صفة وزمنا مع نضالات العمال . وكتب يقول ان خدمة قضية الثورة هي الواجب الرئيسي على كل عضو في الحزب .

في ربيع سنة ١٩١٣ ساءت صحة ناديجدا كروبسكايا . وغادر لينين وزوجه كراكوف الى قرية بورونينو واقاما في بيت يقع في مكان مرتفع يطل على منظر جميل . وكان لينين يحب التنزه في الجبال وكان هذا عنده خير استجمام بعد العمل المرهق . ولكن الاقامة في بورونينو لم تحسّن صحة ناديجدا كروبسكايا ، فاضطرا للذهاب الى برن (في سويسرا) للعلاج . وفي اواخر يوليو (تموز) عادا الى بورونينو .

والقى لينين في اثناء وجوده في سويسرا تقارير في مسألة القوميات في زوريخ وجنيف ولوزان وبرن ثم فيما بعد في باريس ولايبزيغ وكراكوف . واحدثت كلماته

اثرا عظيما في المستمعين الذين ادهشهم عمق المضمون وجدة الفكرة مع الوضوح والبساطة وقوة الاقناع .

كانت مسألة القوميات في ذلك الوقت قد اصبحت ذات اهمية بالغة . فالبرجوازية والاقطاعيون ، في اعدادهم الحرب العالمية ، كانوا يسعرون العداء القومي ويسعون الى شق الطبقة العاملة . وكانت الحكومة القيصرية تخنق حركة التحرر الوطني وتؤلب شعبا على آخر . فطرح لينين امام البلاشفة مهمة الذود عن الوحدة الاممية للحركة العمالية ، معتبرا هذه الوحدة الشرط الاساسي لقوتها . وكان من المهم للغاية في روسيا المتعددة القوميات صهر نضال البروليتاريا الروسية الطبقي مع نضال العمال وجميع الكادحين في الامم المقهورة .

في مقالتي «ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية» و« حق الامم في تقرير مصيرها » طور لينين ودعم بالحجج البرنامج الماركسي في مسألة القوميات وسياسة الحزب البلشفي تجاه القوميات . وكانت المطاليب الاساسية لبرنامج الحزب اللينيني في مسألة القوميات : المساواة التامة في الحقوق بين الشعوب ، حق الامم في تقرير مصيرها بنفسها (اي الحق في الانفصال وانشاء دولة مستقلة) ، الاتحاد المتين بين عمال جميع القوميات في منظمات بروليتارية موحدة .

وقال لينين مفسرا ان الشيء الرئيسي هو وحدة عمال جميع الامم واتحادهم تحت راية الاممية البروليتارية. وناضل بلا هوادة ضد تسرب القومية البرجوازية الى صفوف الطبقة العاملة ، وضد الضيق القومي والمحدودية القومية . وانتقد ، مثلا ، القوميين الاوكرانيين الذين كانوا بحجة جمع شمل الامة الاوكرانية يطالبون باضعاف الصلات التي نشأت بين البروليتاريا الاوكرانية والبروليتاريا الروسية . كتب لينين يقول : « ان اوكرانيا الحرة ممكنة شرط ان يتوحد نضال البروليتاريين الروس والاوكرانيين ، وبدون هذه الوحدة ، لا يمكن حتى الحديث عن مثل هذه الحرية ». وهذه الكلمات التنبؤية مكتوبة بالذهب على حجر قاعدة تمثال لينين في كييف ، الذي نصبه الشعب الاوكراني دلالة على حبه الذي لا يعرف حدودا للمعلم العظيم لجميع شعوب الاتحاد السوفييتي وكادحي العالم بأسره .

وبين لينين في مؤلفاته ان حزب البلاشفة هو وحده المدافع الحقيقي عن حقوق ومصالح الشعوب المقهورة . وان وحدة الشعوب هي قوة لا تقهر في النضال ضد الاقطاعيين والرأسماليين.

كانت الحركة الثورية في روسيا تزداد اتساعا . وفي النصف الاول من سنة ١٩١٤ اضرب زهاء مليون ونصف مليون عامل . وكانت الاضرابات الاقتصادية

تمتزج مع الاضرابات السياسية ، والبلاد تسير نحو ثورة جديدة . وكان البلاشفة يستعدون لعقد مؤتمر جديد للحزب . ولكن ذلك لم يتحقق بسبب الحرب الامبريالية العالمية .

كان حزب البلاشفة الذي يقوده لينين مهيأ ، بكل نشاطه الثوري ، للمحن القاسية التي جلبتها الحرب العالمية .

الوفاء للاممية البروليتارية

بدأت الحرب الامبريالية صيف سنة ١٩١٤ وتصارعت فيها مجموعتان من كبريات الدول الامبريالية : المانيا والنمسا ـ المجر من جهة ، وبريطانيا وفرنسا وروسيا من الجهة الاخرى . وكانت كلا المجموعتين تنهجان سياسة الاغتصاب . ثم دخلت غمار الحرب فيما بعد الولايات المتحدة الاميركية واليابان وغيرهما من الدول . واصبحت الحرب عالمية وكانت نكبة فظيعة للشعوب القي كل عبئها على عاتق الكادحين .

كان لينين في بورونينو عندما بدأت الحرب ، وقام منذ يومها الاول باشد النضال ضدها . وبعد ذلك بقليل اعتقلته السلطات النمساوية على اثر وشاية كاذبة واتهم بالتجسس لمصلحة الحكومة القيصرية لان الشرطي الذي

فتش بيته عثر على مخطوطة في المسألة الزراعية فيها كثير من الارقام فظنها شيفرة. وخيم فوق لينين خطر الموت: اذ كان يمكن اعدامه رميا بالرصاص . ودافع عنه شخصيات اجتماعية طليعية في بولونيا والنمسا واثبتوا سخافة التهمة . وبعد ابقاء لينين في السجن زهاء اسبوعين اضطرت السلطات العسكرية النمساوية الى اطلاق سراحه .

كان لينين يرى من الضروري مواصلة العمل الذي قطعه الاعتقال في قيادة نضال العمال الثوري ضد القيصرية والحرب الامبريالية . ولكن هذا كان بالغ الصعوبة في النمسا المشتركة في الحرب . ولهذا حصل على اذن بالسفر الى سويسرا . وهناك ، في برن اولا ثم في زوريخ ، اقام حتى ٢٧ مارس (آذار) ١٩١٧ .

هل كانت الحرب مفاجأة ؟ كلا . بل لقد نبه لينين اكثر من مرة الى استعداد الرأسماليين للحرب ودعا الى النضال ضدها . وصيغ في المؤتمرين الاشتراكيين العالميين في شتوتغارت (١٩٠٧) وبال (١٩١٢) تاكتيك الاشتراكية ـ الدمقراطية تجاه الحرب . وتعهد زعماء الاحزاب الاشتراكية الاوروبية الغربية بالنضال ضد الحرب ، وبان يستنهضوا الطبقة العاملة ، اذا نشبت ، لاسقاط الرأسمالية . ولكن عندما بدأت الحرب خان زعماء هذه الاحزاب مصالح البروليتاريا ووقفوا جهارا الى

جانب برجوازية بلدانهم . ففي فرنسا وبريطانيا وبلجيكا اشترك الاشتراكيون في الحكومة ، وفي المانيا صوتوا لاعتماد الاموال من اجل الحرب . وكانوا يبررون سياسة الحكومات الامبريالية في بلدانهم ويدعون الشعب الى تأييد الحرب ويقومون بين العمال بدعاية شوفينية ويزعمون ان النضال من اجل الاشتراكية والتضامن الطبقي بين عمال مختلف البلدان وتلاحمهم الاممي هو من شؤون زمان السلم ، اما في ظروف الحرب فعلى العمال ان ينسوا صراعهم مع برجوازية بلدهم ويخضعوا كل شيء لمطالب الحرب . واصبح الاشتراكيون الآخذون بمثل هذه الآراء يسمون بالاشتراكيين الشوفينيين : اشتراكيين بالكلام وشوفينيين بالعمل . وسار على سياسة الاشتراكية الشوفينية في روسيا بليخانوف والكسينسكي وماسلوف وغيرهم .

وقف قسم آخر من الاشتراكيين وعلى رأسهم كاوتسكي في المانيا وتروتسكي في روسيا ولونغه في فرنسا موقفا غير ثابت او ما يسمى بالموقف الوسطي ، ولهذا سموا بالوسطيين . وكان هؤلاء يعلنون باقوالهم عدم اتفاقهم لا مع الاشتراكيين الشوفينيين ولا مع خصومهم ، ولكنهم عمليا كانوا في كل شيء يؤيدون الاشتراكيين الشوفينيين ويبررون اعمالهم ويساعدونهم في خداع العمال .

وهكذا خان زعماء الاحزاب الاشتراكية قضية الاشتراكية والاممية خيانة شائنة . وبسببهم اخفقت الاممية الثانية التي كان عليها ان تترأس نضال عمال جميع البلدان ضد الحرب ، وانقسمت الى احزاب متفرقة متعادية . ومزقت خيانة الزعماء الحركة العمالية . ولم يستطع العمال فورا ان يقفوا في وجه الحرب بشكل منظم ومتلاحم .

في تلك اللحظة التاريخية الخطيرة رفع لينين وحزب البلاشفة الذي انشأه لينين ورباه ، راية الاممية البروليتارية عاليا . ودوى في العالم كله نداء لينين الجريء : اعلان الحرب على الحرب . وقال لينين انه يجب توجيه السلاح لا ضد اخواننا ، العبيد المأجورين في البلدان الاخرى ، بل ضد الحكومات البرجوازية الرجعية . وكان هذا نداء الى الثورة البروليتارية .

وضع لينين برنامجا دقيقا للنضال ضد الحرب الامبريالية . وفي اليوم الثاني من قدومه الى برن القى في اجتماع للبلاشفة المقيمين هناك تقريرا عن الموقف من الحرب واطلعهم على موضوعاته « مهمات الاشتراكية ـ الدمقراطية الثورية في الحرب الاوروبية » . واجاب اجوبة واضحة على الاسئلة المتعلقة بطابع الحرب وبمهمات وتاكتيك الطبقة العاملة وحزبها . وابان ان الحرب الاوروبية والعالمية التي بدأت هي حرب

امبريالية شنتها برجوازية اكثر البلدان الرأسمالية وتشترك فيها البرجوازية الروسية والقيصرية من اجل تحقيق مشاريع الاغتصاب المعادية للشعب ، وان البرجوازية والاقطاعيين يأملون ايضا من الحرب ان يوقفوا تصاعد الحركة الثورية للبروليتاريا وجميع الكادحين في داخل البلد .

وقابل لينين نداءات « الدفاع عن الوطن » الانتهازية بنداء ثوري هو: تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية — الى حرب تشنها الطبقة العاملة والجماهير الكادحة على برجوازية بلدانها . وكان هذا الشعار يعبر عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة والجماهير الكادحة كافة ، ويتفق مع مقررات المؤتمرات الاشتراكية العالمية عن تاكتيك الطبقة العاملة تجاه الحرب ، واصبح الشعار الرئيسي لحزب البلاشفة .

وقال لينين ان الحرب ، في جميع البلدان الطليعية ، وضعت في جدول الاعمال مسألة الثورة الاشتراكية ، وان واجب الاشتراكيين والعمال الواعين الرد على الشوفينية والدفاع عن التلاحم الطبقي وعن معتقداتهم الاشتراكية وامميتهم ، وان على الجماهير الكادحة ان تنظم صفوفها وتستعد للمعركة الفاصلة مع البرجوازية ، ان تستعد للحرب الاهلية . وبقيت المهمة الرئيسية في روسيا كالسابق ، النضال ضد الحكم المطلق . ورفع لينين شعار : « يجب

ان يتمنى المرء هزيمة حكومته في الحرب » . وقال ان الهزيمة في الجبهة ستضعف قوة اعداء البروليتاريا وهم الطبقات المستغلة المسيطرة، وستيسر انتصار الشعب.

ولتأمين النجاح في النضال من اجل مصالح الطبقة العاملة كان لينين يرى من الضروري ان يقطع الامميون الثوريون في جميع البلدان صلتهم بالانتهازيين وبالاممية الثانية وان ينشئوا منظمات سرية قادرة على النضال ضد الحرب . وقال بمهمة انشاء اممية جديدة ، ثورية حقا .

تلك كانت الشعارات التي حددت مهمات حزب البلاشفة الاساسية وتاكتيكه في الحرب العالمية الاولى . وقال لينين ان هذا التاكتيك يجب ان يسير عليه الاشتراكيون في جميع البلدان . وفي هذا كانت تتجلى اممية البلاشفة البروليتارية المعتمدة على تضامن العمال الطبقي وتلاحمهم في مختلف البلدان في النضال ضد الحرب الامبريالية . ووافقت المنظمات الحزبية في روسيا وفي الخارج على موضوعات لينين واعتبرتها بمثابة ارشاد في العمل الثوري .

وبعد صعوبات هائلة تمكن لينين من استئناف اصدار جريدة الحزب المركزية « سوسيال - ديموقراط » (« الاشتراكي- الدمقراطي ») (بعد انقطاع سنة) . ونشر في العدد ٣٣ من الجريدة ، الذي صدر في نوفمبر

(تشرين الثاني) ١٩١٤ ، بيان اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي الروسي « الحرب والاشتراكية - الدمقراطية في روسيا » ، الذي كتبه لينين على اساس موضوعاته عن الحرب. وسعى لينين بكل قواه لايصال نداءات البلاشفة الثورية الى اكبر عدد ممكن من العمال لا في روسيا فقط بل في البلدان الاخرى ايضا . ودبر ترجمة البيان الى اللغات الاجنبية وارسله الى الجرائد الاشتراكية - الدمقراطية في بلدان مختلفة . وكان لجريدة « سوسيال - ديموقراط » دور عظيم في تدعيم صلات اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي (البلشفي) الروسي مع المنظمات الحزبية وفي نشر الافكار الثورية .

ناضل حزب البلاشفة الذي يقوده لينين نضالا حازما ضد الحرب وقام البلاشفة النواب في مجلس دوما الدولة بعمل ثوري بين العمال مساعدين اياهم في جمع صفوفهم والنضال ضد القيصرية والبرجوازية . وبتعليمات من لينين كان البلاشفة يشرحون معنى شعارات حزبهم عن الحرب والسلام في جميع المؤتمرات الاشتراكية الدولية التي جرت في ذلك الوقت .

وفضح لينين البرجوازية وخدمها الانتهازيين الذين قابلوا الشعارات البلشفية بالعداء واتهموا البلاشفة كذبا

وافتراء بعدم الاكتراث بمصالح الوطن وبانعدام الوطنية .
ورد لينين ردا لائقا على المفترين وشرح ماذا يعني ان بكون المرء وطنيا حقا .

وفي مقالة « بصدد كرامة الروس القومية » كتب ان شعور الحب للوطن ليس غريبا على الاشتراكيين والبروليتاريين الواعين . فهم يحبون شعبهم ويناضلون في سبيل تنويره وتحريره من النير القومي والاجتماعي . وقال ان حزب البلاشفة يخدم بتفان مصالح الوطن وان مصالح عمال روسيا الوطنية المأخوذة بمعناها الصحيح تتفق مع المصالح الاشتراكية للبروليتاريا العالمية . وابدى اعتزازه بالشعب الروسي الكبير الذي ضرب آيات ساطعة من البطولة والجرأة والثبات في النضال من اجل استقلال الوطن ومن اجل الحرية والاشتراكية واغنى البشرية بمنجزات في العلم والثقافة بالغة العظمة .

وعلّم لينين العمال ان يتبينوا طبيعة الحرب وان يعينوا بشكل صحيح موقفهم منها ومن شعار « الدفاع عن الوطن » . وقال ان الحروب تكون عادلة وغير عادلة وان الحروب غير العادلة هي حروب الاغتصاب الامبريالية التي تقوم بها البرجوازية وهي الحروب الموجهة لقمع حركات التحرر الوطني للشعوب المدافعة عن حرية وطنها واستقلاله وهي حروب البرجوازية ضد البروليتاريا

الناهضة للنضال من اجل تحررها . وهذه الحروب تجري من اجل تدعيم سيطرة البرجوازية ونهب واستعباد الشعوب الاخرى . ولهذا فعلى العمال ان يناضلوا ضد هذه الحروب وان يعرفوا ان شعار « الدفاع عن الوطن » فيها هو خداع صارخ .

اما الحروب العادلة فهي في رأي لينين حروب الشعوب الدفاعية ضد الغاصبين الامبرياليين ، وحروب التحرر الوطني ، وحروب البروليتاريا الاهلية من اجل التحرر من النير الرأسمالي ، وحروب الدفاع عن الدول الاشتراكية في وجه هجمات الامبرياليين . وعلى العمال في الحروب العادلة ان يدعموا شعار «الدفاع عن الوطن» . كتب لينين : « نحن ضد حماية الوطن والدفاع في الحرب الامبريالية ١٩١٤ — ١٩١٦ وفي غيرها من الحروب الامبريالية النموذجية بالنسبة لحقبة الامبريالية . ولكن يمكن في الحقبة الامبريالية ان تكون حروب « عادلة» و« دفاعية » ثورية » . وابان عند ذلك ان الوحدة الاممية لعمال مختلف البلدان هي التي يجب ان يكون لها الدور الرئيسي في النضال ضد الحروب غير العادلة .

ولحل جميع المسائل البالغة الاهمية ، المتعلقة بنشاط الاشتراكية ـ الدمقراطية في اثناء الحرب ، كان لا بد من عقد مؤتمر للحزب . ولكن تحقيق ذلك في

ظروف الحرب كان غير ممكن . فعقد بدلا من المؤتمر ، بقيادة لينين ، في فبراير (شباط) ١٩١٥ ، مجلس عام لمنظمات البلاشفة الموجودة في الخارج . والقى لينين فيه تقرير « الحرب ومهمات الحزب » . وتقدم بمشاريع قرارات في جميع المسائل البالغة الاهمية : عن طبيعة الحرب ، عن شعار « حماية الوطن » ، عن هزيمة الملكية القيصرية ، عن الموقف من الاحزاب والمجموعات الاخرى ، وغير ذلك . وجاء فيها ان انهاء الحرب وتقريب السلام الدمقراطي حقا لا يمكن الا بتأييد وتطوير الاعمال الثورية للجماهير الشعبية بكل الوسائل وتدعيم الوحدة البروليتارية . واشير الى ان التدابير الاولية التي يجب على الاشتراكيين ان يحققوها هي : التصويت ضد الاعتمادات الحربية ، المطالبة بخروج ممثليهم من الحكومات البرجوازية ، انشاء منظمات سرية ، تأييد تآخي الجنود في الجبهة وكل ما تقوم الجماهير الكادحة من نضالات ثورية . وكانت مقررات هذا المجلس العام تعادل مقررات المؤتمر وبمثابة ارشاد للمنظمات الحزبية في قضية جمع صفوف الجماهير وفي النضال ضد الحرب .

لم ينقطع لينين عن العمل الحزبي دقيقة واحدة . كان يخطب في زوريخ ومونتري وبرن وجنيف وغيرها من مدن

سويسرا ، ويصب جام غضبه على الجرائم الدموية التي ترتكبها الحكومات الامبريالية وعلى تعاون الانتهازيين معها ، ويصمهم بالعار ، وكان يبيّن ان الاممية الثانية ماتت لانها صبرت على وجود الانتهازيين في صفوفها . وكتب لينين يقول ان الانتهازيين هم اعداء الطبقة العاملة الذين يناضلون في ايام السلم لمصلحة البرجوازية في داخل الاحزاب العمالية بالسر والخفاء ، وفي ايام الحرب يتحالفون علنا مع البرجوازية ضد العمال ويسيرون على سياسة الشوفينية . وطالب بالنضال ضدهم اشد النضال وقال: «لا يجوز الصبر ، لا يجوز اللجوء الى الديبلوماسية ، يجب الوقوف في وجه الشوفينية الشائنة بكل القوى !!». واشار هنا الى ان مهمة الاشتراكيين في كل بلد يجب ان تكون في الدرجة الاولى النضال ضد الشوفينيين في بلدانهم .

وانتقد لينين انتقادا شديدا بنوع خاص ، الوسطيين : كاوتسكي وتروتسكي والآخرين . كتب يقول : « اني اكره كاوتسكي واحتقره الآن اكثر من اي شخص آخر » . وقال : « ان الانتهازيين شر مفضوح ، اما « الوسط » الالماني وعلى رأسه كاوتسكي فهو شر مستور ، مطلي بطلاء ديبلوماسي ، يوسخ أعين العمال وعقولهم وضمائرهم ، وهو اخطر الخطر » .

وكان لينين ، بكل ما عهد فيه من حماسة الماركسي الثوري المحارب ، يفضح محاولات الانتهازيين لتشويه الماركسية ، واضطر في سنوات الحرب ان يناضل ضد المظاهر الجديدة للانتهازية في الحركة الاشتراكية ـ الدمقراطية في روسيا . وكان يعير اهتماما كثيرا لفضح وجهات النظر الخاطئة عند جماعة بوخارين وبياتاكوف التي كانت تعارض النضال من اجل الاشتراكية بالنضال من اجل الدمقراطية ولا تفهم ان النضال من اجل الدمقراطية يقرّب الى الاشتراكية . اما بوخارين فكان في ذلك الحين قد اتخذ مواقف نصف فوضوية في مسألة الدولة وديكتاتورية البروليتاريا . ووقف زينوفييف موقف مهادن تجاه هذه الجماعة وابتعد ايضا عن الماركسية في تقييم الحرب ، وعلى هذا انتقده لينين انتقادا شديدا . واثار نضال لينين ضد الانتهازيين كراهية خاصة تجاهه من جانب الخصوم السياسيين . كتب في احدى رسائله : « هذه هي قسمتي . حملة قتال تتلو اختها ــ ضد الحماقات السياسية والسفالة والانتهازية وما الى ذلك .

وهذا منذ سنة ١٨٩٣ . وما كراهية السفلاء الا بسبب هذا . ومع ذلك فلست ارضى بالاستعاضة عن هذه القسمة بـ « السلام » مع السفلاء » .

طرح لينين امام البلاشفة مهمة النضال بلا رحمة ضد الانتهازية الدولية والمتسترين عليها — الكاوتسكيين . وقال ان هذه مهمة دولية . وهي ملقاة على عاتقنا نحن وليس غيرنا من يتحملها . وليس من الممكن التراجع عنها .

كانت كلمات الحق اللينينية الملتهبة تصل الى العمال الطليعيين عبر كل الحواجز وعبر الجبهات . وبالرغم من قوانين زمن الحرب استطاع لينين ان يعيد الاتصال مع المنظمات البلشفية في روسيا وراح يوافيها برسائله ومقالاته المحتوية على التعليمات في كيف يجب النضال ضد القيصرية والبرجوازية وضد الحرب الامبريالية .

وكانت الصعوبات هائلة . فقد انقضت القيصرية على البلاشفة باقسى ضروب الاضطهاد . ونفي النواب البلاشفة في مجلس دوما الدولة الى سيبيريا لعملهم الثوري . وتعرضت اللجنة المركزية ولجنة بتروغراد (١) ، وكذلك الكثير من المنظمات الحزبية الاخرى ، للمداهمات اكثر من مرة ، وكان العمال الطليعيون ذوو النزعة الثورية ينفون الى سيبيريا او يرسلون الى الجبهة . ولكن لينين كان يؤمن ثابت الايمان بقوى الحزب ، بقوى الطبقة العاملة في روسيا ، بمقدرتها على تذليل كل العقبات .

---

(١) حول اسم بطرسبورغ الى بتروغراد في اغسطس (آب) ١٩١٤ .

كتب يقول : « ان عمل حزبنا اصبح الآن اصعب بمئة مرة . ومع ذلك فسنثابر ! لقد ربت « البرافدا » الوف العمال الواعين الذين منهم، بالرغم من كل الصعوبات، سيؤخذ من جديد رجال القيادة ــ لجنة الحزب المركزية الروسية » .

وبالرغم من الملاحقات المشتدة من جانب القيصرية كان حزب البلاشفة يناضل نضالا نشيطا ضد الحرب . وكان يعد البروليتاريا والجماهير الكادحة لثورة جديدة . وكان لينين يقدم ، في المقالات المنشورة في جريدة « سوسيال ـ ديموقراط » ، الاجوبة على جميع المسائل التي قامت امام الحزب والطبقة العاملة . وفي ايمان بقرب الثورة وضع لينين بعمق خط الحزب فيها . كتب سنة ١٩١٥ في مقالة « بضع موضوعات » : « على سؤال : ماذا يفعل حزب البروليتاريا اذا نصبته الثورة على كرسي الحكم في الحرب الحالية نجيب : سنعرض السلام على جميع المتحاربين بشرط تحرير المستعمرات وجميع الشعوب التابعة المضطهدة غير الكاملة الحقوق » . وهذا ما حدث فعلا منذ ان استلمت بروليتاريا روسيا الحكم واصبح الحزب البلشفي الحزب الحاكم .

وهكذا ، في ظروف زمن الحرب البالغة الصعوبة ، كان الحزب بقيادة لينين يقوم بواجبه الاممي الثوري ،

ويبين لجميع الاحزاب العمالية كيف يجب النضال من اجل مصالح الطبقة العاملة والجماهير الكادحة ومن اجل تطبيق مبادئ الاممية البروليتارية .

وكان لينين في اصرار وبلا كلل يجمع ويوحد انصار الاممية البروليتارية في الاحزاب الاوربية الغربية، ويتراسل كثيرا مع الاشتراكيين اليساريين في بلغاريا وهولنده والسويد والنرويج وغيرها من البلدان . وكان يدعوهم الى قطع صلتهم في حزم بالانتهازيين وتأسيس اممية ثالثة شيوعية بدلا من الاممية الثانية المنهارة .

كان البلاشفة الروس ومن يسير معهم من اليساريين في الاحزاب الاشتراكية ـ الدمقراطية في اوربا الغربية يشكلون في ذلك الحين اقلية ضئيلة في الحركة العمالية . ولكن لينين كان يؤمن ايمانا راسخا بانتصار الماركسية الثورية الحتمي . قال : ما ضر اننا آحاد ، فسيكون معنا الملايين ، لان موقف البلاشفة هو الموقف الصحيح الوحيد .

وكان لينين يرى ان اتحاد الامميين الثوريين يجب ان يقوم على اساس المواقع الفكرية للماركسية . ولاعطاء تفسير اكثر تفصيلا لجميع المسائل التي قامت بسبب الحرب امام الاشتراكيين ـ الدمقراطيين ، فكر لينين بطبع كتاب « الاشتراكية والحرب » وحقق فكرته هذه .

وصدر الكتاب باللغات الروسية والالمانية والفرنسية والنرويجية وغيرها . وكانت له اهمية كبيرة في توحيد الامميين الثوريين .

ولجمع شمل اليساريين والنضال ضد الانتهازيين استخدم لينين مؤتمري الاشتراكيين الدوليين اللذين عقدا في زيمرفالد (سبتمبر – ايلول ١٩١٥) وكنتال (ابريل – نيسان ١٩١٦) . ونجح في مؤتمر زيميرفالد في انشاء جماعة يسارية قامت بعمل ثوري نشيط بين العمال . ولعب كثيرون من يساريي زيميرفالد دورا هاما في النضال ضد الحرب وضد الانتهازيين واشتركوا فيما بعد اشتراكا نشيطا في انشاء الاحزاب الشيوعية في بلدانهم والاممية الثالثة الجديدة الثورية حقا .

كان العمل العظيم الذي قام به لينين يتطلب جهدا خارقا وكانت ظروفه المادية شاقة للغاية ولم يشعر بالعوز الشديد مثلما شعر به في ذلك الحين . وكان المورد الرئيسي لحياة الاسرة اجوره على ما يكتب ولكن طبع المقالات والكتب السياسية المعادية للحرب كان صعبا جدا . كتب الى احد رفاقه : « اقول عن نفسي اني بحاجة الى مورد ، والا فالجوع والله . غلاء المعيشة جهنمي وليس من مورد » .

كان لينين يعيش عيشة متواضعة مكتفيا بالبسيط من

الملابس والاثاث . ففي زوريخ كان وزوجته كروبسكايا يقيمان في شارع ضيق في بناية قديمة مظلمة ذات فناء ضيق. وكانت الغرفة التي استأجراها من السكاف كاميرير شبه مظلمة وغير مريحة . كتبت كروبسكايا في مذكراتها : « كان في الوسع ، لقاء المبلغ نفسه، استئجار غرفة احسن بكثير ، ولكن اصحاب الغرفة كانوا غالين علينا . فالاسرة اسرة عمال وذات ميول ثورية وكانت تشجب الحرب الامبريالية . . . ولم تكن ثمة رائحة للشوفينية ، وعندما اجتمع مرة حول البوتاغاز جمع اممى كامل من النساء هتفت فراو كاميرير ساخطة : « ان على الجنود ان يوجهوا سلاحهم صوب حكوماتهم ! » . وبعد هذا لم يشأ لينين حتى ان يسمع الى من يقول له بضرورة تغيير الغرفة » . ولم يكن لينين يضن بالمال قط على الكتب والمكتبات التي يعمل فيها باستمرار. كان في بيته كثير من الكتب والجرائد والمجلات بمختلف اللغات . واية كانت الظروف التي يعيش فيها كان دائما يعمل بجهد ويوزع وقته وينظمه بمهارة.

والى جانب قيادة الحركة الثورية عمليا كان لينين يقوم بعمل نظري جهيد . فكان يدرس بلا كلل وبعمق المطبوعات العالمية في تاريخ الحياة الاجتماعية لمختلف البلدان . وكانت تهمه كتب الفلسفة والاقتصاد والتكنيك

والصناعة والزراعة والحركة الثورية للطبقة العاملة ونضال الشعوب المقهورة في البلدان المستعمرة والتابعة وغيرها من القضايا . ودرس بدقة وهمة خاصة آثار ماركس وانجلس فكان يعيد قراءتها مرة بعد مرة ، كما تقول كروبسكايا ، « لكي يكوّن لنفسه صورة اوضح لحقبة الثورة الاشتراكية وطرقها وتطورها » .

وكان اول ماركسي كشف عن جوهر الحقبة الجديدة التي دخلها المجتمع البشري . وبين في كتاب «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» ان الرأسمالية دخلت في بداية القرن العشرين مرحلة جديدة من تطورها هي الامبريالية.

ونشأت في عهد الامبريالية كبريات الاحتكارات (اتحادات الرأسماليين) ، ولهذا سمى الامبريالية بالرأسمالية الاحتكارية . واستولى الاحتكاريون على جزء هام من المصادر العالمية للخامات وانتاج البضائع واسواق التصريف واصبحوا يسيطرون في الحياة الاقتصادية والسياسية للدول البرجوازية ويفرضون مشيئتهم على الحكومات . واصبح العالم كله مقسما بين حفنة من البلدان الامبريالية . واشتد التفاوت في التطور الاقتصادي والسياسي . وكانت البلدان التي تأخرت في سلوك طريق الرأسمالية ــ كالمانيا واليابان والولايات المتحدة ــ تلحق بسرعة بالبلدين الرأسماليين الطليعيين ــ بريطانيا وفرنسا ــ

وتطالب باعادة تقسيم العالم . واشتدت التناقضات بين الدول الرأسمالية . وكان لابد في هذه الاحوال من الحروب الامبريالية .

وسعيا وراء الثراء شدد الامبرياليون استغلال العمال وجميع الكادحين الذين اصبحت اوضاعهم لا تطاق . وبدأت البروليتاريا تعي ضرورة الثورة . وفي الوقت نفسه كانت تشتد التناقضات بين حفنة البلدان الامبريالية وبين المستعمرات واشباه المستعمرات التي تضطهدها والتي يعيش فيها مئات الملايين من البشر . وتحولت الرأسمالية الى اكبر عائق في وجه تطور المجتمع . كتب لينين : « ومن تقدمية تحولت الرأسمالية الى رجعية . . . ان الانسانية لم يبق لها الا ان تنتقل الى الاشتراكية ، او ان تعرف طوال سنوات وحتى طوال عشرات السنين ، النضال المسلح بين الدول « الكبرى » في سبيل الحفاظ المصطنع على الرأسمالية بواسطة المستعمرات ، والاحتكارات ، والامتيازات ، والاضطهاد القومي بشتى الاشكال » . وقال لينين ان الامبريالية تقود البشرية الى الثورة الاشتراكية وتجعلها مهمة اليوم العاجلة ، وان الامبريالية هي عشية الثورة الاشتراكية .

وعالج لينين بشكل جديد مسألة امكان انتصار الثورة البروليتارية . فالماركسيون من قبله كانوا يرون ان انتصار

الثورة الاشتراكية في بلد واحد غير ممكن ويعتقدون
ان الثورة لا يمكن ان تنتصر الا في وقت واحد في جميع
البلدان الرأسمالية الاكثر تطورا او في معظمها . اما
لينين ، فعلى اساس معطيات التطور الاجتماعي الجديدة ،
فقد استخلص ان الثورة الاشتراكية في حقبة الامبريالية
يمكن ان تنتصر في بداية الامر في عدد قليل من البلدان
الرأسمالية او حتى في واحد منها .

وكان هذا اكتشافا علميا عظيما تتجاوز اهميته كل
حد ويدل العمال على الطريق الثوري للخروج من
الحرب الامبريالية والخلاص من المصائب التي تولدها
الامبريالية ومفاده ان على البروليتاريا في كل بلد ألا
تنتظر توفر الشروط اللازمة للثورة في البلدان الاخرى بل
عليها ان تسعى لاسقاط البرجوازية في بلدها واستلام
الحكم وتحقيق الانتقال الى الاشتراكية .

وبعد ان اثبت لينين حتمية انتقال جميع الامم الى
الاشتراكية اشار الى ان الثورة الاشتراكية لا يجوز القيام
بها بموجب توصية او تنفيذا لارادة احد . وانما ستختمر
في اوقات مختلفة باختلاف البلدان وسيدخل كل بلد
خصائصه في هذه او تلك من اشكال ووتائر التحويلات
الاشتراكية . وكانت نظرية لينين هذه للثورة الاشتراكية
تقوى ايمان العمال في انتصار الثورة الاشتراكية وتطور

بادرتهم وعزيمتهم الثورية . وسرعان ما اكدت الحياة كل التأكيد صحة تعاليم لينين العبقرية .

لقد استتبعت الحرب ضحايا بشرية هائلة واستهلكت موارد مادية كبيرة وكانت عبئا ثقيلا على عاتق العمال والفلاحين . وكانت آلام الجماهير الشعبية تساعد في تقوية الحركة الثورية ضد الحرب في جميع البلدان وتكاثرت اضرابات العمال ومظاهراتهم وغير ذلك من اشكال نضالهم .

وسار العمال الثوريون في روسيا تحت قيادة حزب لينين في الصفوف الاولى للبروليتاريا العالمية المناضلة ضد الحرب . واظهرت الهزيمة في جبهات الحرب ، والخراب والمجاعة ، تعفن القيصرية وعجزها عن حكم البلاد . واشتد الاستياء من سياسة القيصرية في جميع فئات السكان . ورأى لينين بوضوح وتنبأ بان الثورة تقترب في روسيا . وبالفعل بدأت بعد قليل من الزمن .

كان عمال بتروغراد اول من هب . ففي ذكرى الاحد الدامي ، التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩١٧ ، جرت مظاهرة كبيرة ضد الحرب في بتروغراد . وجرت مظاهرات مماثلة في موسكو وباكو ونيجني نوفغورود . ومنذ ذلك الحين اصبحت نضالات العمال الثورية في كل روسيا تشتد يوما بعد يوم .

وفي فبراير (شباط) ١٩١٧ نظم عمال بتروغراد ، تلبية لنداء حزب البلاشفة ، اضرابا سياسيا عاما اشترك فيه اكثر من ٢٠٠ الف عامل وعاملة وتحول الاضراب الى مظاهرة سياسية ضخمة . ونزل العمال الى شوارع العاصمة هاتفين : « ليسقط الحكم المطلق ! » ، « لتسقط الحرب ! » ، « نريد خبزا ! » . واصدرت لجنة الحزب المركزية بيانا دعا الى : اسقاط الحكم المطلق القيصري ، والعمل لتشكيل حكومة ثورية موقتة ، واقامة جمهورية دمقراطية ، وتحديد يوم العمل بثماني ساعات ، ومصادرة اراضي الاقطاعيين ، ووقف الحرب .

وحاولت الحكومة القيصرية ، بمساعدة القوات العسكرية ، قمع الثورة النامية ، ولكنها اصبحت اعجز من ان تفعل ذلك . فالجنود كانوا ينضمون للعمال الثائرين ويناضلون معهم ضد القيصرية . وتحققت نبوءة لينين . فقد انتصر العمال والفلاحون برئاسة الحزب الماركسي الثوري حقا . وسقط الحكم المطلق الذي ظل مئات السنين يضطهد شعوب روسيا . وايد العمال والجنود في موسكو والمدن الاخرى بادرة العمال والجنود البتروغراديين الثورية ، فراحوا يزيحون الموظفين القيصريين ويهدمون النظام الملكي . وتحققت في روسيا الثورة البرجوازية الدمقراطية .

وفي اثناء الثورة نشأت سوفييتات (مجالس) نواب العمال والجنود . وكان ذلك مكسبا عظيما . ولكن المنشفيك والاشتراكيين الثوريين الذين تغلغلوا الى السوفييتات خانوا مصالح العمال والفلاحين واتاحوا للحكومة الموقتة التي انشأتها البرجوازية ان تستولي على مقاليد الحكم . وهكذا نشأت ازدواجية في السلطة : فمن جهة سلطة الحكومة الموقتة وديكتاتورية البرجوازية، ومن الجهة الاخرى سلطة السوفييتات وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية الدمقراطية .

واوجدت الثورة وضعا جديدا في البلاد . زال الحكم المطلق واعلنت الحريات السياسية : حرية الكلام والصحافة والاجتماعات والاتحادات وغيرها . وكانت جماهير العمال والجنود عازمة كل العزم على العمل لتحقيق مطالب الشعب الثورية . وقامت امام جميع الاحزاب السياسية مهمة وضع تكتيك جديد وحل قضايا طرق تطور البلاد التالي والحرب والسلام والارض .

سعى حزبا الكاديت والاكتوبريين (١) البرجوازيان اللذان استلما الحكم الى تثبيت سلطتهما واخضاع

---

(١) الاكتوبريون – حزب معاد للثورة يمثل ويدافع عن مصالح البرجوازية الكبيرة والاقطاعيين الذين كانوا يأخذون بالاساليب الرأسمالية .

السوفييتات لهما ووقف الثورة ومواصلة الحرب . وكانا يخدعان العمال ويقولان ان الحرب ، بعد اسقاط الملكية ، اصبحت عادلة وان من الواجب مواصلتها ثم يجتمع مجلس تأسيسي فيقرر جميع القضايا . ولكنهما كانا في الواقع لا يفكران بتحقيق مطالب الشعب الثورية وكانا ، كالقيصرية من قبلهما ، يأملان بان الاستمرار في الحرب سيجعل من الايسر لهما قمع العمال والجنود الثوريين .

وكان المنشفيك والاشتراكيون الثوريون يساعدون البرجوازية في خداعها للشعب . كانوا يقولون ان سلطة البرجوازية يجب ان تبقى طويلا في البلاد بعد اسقاط الملكية لان الظروف اللازمة للثورة الاشتراكية لم تتوفر في روسيا على حد زعمهم ، ولان العمال ليسوا مستعدين لاستلام الحكم وتصريف شؤون البلاد . وكان المنشفيك والاشتراكيون الثوريون يحاولون جهدهم ألا يعكروا على الحكومة الموقتة صفوها ويعتبرون السوفييتات لا هيئة لسلطة العمال وفقراء الفلاحين الثورية بل ذيلا للحكومة لموقتة .

منذ الايام الاولى من ثورة فبراير (شباط) خرج حزب البلشفي من السرية وراح يجمع قواه . وعاد من سجون والمنافي كثير من رجالاته البارزين كدزرجينسكي

واوردجونيكيدز وسفردلوف وستالين ويار وسلافسكي وغيرهم.
وعادت جريدة « البرافدا » الى الصدور وظهر العدد الاول منها في ٥ مايس (آذار) ١٩١٧ .

وكان لينين ، وهو في سويسرا ، يتابع باهتمام تطور الاحداث الثورية في روسيا ، وما ان عرف بانتصار ثورة فبراير (شباط) حتى ارسل حالا برقية الى البلاشفة في روسيا وكتب « رسائل من بعيد » اجاب فيها اجوبة مفصلة على جميع المسائل التي قامت امام الحزب بنتيجة الثورة . وقال انه لم تتم الا المرحلة الاولى من الثورة ، التي سلمت الحكم للبرجوازية ، وان الحكومة الموقتة لا يمكن الثقة بها . وطرح مهمة عدم تمكين البرجوازية من تثبيت اقدامها في الحكم بل النضال بكل القوى لانتقال السلطة كلها الى السوفييتات والاجهاز على القوى الرجعية والاستعداد للثورة الاشتراكية .

ووجه لينين نداء حارا الى عمال روسيا الثوريين جاء فيه : « لقد ابديتم اعاجيب من البطولة البروليتارية امس ، اذ اطحتم بالملكية القيصرية ، ومحتم عليكم في مستقبل قريب كثيرا او قليلا . . . ان تبدوا من جديد عجائب من البطولة نفسها لاسقاط حكم الاقطاعيين والرأسماليين » .

وطرح لينين امام البلاشفة مهمة القيام بعمل توضيحي واسع بين الجماهير والبرهنة لها على ان انهاء الحرب واعطاء

سلام دمقراطي حقا ليسا بوسع غير سلطة الكادحين .

وحذر لينين من محاولات الاتحاد مع المنشفيك ، التي كان يبذلها بعض البلاشفة لان هذه المحاولات تعيق تطور النضال الثوري وتشكل خطرا كبيرا على الحزب.

ولكن كامنف الذي كان عضوا في هيئة تحرير « البرافدا » استبقى رسائل لينين التي فيها ارشاداته ، ولم تنشر في الجريدة الا اول رسالة من « رسائل من بعيد » بل لم تنشر الا باختصارات وتعديلات كثيرة ليّنت من اوصاف لينين للحكومة الموقتة ومن انتقاده لزعماء احزاب البرجوازية الصغيرة المتشدقين « بالدفاع عن الوطن » .

وقام البلاشفة بعمل كبير بين الجماهير . ولكن بعض اللجان البلشفية وعددا من العاملين البارزين في الحزب وقفوا موقفا غير صحيح . فلم يقولوا بمهمة مواصلة النضال من اجل انتقال السلطة كلها الى السوفييتات بل اقتصروا على الدعوة لاقامة « رقابة الجماهير » على نشاط الحكومة الموقتة ، فاهمين من كلمة الرقابة هذه تنظيم المظاهرات والاحتجاجات والبيانات . وكان ذلك تكتيكا غير صحيح لانه كان يحدث عند الجماهير احساسا كاذبا بان الحكومة الموقتة البرجوازية تستطيع التخلي عن السياسة الامبريالية وانهاء الحرب واعطاء الشعب السلام والخبز والارض .

ووقف كامينيف من الحكومة الموقتة والحرب موقفا نصف منشفيكي . فقد نشر في جريدة « البرافدا » مقالة تدعو الى تأييد الحكومة الموقتة وايد استمرار الحرب ثم الضغط ، بعد مدة ، على الحكومة الموقتة لاجبارها على ان تقترح عقد الصلح .

وايد ستالين سياسة الضغط على الحكومة الموقتة مطالباً بالعكوف حالا على مفاوضات الصلح. وهذا ما زاد من صعوبة نضال الحزب ضد النزعة الدفاعية وعقّد عمله لتربية الجماهير تربية ثورية بروح الاستعداد للثورة الاشتراكية. ومنذ اواسط ابريل (نيسان) تخلى ستالين عن آرائه الخاطئة وانضم الى الموقف اللينيني .

لقد هز نبأ الثورة التي بدأت الاشتراكيين - الدمقراطيين الموجودين في الخارج . وبدأ الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية للترحيب بالثورة .

وكان لينين يتوق الى الوطن بكل خواطره وكل فؤاده . كتب يقول : « تستطيع ان تتصور اي عذاب نعانيه جميعا بجلوسنا هنا في مثل هذا الوقت » . وراح يبحث باصرار عن طرق للعودة باسرع ما يمكن الى روسيا . قالت كروبسكايا في مذكراتها : « طار النوم من عيني ايليتش منذ ان وصلت انباء الثورة ، وراح يبني في الليالي اجرأ المشاريع » .

وكان كادحو روسيا ينتظرون عودة زعيمهم بفارغ الصبر . ولكن الحكومة الموقتة كانت تثير مختلف الصعوبات في وجهه . وارسلت الى ممثليها في الخارج « قوائم سوداء » وردت فيها اسماء لينين وغيره من البلاشفة ولم تسمح لهم بالعودة الى الوطن .

واستطاع لينين اخيرا بشق النفس ، وبمساعدة الاشتراكيين - الدمقراطيين السويسريين ، ان يدبر لجماعة من البلاشفة وغيرهم من المهاجرين امر العودة الى الوطن .

وبعد نزوح دام عشر سنين تقريبا وصل لينين الى بتروغراد في ليلة ٣ ابريل (نيسان) ١٩١٧ . واستقبلت روسيا الثورية زعيمها الكبير باعظم الفرح والابتهاج . وجاء الالوف من العمال والعاملات الى محطة سكة حديد فنلنده ومعهم الرايات الحمراء . ونظمت كتائب ثورية من الجنود والبحارة حرس شرف له . وارتقى تحت عواصف التصفيق والهتافات من المستقبلين سيارة مصفحة كانت بانتظاره والقى في العمال والجنود والبحارة نداء حارا للنضال من اجل ثورة جديدة اشتراكية ، من اجل سلطة السوفييتات .

ما ان قدم لينين الى بتروغراد حتى قام بنشاط شديد. فالقى في ٤ ابريل (نيسان) ، في اجتماع للبلاشفة ، موضوعات حول مهام البروليتاريا الثورية دخلت التاريخ باسم « موضوعات نيسان » . وقد لعبت دورا فاصلا في تحديد الخط الصحيح للحزب في الوضع التاريخي الجديد . وفيها عرض لينين خطة ملموسة دقيقة للنضال من اجل الانتقال من الثورة البرجوازية الدمقراطية التي سلمت الحكم للبرجوازية الى الثورة الاشتراكية التي عليها ان تسلم الحكم للطبقة العاملة وفقراء الفلاحين .

وبين لينين ان الحكومة الموقتة تدافع عن مصالح الرأسماليين والاقطاعيين وان الحرب لا تزال حرب اغتصاب ونهب. ورفع شعاري «لا تأييد للحكومة الموقتة ! »، «كل السلطة للسوفييتات ! » . وقال ان سلطة السوفييتات هي وحدها التي ستعطي السلام للشعب والارض للفلاحين والخبز للجائعين . ولكنه في الوقت نفسه حذر بانه لا يجوز الآن الدعوة الى اسقاط الحكومة الموقتة لانها تؤيدها السوفييتات التي تثق بها الجماهير ، بل يجب في مثابرة وصبر كسب الكادحين الى جانبنا والحصول على الاكثرية في السوفييتات وجعلها بلشفية . وبهذا الشرط ، يمكن ان تنتقل السلطة بالطريق السلمي الى ايدي العمال وفقراء

الفلاحين . وقال ان نجاح الثورة الاشتراكية يتوقف على التحالف الوطيد بين العمال وفقراء الفلاحين واشار الى اهمية العمل التوضيحي الواسع في القرية .

وحدد لينين مهمات الحزب ايضا في الميدان الاقتصادي ، وهي : النضال من اجل مصادرة املاك الاقطاعيين اي اخذها بلا مقابل ، وتأميم كل الارض في البلاد اي تصفية الملكية الخاصة للارض ووضعها تحت تصرف سوفييتات نواب العمال الزراعيين والفلاحين . واقترح لينين اقامة رقابة العمال على المصانع وعلى كل الانتاج الاجتماعي وتوزيع المنتجات . كما رفع ايضا مطلب دمج كل مصارف البلاد في مصرف وطني عام واحد ووضعه تحت رقابة سوفييت نواب العمال والجنود .

واقترح لينين عقد مؤتمر الحزب وتغيير اسمه بالحزب الشيوعي واعادة النظر في برنامج الحزب الذي كان قد نُفذ في كثير من نقاطه في ذلك الحين ، لان هدفه الاساسي وهو اسقاط القيصرية قد تحقق . وطرح على البلاشفة وجميع الماركسيين الثوريين مهمة عملية هي انشاء اممية ثالثة شيوعية .

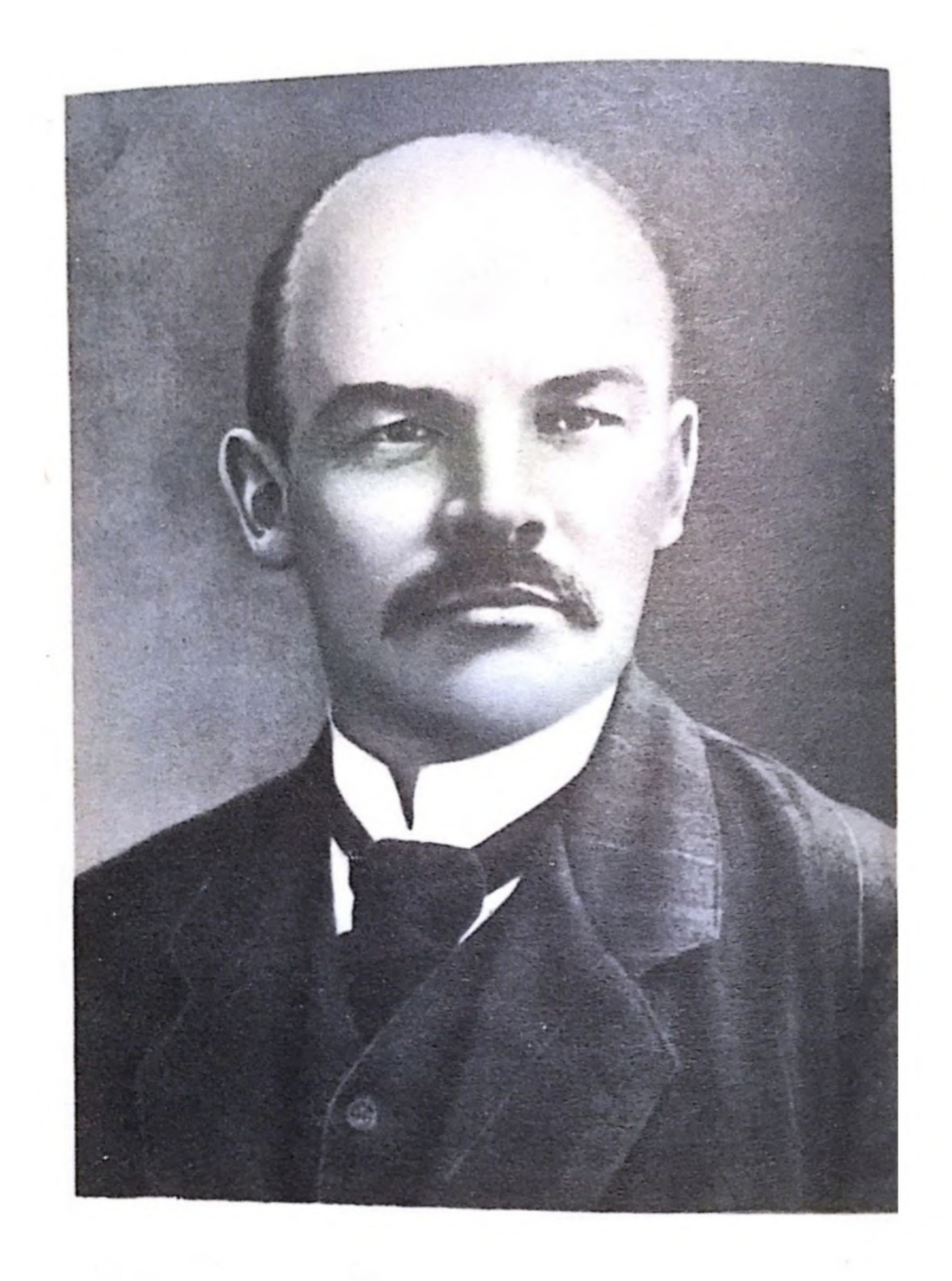
ان « موضوعات نيسان » اللينينية هي وثيقة برنامجية عظيمة انارت طريق نضال البروليتاريا الروسية الثوري في الظروف التاريخية الجديدة .

وترأس لينين لجنة الحزب المركزية وهيئة تحرير « البرافدا» وعمل منظمة البلاشفة في بتروغراد. وعقد بقيادته المجلس العام لكل مدينة بتروغراد والمجلس العام السابع (مجلس نيسان) لكل روسيا لحزب العمال الاشتراكي-الدمقراطي الروسي . وكان هذا اول مجلس عام علني للبلاشفة في روسيا . واوضح لينين في خطبه في هذين المجلسين العامين برنامج وتكتيك الحزب المرسومين في « موضوعات نيسان » . وفضح موقف كامينيف وريكوف وانصارهما القلائل الذين يرددون مزاعم المنشفيك بان روسيا لم تنضج للثورة الاشتراكية ، وانتقد شديد الانتقاد عدم ثقتهم بالثورة وانكارهم لامكان انتصار الاشتراكية في بلادنا . وسار الحزب وراء لينين وضد الانتهازيين ووافق على خطة لينين للنضال من اجل الثورة الاشتراكية وجعلها اساسا لنشاطه .

وبقيادة لينين راح البلاشفة يشرحون للعمال والجنود والفلاحين سياسة الحزب ويعملون لتربية الجماهير سياسيا ولتنظيمهم . وكان لينين في مركز هذا العمل الضخم وكان كثيرا ما يخطب بنفسه في اجتماعات العمال ومؤتمراتهم الشعبية في مصانع بوتيلوف واوبوخوف وتروبتشني وكثير غيرها من المصانع وفي المؤتمرات الشعبية للجنود والبحارة . كتب ف . ف . فاسيلييف

احد عمال مصنع بوتيلوف مستذكرا ذكرياته عن احدى هذه الخطب قائلا : « كان عمال بوتيلوف قد طردوا لتوهم الاشتراكي الثوري تشيرنوف من المنبر . وفي هذه اللحظة عم نبأ يقول : « جاء لينين ! » فامتلأت الساحة الكبيرة الممتدة امام قسم الدلفنة بالناس . . . واجتمع زهاء ٢٥ الف شخص . وجلس الناس حتى على سطوح اقسام المصنع .

واستمعوا الى لينين بانتباه نهم ، خائفين ان تفوتهم ولو كلمة من كلماته . وكان الوقت آنذاك عصيبا . فالحرب مستمرة والمصانع متوقفة لا وقود فيها والمواد الغذائية لا تكفي . وكنا نحن العمال ننتظر جوابا واضحا على كثير من الاسئلة . ولقد اجابنا فلاديمير ايليتش عليها . وبرهن على ان سلطة السوفييتات هي وحدها التي تستطيع ان توقف الحرب الامبريالية وان تعطي الشعب السلام والخبز والعمل » . وكانت كلمة لينين الملتهبة الصادقة تصل الى اعماق قلوب الكادحين وتثير حماستهم . يقول ف . ب . ييميليانوف العامل في مصنع سيميانيكوف الذي اشترك في احد المؤتمرات الشعبية : « كانت كلماته تجمع الناس وتفتح الطريق لتبين كيف وماذا يجب على كل عامل ان يفعل . . . وتسلح ثلاثة آلاف شخص من مناضلي المستقبل ، في ذلك المؤتمر الشعبي ، بكلمات



لينين . صورة فوتوغرافية من سنة ١٩١٠



لينين في الماكياج والشعر المستعار . صورة فوتوغرافية من شهر اغسطس (آب) ١٩١٧

لينين النارية . وكانت افكار لينين هذه تغلي في قلوب اولئك العمال والبحارة والجنود . . . وكان كل واحد منا ، وقد اثار لينين حماسته ، قد اصبح يتحرق شوقا للنضال » .

وتكلم لينين في مؤتمر نواب الفلاحين الاول لعموم روسيا فدعا الى الاستيلاء فورا على اراضي الاقطاعيين وتحدث عن ضرورة احداث منظمة مستقلة للعمال الزراعيين المأجورين وفقراء الفلاحين . وكان لينين يعير اهتماما كثيرا للصحافة . وكثيرا ما كانت تظهر مقالاته في جريدة « البرافدا » . وكان في خطبه في الاجتماعات وفي مقالاته في الجرائد يفضح سياسة الحكومة الموقتة المعادية للثورة وانتهازية المنشفيك والاشتراكيين الثوريين ويشرح الشعارات البلشفية. وكان يقنع العمال والجنود في حرارة بان انتقال كل السلطة الى السوفييتات هو وحده الذي يستطيع ان يخرج روسيا من الطريق الذي اوصلتها له سيطرة البرجوازية . وكان العمال والفلاحون والجنود يزدادون تفهما لافكار لينين وينتقلون الى جانب البلاشفة . وكانوا يعربون في رسائلهم الى لينين عن شكرهم واستعدادهم للنضال وعن اخلاصهم اللامتناهي لافكاره. كتب الجنود من الجبهة في احدى الرسائل:

« ايها الرفيق والصديق لينين . تذكر اننا نحن الجنود . . . مستعدون جميعا ، كرجل واحد ، للسير وراءك في كل

مكان ، وان فكرتك هي فعلا تعبير عن ارادة الفلاحين والعمال » .

كانت الحكومة الموقتة ، ارضاء للبرجوازية ، تزداد تطاولا على منجزات العمال الثورية ، وتواصل الحرب الامبريالية ، وتسوق جماهير الجنود الى الجبهة ولا تشاء ان تفعل شيئا للتخفيف من سوء معيشة العمال والفلاحين الذين يريقون دمهم في الجبهات ويذوقون ما لا يوصف من الآلام والعوز . وكانت الجماهير الشعبية تعرب عن استيائها من سياسة الحكومة الموقتة . فعندما عرف العمال والجنود بضحايا الحرب الجديدة التي وقعت بسبب محاولة الهجوم في الجبهة ، نزلوا في ٣ يوليو (تموز) الى شوارع بتروغراد مطالبين بتسليم السلطة للسوفييتات . وباشارة من لينين سار البلاشفة في رأس المظاهرة وحاولوا اضفاء الطابع السلمي والمنظم على الحركة .

وبموافقة سوفييتات الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك انقضت الحكومة الموقتة على المظاهرة بالقوة المسلحة . وتضرجت شوارع العاصمة من جديد بدماء الشعب . وتعرض حزب البلاشفة والمنظمات العمالية لاضطهادات قاسية . وزج بالكثير من البلاشفة في السجون . وفي ليلة ٥ يوليو (تموز) حطم اليونكر (١) مقر هيئة تحرير

---

(١) اليونكر في روسيا القيصرية هم طلاب المدرسة اليونكرية (الحربية) .

« البرافدا » . ونجا لينين من القتل مصادفة اذ دخل الى المكتب وغادره قبل ذلك بنصف ساعة. وانتقلت السلطة كلها الى الحكومة الموقتة البرجوازية وانتهت ازدواجية السلطة . وانتهت الفترة السلمية في تطور الثورة وبدأت فترة المعارك الثورية .

وباشرت الحكومة الموقتة حملة افترائية قذرة على لينين والبلاشفة وسعت الى سلب قيادة الحزب البلشفي رأسها . واعلنت لينين خارج القانون واصدرت امرا باعتقاله واتخذت جميع التدابير لالقاء القبض عليه وقتله . ووعد كيرنسكي الذي كان يترأس الحكومة الموقتة بتقديم مبلغ كبير من المال لمن يسلم لينين للسلطات . وراحت الجرائد البرجوازية تدعو ، بشكل هستيري ، الى القضاء على البلاشفة .

وجوابا على ملاحقات البرجوازية وافترائها الحاقد قال لينين عن الحزب في شعور من الاعتزاز به : « اننا نؤمن به ، وفيه نرى عقل عصرنا وشرفه وضميره » . واخفى الحزب الشيوعي والعمال الثوريون زعيمهم الكبير في اماكن امينة . وبقرار من اللجنة المركزية انتقل لينين الى الوضع السري . وعاش وعمل في سرية شديدة اكثر من ثلاثة اشهر ونصف معرضا في كل دقيقة لخطر القاء القبض من قبل مباحث الحكومة الموقتة .

اختبأ لينين عدة ايام في منازل عمال بتروغراد ثم في عريشة على ضفة بحيرة رازليف قرب بتروغراد وكأنه حصّاد فنلندي . وكان ن . أ . ييميليانوف ، العامل في مصنع سيستروريتسك يحمي فلاديمير ايليتش ويساعده . وقد اعطي لينين مناجل ومدراة وفأسا وقدرا ، — اي كل ما يجب ان يوجد عند الحصادين . وعلى مسافة غير بعيدة من العريشة قطعت الاشجار وانشئت فسحة من الارض غير كبيرة ، كان لينين يسميها مازحا : « مكتبي الاخضر » . ووضعت في وسط الفسحة قرمتا شجر بمثابة مائدة ومقعد . وهنا راح لينين يعمل : يكتب المقالات والرسائل ويعد كتاب « الدولة والثورة » . وما كان بوسع شيء ان يمنعه عن العمل المتوتر الدائم . فحتى في اسوأ الظروف كان فكره الحي الخلاق يعمل بزخم وتوضع مشروعات العمل اللاحق .

واستمر لينين وهو في الوضع السري يمارس القيادة اليومية للحزب ولنضال الطبقة العاملة في روسيا . وكان يتابع باهتمام تطورات الحوادث في بتروغراد والبلاد وجبهات الحرب وكان على صلة دائمة بلجنة الحزب المركزية . وكان يأتي اليه رفاق من اللجنة المركزية : غ . ك . اوردجونيكيدزه ، وف . ا . زوف ، وآ . ف . شوتمان ، وأ . أ . راخيا وغيرهم . فكان يسألهم بالتفصيل

عن الحوادث ويقدم لهم التعليمات . وبالرغم من ان الحزب قد اجبر على العمل السري الا ان لينين كان مؤمنا كل الايمان بقرب انتصار الطبقة العاملة . وعندما نقل اليه اوردجونيكيدزه ما قاله احد الرفاق من ان السلطة ، في رأيه ، ستنتقل قريبا الى البلاشفة ويصبح لينين رئيسا للدولة ، اجاب في جد تام : « نعم ، هذا ما سيكون » .
كان يقول ان السوفييتات المنشفيكية افلتت اللحظة المناسبة لاستلام الحكم ، وانه لا يمكن الآن الاستيلاء على السلطة الا بالانتفاضة المسلحة وان هذه الانتفاضة ليست بالبعيدة بل ستحدث في مدة اقصاها سبتمبر – اكتوبر (ايلول – تشرين الاول) . وباقتراح من لينين ترك الحزب موقتا ، بعد حوادث يوليو (تموز) ، شعار « كل السلطة للسوفييتات ! » لان سوفييتات الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك تحولت نهائيا الى ذيول للحكومة الموقتة المعادية للثورة . واصبحت مهمة الساعة الانتفاضة المسلحة .

قاد لينين وهو متخف عمل المؤتمر السادس للحزب الذي اجتمع في اواخر يوليو (تموز) ١٩١٧ في بتروغراد في وضع نصف علني لأن البرجوازية شددت ملاحقة البلاشفة وهددت بتفريق المؤتمر . وكانت من اولى المسائل التي بحثت في المؤتمر مسألة هل يحضر

لينين محكمة الحكومة الموقتة ام لا . وقال بعض المندوبين كستالين وفولودارسكي ومانوئيلسكي وغيرهم بامكان حضور لينين في المحكمة اذا اعطيت ضمانات امن له. وفي الوقت نفسه اعلن ستالين انه ما دامت ليست هناك ضمانات امن ، فلا معنى لحضور لينين والبلاشفة الآخرين في المحكمة .

كان اوردجونيكيدزه ودزرجينسكي وسكريبنيك وغيرهم يرون بحق ان المحكمة البرجوازية لا يمكن ان تكون عادلة ، وان ذلك سيكون قضاءا على زعيم الحزب ولا يجوز التصديق باية تأكيدات من البرجوازية . وصوت المؤتمر بالاجماع لعدم مثول لينين في المحكمة ، واعرب عن احتجاجه على ملاحقة زعيم البروليتاريا الثورية ، وارسل تحية الى لينين وانتخبه رئيسا فخريا له .

كان اساس تقرير اللجنة المركزية السياسي والتقرير عن الوضع السياسي ، اللذين قدمهما ستالين في المؤتمر ، هو مؤلفات لينين : موضوعات « الوضع السياسي » و« حول الشعارات » و« دروس الثورة » وغيرها . ودعا المؤتمر الحزب الى النضال لاسقاط سلطة البرجوازية والاقطاعيين المعادية للثورة عن طريق الانتفاضة المسلحة لانه اصبح من المستحيل على الطبقة العاملة في تلك الظروف ان تستلم الحكم بالطريق السلمي . واكدت القرارات

تعليمات لينين بان تحالف الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين هو الشرط اللازم لانتصار الثورة الاشتراكية. ورد الحزب في المؤتمر ردا حازما على كل من ابدى عدم ثقة بالثورة الاشتراكية في روسيا ، ودافع عن تعاليم لينين عن انتصار الاشتراكية في بلد واحد ، واشار الى اهمية العمل بين الشباب ، وقال بضرورة انشاء منظمات للشباب وتأمين القيادة الحزبية لها . وقد اقر المؤتمر كل مقترحات لينين واصبحت مقررات للحزب .

لقد استشف لينين بوضوح اقتراب الثورة الاشتراكية وهيأ الحزب لها . وبقيادته قام الحزب بعد المؤتمر بعمل توضيحي وتنظيمي كبير بين العمال والجنود والبحارة والفلاحين وفي المصانع والجيش والقرية . وانشئت كتائب الحرس الاحمر (١) وراح العمال يحصلون على الاسلحة ويتعلمون استعمالها .

وطرح اقتراب الثورة الاشتراكية ، بكل حدة ، مسألة الموقف الذي يجب ان يقفه حزب الطبقة العاملة من الدولة البرجوازية وكيف يجب ان تكون الدولة عندما تصبح البروليتاريا على رأس الحكم . وقد رد لينين على هذه الاسئلة في كتابه العبقري « الدولة والثورة » الذي

(١) الحرس الاحمر هو القوات المسلحة للبروليتاريا في اثناء ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى .

كتبه اثناء العمل السري في خريف سنة ١٩١٧ . وفيه اعاد تعاليم ماركس وانجلس عن الدولة وديكتاتورية البروليتاريا ، التي كان الانتهازيون قد شوهوها ، وطورها بحيث تنطبق على الوضع التاريخي الجديد .

قال ان كل دولة برجوازية ، مهما كانت دمقراطية في مظهرها ، هي في الواقع شكل من اشكال ديكتاتورية (سيطرة) البرجوازية . وعلى البروليتاريا ، بعد اسقاط حكم البرجوازية ، ان تقيم ديكتاتوريتها . ويجب تحطيم جهاز الدولة القديم وانشاء جهاز جديد للدولة وهذه الدولة هي دمقراطية حقا لانها تعبر عن مصالح اكثرية الجماهير الشعبية . وشرح لينين بدقة ووضوح بالغين ما هي ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا وما هو دورها التاريخي . كتب يقول : « لا بد للبروليتاريا من سلطة الدولة ، من تنظيم القوة المتمركز ، من تنظيم العنف سواء لقمع مقاومة المستثمرين او لقيادة جماهير السكان الغفيرة من فلاحين وبرجوازية صغيرة واشباه بروليتاريين في امر « ترتيب » الاقتصاد الاشتراكي» . وقال لينين ان تعاليم ديكتاتورية البروليتاريا هي الشيء الرئيسي في الماركسية ، وكان يعتبر ديكتاتورية البروليتاريا الاداة الرئيسية لبناء الاشتراكية .

وفي كتاب « الدولة والثورة » وجه لينين اهتماما كبيرا لبحث الاشتراكية والشيوعية بوصفهما طورين

(درجتين) في تطور المجتمع الشيوعي . وطور آراء ماركس وانجلس مبينا ان الاشتراكية ستتحول حتما الى الشيوعية . وفي هذا الكتاب اتى لينين باحكام هامة ايضا فيما يتعلق بدور الحزب الشيوعي . قال ان الحزب الذي هو طليعة البروليتاريا قادر على ان يقود كل الشعب نحو الاشتراكية وان يقيم نظاما جديدا وان يكون معلما وقائدا وزعيما لجميع الكادحين . وليس بوسع غير الحزب الشيوعي ان يترأس بناء الحياة الجديدة بدون البرجوازية وضد البرجوازية .

سلح كتاب لينين الحزب والطبقة العاملة بفهم واضح لما يجب ان تكون عليه دولة العمال والفلاحين وما هو البرنامج الذي يجب ان تحققه سلطة السوفييتات . وللكتاب اهمية عالمية بالنسبة للاحزاب الشيوعية والعمالية ايضا في جميع البلدان .

في اغسطس (آب) سافر لينين الى فنلنده متخفيا بزي وقاد في قاطرة . واقام في البداية عند العمال الفنلنديين في قرية قريبة من هلسينغفورس (هلسنكي حاليا) ثم انتقل الى هذه المدينة .

وفي تلك الاثناء كان الوضع في البلاد قد ازداد توترا . فقد اشتد الخراب وتوقفت المواصلات لعدم كفاية الوقود وتوقف جلب الخامات والمواد الغذائية الضرورية الى

المدن واتسع نطاق الاحتكار وارتفع غلاء المعيشة . وكانت البرجوازية تشدد الصعوبات الاقتصادية عن قصد بامل خنق الثورة « بيد الجوع المعروقة » كما كان ممثلوها يقولون بوقاحة . فكان الرأسماليون يغلقون المصانع ويبقى الالوف من العمال بلا عمل محكوما عليهم بالجوع . هكذا كانت البرجوازية تريد تحطيم عزيمة العمال على النضال والحيلولة دون الثورة الاشتراكية .

في تلك الفترة كتب لينين مقالة « الكارثة الداهمة وكيف نحاربها » . وبين ان الرأسماليين والاقطاعيين المستلمين لمقاليد الحكم يقودون البلاد الى الدمار . فهم يريدون الاستفادة من الخراب للقضاء على السوفييتات وعلى كل المنجزات الثورية واقامة حكم البرجوازية الكلي . واشار لينين الى المخرج من الكارثة الداهمة واوضح انه لا يمكن انقاذ البلاد الا ببناء الاشتراكية ولا يمكن السير الى امام إلاّ نحو الاشتراكية . وفي رأيه ان الخطوات الاولى في هذا الطريق هي : تأميم الارض والمصارف وانشاء بنك وطني واحد وفرض رقابة العمال فورا على الانتاج وعلى توزيع المنتجات ، مما يمكّن من انهاض الاقتصاد من عثاره وتنظيم عمله الطبيعي وانهاء الحرب . كتب لينين : « ان الثورة جعلت روسيا

تلحق بنظامها السياسي ، في عدة اشهر ، البلدان الطليعية .

ولكن هذا قليل . فالحرب لا ترحم ، وهي تطرح المسألة في شدة وقسوة : اما الهلاك او اللحاق بالبلدان الطليعية وسبقها ايضا اقتصاديا . . . الهلاك او الانطلاق بكل قوة الى امام . هكذا يطرح التاريخ المسألة » .

وحزر لينين مقاصد اعداء الثورة ، فحذر الحزب والشعب من ان الرأسماليين والاقطاعيين والضباط الرجعيين يدبرون مؤامرة على الثورة ، ودعا الى اليقظة والاستعداد لمواجهتهم. وحدث ما تكهن به لينين اذ حاولت البرجوازية القضاء على الثورة . ففي ٢٥ اغسطس (آب) احدث الجنرال كورنيلوف ، بايعاز من الامبرياليين الروس والاجانب ، فتنة معادية للثورة وقاد القوات العسكرية نحو بتروغراد بأمل ان يخنق الثورة بالقوة العسكرية وان يصبح ديكتاتورا عسكريا . وترأس الحزب نضال الجماهير الشعبية ضد جماعة كورنيلوف وقمعت فتنته في عدة ايام ، وايقن العمال من التجربة بان الحزب البلشفي وعلى رأسه لينين هو وحده الذي يدافع حقا عن مصالحهم الجذرية . وانقلبت الجماهير الشعبية بسرعة نحو البلاشفة الذين جمعوا اكثرية الاصوات في اعادة انتخابات السوفييتات ، واصبح سوفييتا بتروغراد وموسكو في اغسطس – سبتمبر

(آب – ايلول) بلشفيين . ونما نفوذ السوفييتات واصبحت لها قوة كبيرة .

ولما رأى الكاديت والمنشفيك والاشتراكيون الثوريون اقتراب الثورة الذي لا مرد له ونمو نفوذ البلاشفة بين الكادحين ، سعوا الى تخويف الجماهير فراحوا يلهجون بان البلاشفة لن يستطيعوا استلام الحكم وانهم ، اذا استلموه ، فلن يستطيعوا البقاء فيه حتى ولو اسبوعين لانهم لن يستطيعوا تنظيم ادارة البلاد . فاوضح لينين في مقالة « هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟ » ان البرجوازية تريد بهذه الدعاية ان تخيف الطبقة العاملة . وقال ان هناك كل المنطلقات الضرورية لكي يستطيع البلاشفة استلام الحكم وصد الثورة المعاكسة والحفاظ على الحكم واعادة تنظيم اقتصاد البلاد على اساس اشتراكي. وعلى السوفييتات ان تقوم بدور كبير في هذا بوصفها جهاز الدولة الجديد لسلطة العمال والفلاحين. وان مجيء الطبقة العاملة للحكم برئاسة حزب البلاشفة وبالاستناد الى فقراء الفلاحين سيمكن من اطلاق بادرة وطاقة الجماهير الغفيرة المتحررة من العبودية وسيسير ببناء الحياة الجديدة الى امام .

كان لينين في ذلك الحين لا يزال متخفيا في فنلنده . وكان مطلعا على الوضع السائد في البلاد بكل تفاصيله .

وكانت معرفة لينين العميقة للماركسية ومقدرته الفائقة على استخدامها في النضال العملي ، تساعدانه في الكشف بسرعة عن حقيقة الحوادث وفي رسم الطريق الصحيح لنشاط الحزب ورسم استراتيجيته وتكتيكه .

رأى لينين نهوضا عاصفا للثورة وطرح بحزم امام لجنة الحزب المركزية مهمة الاستعداد عمليا لاستيلاء الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين على الحكم ، مهمة الاستعداد للانتفاضة المسلحة . وبما ان السوفييتات اصبحت بلشفية في اكبر المراكز الصناعية فقد رفع الحزب من جديد ، بايعاز من لينين ، شعار « كل السلطة للسوفييتات ! » هذا الشعار الذي اصبح يعني الآن الدعوة الى الثورة المسلحة على الحكومة البرجوازية واقامة ديكتاتورية البروليتاريا . وقد ايد اكثر من ٢٥٠ سوفييتا هذا الشعار .

وفي اواسط سبتمبر (ايلول) ارسل لينين ، وهو لا يزال مضطرا الى التخفي في فنلنده ، رسالتين تاريخيتين الى لجنة الحزب المركزية ولجنتيه في بتروغراد وموسكو ، وهما : « يجب على البلاشفة ان يأخذوا السلطة » و« الماركسية والانتفاضة » ، وفي هاتين الرسالتين برهن على ضرورة اعداد الانتفاضة المسلحة اعدادا عمليا وعاجلا. كتب لينين : « ان البلاشفة ، وقد نالوا الاغلبية في سوفييتي نواب العمال والجنود في العاصمتين ،

يستطيعون ويجب عليهم ان يأخذوا سلطة الدولة في ايديهم » .

وفكر لينين بامعان في خطة الثورة ووضعها بدقة على اساس اعتبار قوى الثورة والقوى المعادية للثورة وعلى اساس اعتبار جميع الظروف التي كانت قد تكونت في روسيا . اقترح لينين البدء فورا بتنظيم مركز لقيادة كتائب الثوار وتوزيع القوى وحشد اوفى القطعات في اهم المواقع : تطويق المباني الحكومية والاستيلاء على محطة التلفون والبرق . واوصى بانشاء كتائب قتالية قوية قادرة على منع القوات المعادية للثورة من الوصول الى بتروغراد وعلى تأمين الدفاع عن المدينة . واثبت ان جميع الشروط متوفرة لنجاح الانتفاضة المسلحة . وطالب بارسال الشيوعيين الى المصانع والثكنات والى حيث تعمل الجماهير وتعيش . وقال : « هناك عصب الحياة ، هناك مصدر انقاذ الثورة » .

وزعت اللجنة المركزية رسالتي لينين على المنظمات الحزبية في كل مكان لتكونا ارشادا لها . وباشر الحزب باعداد الانتفاضة المسلحة . وتلقت جميع المنظمات الحزبية الكبيرة مهمات محددة . وعززت وانشئت كتائب جديدة للحرس الاحمر . واستحدثت في بتروغراد دورات تعليمية لاعداد المدربين في فن الحرب . وراح

بلاشفة اسطول البلطيق يعدون البحارة للانتفاضة . وشكلت منظمات الجبهة العسكرية المخلصة للبلاشفة وحدات قتالية لمساعدة العمال .

وفي اواسط سبتمبر (ايلول) انتقل لينين من هلسينغفورس الى فيبورغ ليكون اقرب الى بتروغراد . ونشرت في جريدة « رابوتشي بوت » (« طريق العمال ») البلشفية مقالاته الداعية الى الاستعداد بدقة للنضال من اجل السلطة لان موعد الانتفاضة المسلحة قد جاء . كتب لينين : « ان الازمة قد اختمرت وان كل مستقبل الثورة الروسية مطروح على مائدة القمار » . وقال ان تفويت اللحظة المناسبة يعني تدمير كل القضية . وقال في اول اكتوبر (تشرين الاول) في رسالته الى اللجنة المركزية ولجنتي موسكو وبتروغراد والى البلاشفة اعضاء سوفييتي بتروغراد وموسكو ، ان التماهل في الانتفاضة لا يجوز بل « يجب الاقدام على الانتفاضة في الحال » .

وفي ۷ اكتوبر (تشرين الاول) انتقل لينين سرا من فيبورغ الى بتروغراد لقيادة اعداد الانتفاضة المسلحة قيادة مباشرة . وفي ذلك اليوم نفسه وجه رسالة الى المجلس العام للبلاشفة في المدينة . وفي ۸ منه وجه رسالة الى المشتركين في مؤتمر سوفييتات المنطقة الشمالية قال فيها انه قد حانت اللحظة للعمل الحاسم وان « التباطؤ اشبه

بالموت » . كان لينين يثق بقوة ومقدرة الحزب البلشفي على جر الجماهير وراءه وكان يعرف اية ينابيع للطاقة لا تنضب في الطبقة العاملة الثورية في روسيا وكان موقنا بان الانتفاضة المسلحة ستتكلل بالنصر .

وفي ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) بحثت مسألة الانتفاضة المسلحة في جلسة لجنة الحزب المركزية . والقى لينين تقريرا اثبت فيه ان اللحظة مؤاتية لكي تستلم البروليتاريا وفقراء الفلاحين الحكم . واتخذت لجنة الحزب المركزية قرارا لينينيا تاريخيا بتنظيم الانتفاضة المسلحة . ولم يشذ عن الجمع غير كامينيف وزينوفييف اللذين أبديا جبنا وعارضا هذا القرار . اما تروتسكي فلم يصوت ضده ولكنه اصر على ارجاء الانتفاضة الى حين انعقاد المؤتمر الثاني للسوفييتات ، وهذا ما كان يعني في الواقع احباط الانتفاضة لان ذلك يمكن اعداء الثورة من جمع قواهم وضرب العمال الثوريين . ولكن الحزب سار في طريق لينين وجعل قراره اساسا لنشاطه العملي . وفي هذه الجلسة انتخب مكتب سياسي برئاسة لينين لقيادة الانتفاضة سياسيا .

وفي ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) القى لينين مرة اخرى تقريرا في جلسة موسعة للجنة المركزية مع ممثلي المنظمات العمالية . واصر بحزم على بدء الانتفاضة بلا



خطاب لينين في مصنع بوتيلوف سنة ١٩١٧ . لوحة للفنان برودسكي



لينين وكروبسكايا بين فلاحي قرية كاشينو من قضاء فولوكولامسك بحاكمية موسكو . صورة فوتوغرافية من سنة ١٩٢٠

ارجاء . وايدته اكثرية الحاضرين وعند انتهاء الجلسة انتخب مركز عسكري ثوري لقيادة الانتفاضة من آ . س . بوبنوف وف . ا . دزرجينسكي وي . م . سفردلوف وي . ف . ستالين وم . س . اوريتسكي .

كان لينين يرفض بحزم كل مبررات ارجاء الانتفاضة ويقول ان هذا تستفيد منه البرجوازية لسحق القوى الثورية . وكان يجتمع سرا بالعاملين في الحزب وبالقادة العسكريين ويتحقق من سير الاستعداد للمعارك المنتظرة . وكان يراقب اعداد الجانبين التكنيكي والعسكري لتنظيم الانتفاضة ويقدم النصائح والتعليمات . قالت كروبسكايا في مذكراتها ان لينين كان يعيش بالتفكير في الانتفاضة « ولا يفكر الا بهذا ويثير في رفاقه عدوى حالته النفسية ويقينه » . كان ملهم الانتفاضة ومنظمها بحق .

وبقيادته وقيادة اللجنة المركزية للحزب جرى في جميع مناطق البلاد الاعداد المنسق للانتفاضة . كانت تنطلق من اللجنة المركزية الرسائل والتوجيهات الى مختلف الاماكن مشيرة الى التدابير الملموسة . وصوت المجلسان العامان للبلاشفة اللذان كانا منعقدين في ذلك الوقت في بتروغراد وموسكو لمقررات لينين . واتخذ امثال هذه المقررات اكثر من ثلاثين مجلسا عاما للمناطق والحاكميات

والاقضية . كان الحزب يستعد للمعركة الفاصلة من اجل سلطة السوفييتات . وارسل الى مختلف الاماكن ممثلون للجنة المركزية لمساعدة المنظمات الحزبية في اعداد الانتفاضة المسلحة . وكان لينين ، بعزيمة حديدية ويقين راسخ ، يجمع صفوف الحزب ويعدها للمعركة . ان الحزب الذي كان دائما يعمل في قلب الجماهير ويرأس نضالها ، استطاع ان يجمع الملايين من العمال والفلاحين والجنود في جيش ثوري موحد .

واقدم كامينيف وزينوفييف اللذان هزمهما الحزب على خيانة لا مثيل لها ، اذ نشرا في جريدة « نوفايا جيزن » المنشفيكية بيانا بعدم اتفاقهما مع اللجنة المركزية على الانتفاضة المسلحة وافشيا بذلك للاعداء قرار الحزب السري . ولما تنبهت الحكومة الموقتة لذلك بواسطة الخائنين اتخذت تدابير مستعجلة للحيلولة دون الانتفاضة المسلحة .

شهر لينين بالخائنين في غضب وازدراء وطلب ادانتهما بشدة وطردهما من الحزب . كتب يقول : « اني لأعتبر من العار عليّ اذا ما اخذت اتردد في شجب هذين الرفيقين السابقين بسبب من قربي السابق منهما . واقول صراحة اني لم اعد اعتبرهما رفيقين ، وسأناضل بجميع قواي امام اللجنة المركزية وامام المؤتمر على

السواء من اجل طردهما من الحزب » . ولكن اللجنة المركزية لم تفصلهما من الحزب بل حظرت عليهما التكلم باسمه .

كان تروتسكي ، دون ان يعارض صراحة قرار اللجنة المركزية بالانتفاضة المسلحة ، يصر على ارجائها حتى انعقاد المؤتمر الثاني للسوفييتات ، الامر الذي يعني عمليا احباط الانتفاضة ايضا . وقد ناضل لينين بحزم ضد هذا الموقف . كتب يقول : « ... « انتظار » مؤتمر السوفييتات هو الحمق بعينه او الخيانة بعينها » .

طالب لينين في حزم ببدء الانتفاضة المسلحة قبل افتتاح المؤتمر الثاني للسوفييتات الذي عين الخامس والعشرون من اكتوبر (تشرين الاول) موعدا له ، وبالتالي سبق القوى المعادية للثورة التي كانت تهيئ في ذلك اليوم ضربة قاضية للثورة . يقول بودفويسكي في مذكراته : «كان فلاديمير ايليتش يستعجل جدا بدء الانتفاضة ويطالب باصرار باتخاذ اقوى واحزم التدابير والاستيلاء بسرعة على كل المواقع الرئيسية في المدينة » . وبدأت الانتفاضة ، باقتراح لينين ، في ٢٤ اكتوبر . ففي الصباح الباكر ، عندما كانت الحكومة الموقتة تحاول اغلاق جريدة الحزب المركزية « رابوتشي بوت » (« طريق العمال ») ، استلم الحرس الاحمر والجنود ،

بامر من المركز العسكري الثوري ، الدفاع عن مقر هيئة تحرير الجريدة ونظموا حراسة معهد سمولني حيث كان مقر قيادة الانتفاضة .

وعندما عرف لينين ان الحكومة تعتزم رفع الجسور على نهر نيفا وفصل قوى العمال الثورية بعضها عن بعض بذلك وضربها ، قرر الذهاب الى سمولني . وفي ساعة متأخرة من ليل ٢٤ اكتوبر جاء لينين الى سمولني معرضا حياته للخطر مارا بشوارع بتروغراد الخالية من الناس التي كانت تتحرك فيها دوريات من القوزاق (١) واليونكر ، وترأس مباشرة قيادة الانتفاضة . كتبت كروبسكايا : « كان سمولني مضاء بانوار ساطعة وكل شيء فيه يغلي ويفور . ومن جميع الجهات كان يأتي رجال الحرس الاحمر وممثلو المصانع والجنود لتلقي التعليمات » . وارسلت الى المؤسسات ولجان المناطق والقطعات العسكرية اوامر بالهجوم . وبدأت كتائب الحرس الاحمر تحتل النقاط المرسومة . وكانت مداخل المدينة يحرسها بحارة اسطول البلطيق والقطعات الثورية ، والمصانع يحرسها رجال الحرس الاحمر .

---

(١) القوزاق فئة عسكرية ذات امتيازات في روسيا القيصرية كان الحكم المطلق يستخدمها لمكافحة الحركة الثورية .

كانت الانتفاضة تحقق بدقة وبكل اصول الفن الحربي وبالاتفاق التام مع تعليمات لينين . وكانت تمتاز بحسن التنظيم ودقة الانضباط وانسجام اعمال الكتائب القتالية . وكانت الافادات عن سير الانتفاضة تتوارد الى لينين طول الليل ومن سمولني تنطلق اوامر لينين الى جميع الاماكن .

ولم يأت صباح ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر – تشرين الثاني) حتى كانت محطة التلفون ومبنى البرق والمحطة اللاسلكية وجسور نهر نيفا ومحطات السكة الحديدية واهم الدوائر في العاصمة محتلة من العمال والجنود والبحارة الثوريين .

تجلت بسطوع في قيادة الانتفاضة عبقرية لينين كقائد للجماهير وزعيم حكيم جريء يستشف بوضوح كيف ستتطور الثورة . قال احد المشتركين في الانتفاضة : « في تلك الايام من الانقلاب العظيم كان لينين نشيطا مرحا يشع في داخله نور خاص ، وكان ثابت القدم واثقا حازما » . وكان كل من قيادة لينين والحزب البلشفي ومن نضال العمال ورجال الحرس الاحمر والجنود والبحارة المتفاني وبطولتهم ان ضمن النجاح للحدث الاعظم في التاريخ العالمي ألا وهو اسقاط حكم الاقطاعيين والرأسماليين .

وفى الساعة العاشرة صباحا اصدرت اللجنة العسكرية

الثورية لدى سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود نداء كتبه لينين « الى مواطني روسيا! » ينبئ بان الحكومة الموقتة اسقطت وان السلطة انتقلت الى السوفييتات وان القضية التي ناضل الشعب من اجلها قد تأمنت . وفي الساعة الحادية عشرة صباحا افتتحت الجلسة التاريخية لسوفييت بتروغراد التي استقبل المشتركون فيها بحماسة عاصفة ظهور لينين في القاعة حيث القى خطابا لاهبا عن انتصار الثورة الاشتراكية وعن مهمات السلطة السوفييتية واعرب عن يقينه بان الاشتراكية في روسيا ستنتصر . وقال : « منذ الآن يبدأ عهد جديد في تاريخ روسيا وعلى هذه الثورة الروسية الثالثة ان تؤدي في آخر المطاف الى انتصار الاشتراكية ».

وفي ليلة ٢٥ الى ٢٦ اكتوبر اصدر لينين تعليماته بالاستيلاء فورا على القصر الشتوي الذي كان مقرا لوزراء الحكومة الموقتة . وكانت الطلقة التاريخية من مدفع الطراد « افرورا » اشارة ببدء الهجوم على القصر. واستولت القطعات الثورية على القصر الشتوي عنوة وسقط آخر معقل للحكومة البرجوازية .

وهكذا قاد حزب البلاشفة برئاسة لينين شعب روسيا الى الانتصار العظيم . ان انتصار ثورة اكتوبر هو انتصار اللينينية، هو نتيجة العمل الدائب الجاهد والنضال البطولي

والمتوتر الذي خاضه البلاشفة اللينينيون سنين وسنين .

وبينت ثورة اكتوبر الاشتراكية بجلاء لشعوب العالم بأسره اية قوة عظيمة هي الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين عندما يترأسهم حزب ماركسي ثوري .

كانت هذه الثورة شعبية حقا ، قضت الى الابد على الانظمة البرجوازية في بلادنا واقامت لاول مرة في تاريخ البشرية ديكتاتورية البروليتاريا وانشأت دولة العمال والفلاحين . ان ثورة اكتوبر لم تكن مجرد استبدال سلطة سياسية باخرى . وانما كانت تعني انقلابا عميقا جدا ، اجتماعيا واقتصاديا ، في حياة الجماهير الشعبية في روسيا وكانت فاتحة تنظيم البلاد تنظيما جديدا ثوريا — اي بناء المجتمع الجديد الاشتراكي .

وبانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى بدأت صفحة جديدة في تاريخ البشرية هي حقبة تداعي الامبريالية وانتصار الاشتراكية والشيوعية .

مؤسس الدولة الاشتراكية الاولى في العالم

في ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر — تشرين الثاني) مساء ، افتتح في سمولني المؤتمر الثاني للسوفييتات . وحضره من جميع انحاء البلاد ٦٥٠ مندوبا منهم زهاء ٤٠٠ بلشفي .

واعلن المؤتمر على رؤوس الاشهاد انتقال كل السلطة الى السوفييتات . وكان ذلك حدثا تاريخيا عظيما .

استقبل المندوبون خطاب لينين في المؤتمر في ٢٦ اكتوبر بحماسة شديدة . يقول مندوب المؤتمر آ . آ . اندرييف : « عندما ظهر لينين على المنبر نهضت القاعة كلها وتقدمت نحو المنبر الذي وقف عليه لينين . وبقي مدة طويلة لا يستطيع ان يبدأ خطابه بسبب التصفيق والهتافات المتواصلة : « عاش لينين ! » » . ولم يكن في القاعة مندوبو المؤتمر فقط بل كانت مكتظة بالعمال والجنود والبحارة الموجودين في سمولني . وكان الناس واقفين على اكتاف النوافذ والاماكن البارزة من الاعمدة وعلى المقاعد لكي يروا لينين وهو على المنبر . وتطايرت في الهواء القبعات وطاقيات البحارة واشرعت البنادق الى فوق . وهكذا استمع المؤتمر ، وهو واقف ، الى تقرير لينين عن السلام ، الذي اقترح فيه زعيم الثورة البروليتارية اتخاذ نداء الى شعوب وحكومات جميع البلدان المتحاربة بعقد الهدنة فورا في الجبهات .

وباقتراح من لينين اقر المؤتمر مرسوم السلام ، المرسوم المتعلق بالح واعجل مسألة كانت تشغل بال الملايين من العمال والفلاحين . وكان ذلك اول صك

لسياسة الحكم السوفييتي الخارجية السلمية ، التي هي على طرفي نقيض مع سياسة الاغتصاب التي تنهجها البرجوازية الامبريالية . ومنذ اليوم الاول وضعت السياسة الخارجية للدولة الجديدة الاشتراكية في خدمة قضية السلام والصداقة بين الشعوب . واعلن المرسوم ان الحرب هي اكبر جريمة بحق البشرية .

وكانت لمرسوم السلام اهمية تاريخية بالغة

ثم القى لينين تقريرا عن الارض وتلا مسودة مرسوم بها . وقد حفظت لنا الايام ذكريات ف . د . بونتش-برويفيتش القيمة الذي كتب لينين هذا المرسوم في منزله . كان لينين قد قضى يومين دون ان يغمض له جفن اذ كان يقود الانتفاضة. ولكن القصر الشتوي استولي عليه ووزراء الحكومة الموقتة اعتقلوا والمؤتمر الثاني للسوفييتات افتتح . فغادر لينين سمولني وتوجه الى منزل بونتش-برويفيتش لكي يغفي قليلا ويستريح . ولكنه لم يستطع النوم : فعليه غدا ان يخطب في المؤتمر . وفي الليل ، اقترب لينين على رؤوس اصابعه بهدوء لكي لا يوقظ احدا ، من المكتب وراح يكتب مرسوم الارض . وانطلقت الريشة سيالة على الورق لان كل شيء قد فكر فيه مسبقا . وطلع الفجر على مدينة بتروغراد عندما انهى لينين اعداد المرسوم التاريخي .

الغى مرسوم الارض الى الابد وبلا عوض الملكية الاقطاعية للارض واعطى الارض للشعب . وانتقل الى ايدي الفلاحين ما يزيد مجموعه على ١٥٠ مليون هكتار . وتحقق ما كانوا يحلمون به ويناضلون من اجله مئات السنين . وبموجب مرسوم لينين الغيت الملكية الخاصة للارض واحلت محلها ملكية الشعب بأسره ، ملكية الدولة ، الامر الذي يسر فيما بعد اعادة تنظيم الزراعة على اسس اشتراكية . واقر مرسوم الارض وسط التصفيق العاصف من مندوبي المؤتمر . واعرب فلاح من حاكمية تفير في خطابه عن شكره للينين لكونه اصلب مدافع عن الفلاحين الفقراء .

وانتخب المؤتمر الثاني للسوفييتات اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا لسوفييتات نواب العمال والجنود وشكل حكومة باسم مجلس مفوضي الشعب . وانتخب لينين رئيسا لمجلس مفوضي الشعب . واوكل الشعب امور قيادة البلاد لحزب البلاشفة الذي كان دائما يناضل بدأب وتفان من اجل مصلحة الشعب . وانشأ منتخبو الشعب — مندوبو مؤتمر السوفييتات — اول دولة في العالم للعمال والفلاحين وعلى رأسها لينين .

مثل لينين امام العالم كله ، في فترة اعداد وتحقيق

الثورة ، كنظري عظيم في الماركسية وزعيم حكيم للحزب الشيوعي واستاذ ماهر في قضية الثورة .

وعندما وصل حزب البلاشفة الى قيادة الدولة ، نفذ التزاماته التي قطعها على نفسه امام الشعب ، فاعلن السلام واعطاه الحرية والارض . ولكن سلطة الطبقة العاملة كان يجب الحفاظ عليها وتثبيتها . فكانت جميع خواطر لينين وجميع اعماله وارادته وقواه ، منذ اول يوم لانتصار ثورة اكتوبر ، موجهة نحو حفظ ما تم اكتسابه وتكثيره .

وباشر العمال والفلاحون ببناء الحياة الجديدة في وضع معقد وصعب جدا . فالثورة الاشتراكية انتصرت في بلد واحد ، وهذا البلد متأخر نسبيا من الناحية الاقتصادية ، ويشكل فيه الفلاحون الصغار اكثرية السكان . وكانت الحرب لا تزال مستمرة ، تخرب البلاد وتولد الدمار الرهيب في الاقتصاد الوطني . وكان اعداء السلطة السوفييتية الكثيرون يدبرون ضدها المؤامرات والفتن واعمال التخريب والاستفزاز وينشرون الاكاذيب والافتراءات . ومما زاد في تعقيد الامور ان كامينيف وزينوفييف وريكوف وانصارهم وقفوا ايضا ضد خطة الحزب وايدوا مطلب المنشفيك والاشتراكيين الثوريين بانشاء حكومة من مختلف الاحزاب . ووصف لينين اعمالهم بانها مخالفة

صارخة للانضباط الحزبي . وعندئذ اعلنوا انسحابهم من اللجنة المركزية واعلن ريكوف وزينوفييف ونوغين انسحابهم من الحكومة التي كانوا اعضاء فيها . وفي رسالة اللجنة المركزية « الى جميع اعضاء الحزب والى جميع الطبقات في روسيا » شهّر لينين بفرارهم من المعركة وسماهم بكاسري اضراب الثورة . واستبدل المتخاذلون فورا باناس مخلصين لقضيه الطبقة العاملة .

فكان يجب تحطيم مقاومة الاعداء وتنظيم تموين المدن بالمواد الغذائية وضبط عمل المصانع وبناء الدولة الجديدة ، السوفييتية .

وطرح لينين مهمة اشراك جماهير العمال والفلاحين بنشاط في البناء الاشتراكي . وقال انه يجب القضاء على اكاذيب البرجوازية القائلة بانه لا يستطيع ادارة شؤون الدولة غير الاغنياء او الموظفين من الطبقات الغنية .

جاء مرة الى لينين عمال ارسلوا للعمل في احدى مفوضيات الشعب (الوزارات) ، وبدعوى ان الامور تسير سيرا سيئا عندهم رجوه ان يأذن لهم بالعودة الى المصنع . فاستمع لينين اليهم بانتباه وقال :

ـ انا ايضا لم ادر شؤون الدولة من قبل قط ، ولكن الحزب والشعب عهدا الي بهذا العمل وعلي ان ابرر ثقتهما بي . وانصحكم بان تفعلوا مثلي .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ كتب لينين « نداء الى السكان » يدعوهم فيه الى الالتفاف حول السوفييتات وتولي امر ادارة الدولة بجرأة. وكان في المؤتمرات الشعبية والاجتماعات يدعو الجماهير دائما الى بناء حياة جديدة ويقول : « ان الاشتراكية لا تشاد باوامر من فوق » . وكان يعتبر ابداع الجماهير الحي اهم ما في بناء الاشتراكية والشيء الرئيسي فيه .

اتخذت الحكومة السوفييتية سمولني مقرا لها . وفيه كان العمل قائما على قدم وساق في النهار وفي الليل . فمنه ترسل الاوامر والتوجيهات واليه يتدفق الناس من جميع انحاء البلاد . وكان لينين في وسط كل هذا العمل الهائل ، اليه يأتي العمال والجنود والبحارة والفلاحون ، ومن ابعد القرى ، وبالاموال الزهيدة التي تجمعها «الميرات» (١)، يأتي طلاب الحاجة الى العاصمة لرؤية لينين والتحدث مع رئيس حكومتهم . فكان لينين يستقبل الجميع ويصغي اليهم بانتباه ويحل قضاياهم بسرعة ويعلم العمال والفلاحين ويتعلم هو نفسه منهم . وكان يقود جميع نواحي حياة الجمهورية السوفييتية الناشئة ولا تفوته صغيرة او كبيرة ويدرس جميع المسائل الاساسية لسياسة الحزب والدولة .

---

(١) « المير » هم اعضاء المشاعية الريفية .

واجريت في البلاد في فترة وجيزة تحويلات سياسية واقتصادية جذرية . فقد اقرت الحكومة السوفييتية منذ الايام الاولى مشروع قرار لينين بفرض رقابة العمال على الانتاج والتوزيع . وحصل ممثلو العمال والمستخدمين المنتخبون انتخابا على الحق في مراقبة جميع شؤون المؤسسة والحيلولة دون حدوث توقف في عملها . وخطت الطبقة العاملة اول خطوة نحو استلام ادارة الانتاج .

واتخذت مراسيم بتسريح الجيش القديم والغاء تقسيم السكان الى فئات اجتماعية والغيت امتيازات الطبقات الثرية . واصبحت نقليات الخطوط الحديدية والاسطول التجاري والمصارف ملكا عاما للشعب وجعلت كل التجارة الخارجية في يد الدولة . وبعد قليل صودرت المصانع من الرأسماليين الكبار واصبحت هي الاخرى ملكا للشعب . وكانت تدابير الحكم السوفييتي هذه دليلا واضحا على الجوهر الدمقراطي الثوري العميق للنظام الجديد ، الاشتراكي .

كانت جميع هيئات الدولة السوفييتية ومفوضيات الشعب تنشأ بقيادة لينين المباشرة . وانشئ باقتراح منه : المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ــ اول هيئة بروليتارية لتخطيط الاقتصاد الوطني وادارته ــ ومفوضية الشعب لشؤون القوميات واللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة

اعداء الثورة والتخريب . وانشأ لينين « اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمر » الذي كان اساسا لاول دستور سوفييتي ، واعلنت فيه المساواة التامة في الحقوق بين جميع شعوب روسيا ، وكفل لجميع الامم الحق في تقرير مصيرها بنفسها بما في ذلك الانفصال وتكوين دول مستقلة . ووضع البيان اساسا متينا للصداقة الراسخة بين شعوب بلاد السوفييتات .

كل هذه التدابير التي اتخذها الحزب والسلطة السوفييتية اثرت تأثيرا عظيما على الكادحين واصبحت السلطة السوفييتية تكسب المزيد والمزيد من تأييد اوسع الجماهير الشعبية .

ولكن اوضاع البلاد كانت صعبة جدا . وكان يجب قبل كل شيء انهاء الحرب . فالجنود المعذبون كانوا يهفون للعودة الى ديارهم ، وكانت الحكومات البرجوازية في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، بالرغم من نداءات الحكومة السوفييتية المتكررة ، ترفض مباحثات الصلح مع المانيا . وكان لينين يرى ان على الحكومة السوفييتية في هذه الاحوال ان تعقد الصلح مع المانيا بمعزل عن حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، اذ لا مخرج غير هذا المخرج . ووافق الامبرياليون الالمان على

مباحثات الصلح ولكنهم تقدموا بشروط مجحفة اذ طلبوا ضم جزء هام من الاراضي السوفييتية لهم .

ونهض امام الحزب والحكومة هذا السؤال : ما العمل ؟ هل نوافق على شروط الصلح الفادحة ام نواصل الحرب ؟ واقترح لينين توقيع الصلح . كان البلد معذبا منهوكا ، فكان من شأن مواصلة الحرب ان تؤدي الى هلاك السلطة السوفييتية . وقال لينين مفسرا ان من الضروري القبول بالتضحيات في سبيل انقاذ الجمهورية السوفييتية ، وانهاء الحرب حتما والحصول ولو على فترة سلمية قصيرة لاستعادة الانفاس من اجل تدعيم السلطة السوفييتية وحفظ مكتسبات الثورة البروليتارية . وقال لينين انه يجب تمكين العمال والفلاحين من الاستراحة من اهوال الحرب الامبريالية والبدء بتعمير الاقتصاد الوطني وانشاء جيش جديد من العمال والفلاحين قادر على حماية مكتسبات الثورة .

عارضت في عقد الصلح مع المانيا فلول البرجوازية التي اسقطت والاشتراكيون الثوريون والمنشفيك وتروتسكي ومن يسمون انفسهم بـ « الشيوعيين اليساريين » اي بوخارين وبوبنوف ولوموف واوسينسكي وغيرهم . وطالب « الشيوعيون اليساريون » بوقف مباحثات الصلح ودعوا الى « الحرب الثورية » ضد المانيا مع ان القوى اللازمة لذلك غير

متوفرة . وهكذا وقفت ضد خط لينين البرجوازية واحزاب البرجوازية الصغيرة وجزء من البلاشفة المتقلقلين .

كان الوضع في الحزب صعبا جدا . وكان لينين يتألم كثيرا لكل هذا . وهاجم في الصحف « الشيوعيين اليساريين » وتروتسكي وسخر وشهّر بخطر « الثرثرة الثورية » . وسمى اقوال « الشيوعيين اليساريين » مغامرة ، ومسلكهم « غريبا وبشعا » عندما وصل بهم الامر الى حد القول ان بالوسع التضحية بالسلطة السوفييتية لمصلحة الثورة العالمية . وقال ان حفظ جمهورية السوفييتات وتدعيمها هما افضل تأييد لحركة الكادحين التحررية العالمية .

بحثت مسألة الصلح اكثر من مرة في جلسات اللجنة المركزية للحزب . وكان النقاش حولها حادا جدا . ولم تؤيد اكثرية اعضاء اللجنة المركزية لينين في باديء الامر . اما تروتسكي الذي عين رئيسا للوفد السوفييتي الى المباحثات مع ممثلي المانيا فقد خالف تعليمات لينين ولجنة الحزب المركزية والحكومة السوفييتية ولم يوقع على شروط المانيا واحبط المباحثات . واستفاد الامبرياليون الالمان من مسلك تروتسكي و« الشيوعيين اليساريين » وانتقل جيشهم الى الهجوم في فبراير (شباط) ١٩١٨ وحاولوا خنق السلطة السوفييتية واستعمار روسيا .

وخيم خطر رهيب على البلاد السوفييتية . ونظم لينين والحزب على وجه السرعة الدفاع . وباسم مجلس مفوضي الشعب وجه لينين في ٢١ فبراير (شباط) الى الشعب نداء لاهبا يقول: « الوطن الاشتراكي في خطر! » .

وجاء في هذا النداء : « ان الواجب المقدس على عمال روسيا وفلاحيها هو الدفاع بنكران ذات عن جمهورية السوفييتات وحمايتها من جحافل المانيا البرجوازية الامبريالية » . واقترح لينين بذل كل القوى والموارد لقضية الدفاع . واثار نداء الزعيم نهوضا ثوريا قويا بين جماهير الكادحين . وجرت في بتروغراد وموسكو وييكاتيرينبورغ وغيرها من المدن والقرى مؤتمرات شعبية واسعة للعمال والفلاحين والجنود . وتلبية لنداء لينين والحزب البلشفي والحكومة السوفييتية تطوع عشرات الالوف من العمال والفلاحين للدفاع عن الوطن الاشتراكي . واصبحت تنشأ في كل مكان كتائب جيش جديد للشعب الثوري ، قاومت العدو المهاجم مقاومة بطولية ، وردته على اعقابه كما حدث عند نارفا وبسكوف .

وتخليدا لذكرى تلك الاحداث يحتفل الشعب السوفييتي بالثالث والعشرين من فبراير (شباط) كعيد لقواته المسلحة .

اصبحت مسألة عقد الصلح من الحدة والاهمية بحيث ان اللجنة المركزية قررت عقد مؤتمر للحزب . وبدأ الاستعداد النشيط له . وصدرت في « البرافدا » كل يوم تقريبا مقالات للينين يبرهن فيها على ضرورة عقد الصلح .

وكان لينين يعنون مقالاته بعناوين هي من الدقة بحيث ترى حالا ضد من كتبت : « بصدد الجملة الثورية » ، « عن الجرب » ، « الصلح ام الحرب » ، « صلح تعيس » ، « درس قاس ولكنه ضروري » ، الخ . . وكانت هذه المقالات تنقل فورا من « البرافدا » الى الجرائد المحلية للحزب والسوفييتات ، وتصبح معروفة لكل الحزب والشعب .

وفي ٦ مارس (آذار) ١٩١٨ افتتح في بتروغراد المؤتمر السابع للحزب . وكان ذلك اول مؤتمر للحزب بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى . ووجه لينين كل عمله وخطب ١٨ مرة . وبرهن في تقرير اللجنة المركزية السياسي برهانا لا يدحض على ضرورة عقد صلح بريست .

وافق المؤتمر السابع للحزب ، باكثرية الاصوات ، على خط لينين . واتخذ قرار « عن الحرب والسلم » جاء فيه ان عقد الصلح بين روسيا السوفييتية والمانيا ضروري . ودعا المؤتمر الحزب والكادحين الى زيادة اليقظة

والانضباط الثوري والى انشاء منظمات قادرة على استنهاض الملايين من الناس للدفاع عن الوطن الاشتراكي لان هجمات الامبرياليين الجديدة لا مفر منها . واعرب المؤتمر عن ايمانه الشديد بانتصار الثورة العمالية في جميع البلدان واكد ان بروليتاريا روسيا ستؤيد الحركة الثورية الشقيقة في كل العالم .

وعلى اساس تقرير لينين اتخذ المؤتمر قرارا كان قد كتب لينين نصه بصدد تغيير اسم الحزب الذي اصبح يسمى منذ ذلك المؤتمر بالحزب الشيوعي الروسي (البلشفي). وقال لينين ان تسمية الشيوعي «تعبر بسطوع عن كوننا نسير نحو الشيوعية التامة » .

واتخذ المؤتمر ايضا قرارا باعداد برنامج جديد للحزب فالبرنامج الاول الذي اتخذ سنة ١٩٠٣ في المؤتمر الثاني تحقق كاملا باسقاط سلطة القيصر والاقطاعيين والرأسماليين . وكان لا بد من برنامج جديد تعين فيه مهمات بناء الاشتراكية. وكلف المؤتمر لجنة خاصة برئاسة لينين بصياغة برنامج الحزب .

وبفضل الخروج من الحرب استطاعت الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون في بلاد السوفييتات كسب فرصة لاستعادة الانفاس في جو من السلام وهو ما كان ضروريا لتدعيم السلطة السوفييتية وتطوير الثورة الاشتراكية . وكان للينين

في هذا ، الفضل الاعظم ، فقد ضمنت حكمته ومبدئيته وارادته الحديدية تطبيق السياسة الصحيحة الوحيدة . وما عقد معاهدة صلح بريست الا نموذج ساطع لمرونة تكتيك لينين ومهارته في الانسحاب عندما يكون هذا ضروريا لكسب الوقت وتجميع القوى من اجل الانتصار في المعارك القادمة .

وفي ١١ مارس (آذار) ١٩١٨ انتقلت الحكومة الى موسكو التي اصبحت عاصمة للدولة السوفييتية واتخذ مجلس مفوضي الشعب واللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا من الكرملين مقرا لهما ، كما اقام لينين فيه ايضا .

كان ينبغي ان تبرم مقررات الهيئة العليا في البلد ، اي مؤتمر السوفييتات ، عقد الصلح .

وعقد في موسكو ، في ١٤ مارس (آذار) مؤتمر استثنائي رابع لسوفييتات عموم روسيا، اقر فيه القرار الذي كتبه لينين عن تصديق معاهدة الصلح ، بالرغم من مقاومة الاشتراكيين الثوريين اليساريين الضارية . فقد رفع هؤلاء راية العصيان على السلطة السوفييتية وقتلوا في موسكو السفير الالماني ميرباخ سعيا منهم الى احباط معاهدة الصلح مع المانيا مهما كلف الامر. ونشأ وضع بالغ الصعوبة بالنسبة للسلطة السوفييتية . ولكن الحزب والحكومة السوفييتية استطاعا ضرب فتنة الاشتراكيين الثوريين

اليساريين المعادية للثورة ومنعهم من احباط الصلح .
وجاء تطور الحركة التحررية العالمية بعد عقد معاهدة بريست مصداقا لحسابات لينين الصائبة ولتنبؤه العلمي . ففي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ نشبت في المانيا ثورة وفقدت هذه المعاهدة المجحفة قوتها .

وسارع لينين وحزب البلاشفة والحكومة الى الاستفادة من فترة استعادة الانفاس السلمية في تدعيم السلطة السوفييتية والشروع ببناء الاشتراكية . وكان ذلك عملا صعبا .

فالشعب الذي اطاح بسلطة الاقطاعيين والرأسماليين وجد نفسه امام مهمة لم يسبق لاي بلد في العالم ان اقدم عليها . كان يجب بناء جهاز جديد للدولة وتنظيم شؤون الاقتصاد وتعلم ادارة الدولة . واصبح العمال والفلاحون اصحاب المصانع والارض ولكن لم يكن الجميع يعون ان الملكية الاجتماعية العامة يجب حفظها وتكثيرها .

فكيف يمكن اعادة تربية الجماهير بروح الاشتراكية ؟ كيف يمكن تعليمهم العمل بطريقة جديدة ؟ لقد كانت هذه المسائل تشغل فكر لينين كليا . وقد القى في ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩١٨ ، في جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا تقريرا عن المهمات العاجلة للسلطة السوفييتية ، وكشف في هذا التقرير وفي

كتيب صدر في هذا الموضوع عن اسباب انتصار ثورة اكتوبر وطرح مهمة التحويل الاشتراكي لاقتصاد روسيا وبين الصعوبات القائمة في طريق المجتمع الجديد واهاب بالعمال ان يتعلموا تنظيم الانتاج . قال : ان انشاء اقتصاد جديد اشتراكي هو المهمة الاساسية و«هذه هي المهمة الصعبة ، لان المقصود تنظيم اعمق الاسس التي ترتكز عليها حياة عشرات وعشرات الملايين من الناس ، الاسس الاقتصادية ، وتنظيمها بطريقة جديدة . وهذه هي ايضا المهمة الخيّرة ولا اكثر لانه بعد تحقيقها فقط (بخطوطها الكبرى الاساسية) ، يمكن القول ان روسيا غدت جمهورية ، لا سوفييتية وحسب ، بل اشتراكية ايضا » .

وقال لينين ان المواهب التنظيمية في الشعب بين العمال والفلاحين كثيرة . فقد كان الرأسمال يسحقها بالالوف ويرمي بها . فيجب العثور على هذه المواهب وانهاضها على قدميها وتمكينها من الانطلاق .

وكان لينين يتحدث بازدراء عن خدم البرجوازية من المنشفيك الذين لا يؤمنون بما للجماهير من قدرات ابداعية ويفترون على السلطة السوفييتية . كتب مستشهدا بحكاية للشاعر كريلوف : « فلتهر كلاب المجتمع البرجوازي. . . وتعوي كلما تطايرت شظية عند قطع الغابة الكبيرة

القديمة . فقد خلقوا كلابا ليعووا على الفيل البروليتاري .
ليعووا ، اما نحن فسائرون في دربنا » .

وقال لينين ان من الضروري تنظيم حساب ومراقبة الانتاج والتوزيع . ورفع شعارا دقيقا وواضحا : « اجر حساباتك للمال بدقة واستقامة وتصرف في اقتصاد ، ولا تتكاسل ولا تسرق ، وتقيد باشد الانضباط في العمل » . واهاب بالعمال ان يرفعوا انتاجية العمل وان يطوروا الصناعة الكبيرة وانتاج الوقود والحديد والماكنات وان يرفعوا ايضا مستوى التعليم والثقافة للجماهير والانضباط والمهارة في العمل . وقال ان رفع انتاجية العمل امر ليس بالبسيط بل هو طويل الامد ومعقد . وكانت لتعليمات لينين اهمية كبيرة في بناء الاشتراكية ، ولا تزال هامة حتى الآن اذ يبني الشعب السوفييتي الشيوعية .

وكان لينين يعير اهمية خاصة لتنظيم وتطوير التباري الاشتراكي الجماهيري . قال ان الاشتراكية تتيح لاول مرة امكان استخدام التباري على نطاق واسع وجماهيري ، وان الاشتراكية تصنعها الجماهير الشعبية نفسها وانها تكشف في الشعب عن ينبوع المواهب الفياض وتستنهض الملايين والملايين من الكادحين الى الابداع التاريخي .

كان نضال الحزب الشيوعي لتحقيق خطة لينين للبناء الاشتراكي يجري في ظروف بالغة الصعوبة ففي صيف سنة ١٩١٨ كانت الحالة صعبة جدا في المواد الغذائية. فالكولاك (١) والمحتكرون كانوا يخبئون الحبوب ويريدون خنق الثورة بالمجاعة . فهتف لينين : « ان النضال من اجل الخبز هو نضال من اجل الاشتراكية » .

واعلن الحزب مسيرة العمال الى القرية . كتب لينين : « ايها الرفاق العمال ! تذكروا ان وضع الثورة حرج . تذكروا ان احدا غيركم لا يستطيع انقاذ الثورة . ليس لهذا احد غيركم » .

فراح عشرات الالوف من العمال الطليعيين ، وفي مقدمتهم عمال بتروغراد ، يشكلون كتائب التموين ويذهبون الى القرية تلبية لنداء لينين والحزب . وفي يونيو (حزيران) ١٩١٨ وقع لينين مرسوما بانشاء لجان الفقراء التي اصبحت عمادا للدولة السوفييتية في مكافحة طبقة الكولاك وفي تموين المدن والجيش بالخبز . وقوّى هذا كله السوفييتات في القرية وساعد في كسب عطف الفلاحين المتوسطين على السلطة السوفييتية .

---

(١) الكولاك هو الفلاح الثري الذي يستغل الفقراء من ابناء قريته .

وفي يوليو (تموز) ١٩١٨ اتخذ المؤتمر الخامس للسوفييتات اول دستور لجمهورية روسيا ثبّتت فيه تشريعيا منجزات الثورة الاشتراكية . وقال لينين : « لم يسبق للعالم ان رأى دساتير كدستورنا . فيه سجات تجربة نضال وتنظيم الجماهير البروليتارية ضد المستغلين في داخل البلاد وفي العالم كله » .

على راس الدفاع عن بلاد السوفييتات

لم تدم طويلا فترة استعادة الانفاس السلمية . فالامبرياليون الاجانب والبرجوازية والاقطاعيون الذين اطيح بهم لم يشاءوا التسليم بانتصار العمال والفلاحين في روسيا. وكانوا يدركون انه قد نشأت بؤرة ثورية يمكن للهيبها ان يمتد الى البلدان الاخرى . ولم يشأ رأسماليو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ان يفقدوا مليارات الروبلات التي اقرضوها للقيصر الروسي والاقطاعيين والبرجوازية . ولم يشاءوا التخلي عن الارباح الطائلة التي كانوا ينالونها من استغلال ثروات روسيا .

وفي ربيع سنة ١٩١٨ استولت القوات الاميركية والبريطانية والفرنسية على مدينة مورمانسك ونزل الجنود اليابانيون والبريطانيون ومن بعدهم الاميركيون ايضا في

مدينة فلاديفوستوك . وهكذا بدأ الامبرياليون الحرب على بلاد السوفييتات ساعين بالقوة المسلحة الى خنق الدولة الاشتراكية التي لم يمض على نشوئها الا القليل من الزمن . وبمساعدة المتدخلين الاجانب اثار الحرس الابيض وغيرهم من اعداء الثورة في روسيا حربا اهلية .

وقف الحزب الشيوعي والشعب السوفييتي يدافعان بصدريهما عن الجمهورية . وفى هذا الدفاع بالذات رأى لينين اعلى واجب اممي للبلد السوفييتي امام الحركة الثورية العالمية .

حدث ولا حرج عن المشقة التي لقيها لينين في سنوات التدخل العسكري الاجنبي والحرب الاهلية . فبقيادته المباشرة كانت توضع خطط العمليات الحربية وكان الجيش الاحمر يشتد ساعده في المعارك. وكان لينين يعنى بملء صفوفه ورفع قدرته القتالية وتموينه بالمواد الغذائية والاسلحة والملابس .

وكان الجيش البروليتاري يحتاج الى الآمرين ، ولهذا انشئت باقتراح من لينين دورات تدريبية ووضع نظام كامل لاعداد الآمرين اصبح عمودهم الفقري العمال والفلاحون الثوريون . وانشأ الحزب الشيوعي ولينين العظيم وربى قادة عسكريين بارزين وموهوبين للجيش الاحمر نذكر منهم م . ف . فرونزه وف . ك . بلوخر

وم . ن . توخاتشيفسكي وس . م . بوديوني وك . ا .
فوروشيلوف وغ . ا . كوتوفسكي وآ . ي . بارخومنكو
وف . ا . تشابايف ون . آ . شورس وكثيرين غيرهم من
ابطال الحرب الاهلية .

وكان لينين في الوقت نفسه يعمل لاشراك الاختصاصيين العسكريين القدامى على نطاق واسع في العمل في الجيش الاحمر ، معتبرا ان خبرتهم الحربية الكبيرة يجب استخدامها في العمل العسكري . فكان الآمرون الشبان يتدربون على ايدي الاختصاصيين القدامى وكان للمفوضين العسكريين الذين كان الحزب بواسطتهم يقوم بالعمل السياسي في صفوف الجيش دور كبير في تربية الجنود .

وكان لينين يتمعن في جميع المسائل المتعلقة بتنظيم الدفاع عن البلاد ويرسل من مكتبه في الكرملين الى جميع انحاء البلاد الاوامر والتعليمات ، وكان كثيرا ما يوقظ هذا الموظف او ذاك بالتلفون في ساعات متأخرة من الليل ويسأل هل ارسلت هذه الكتيبة او تلك الى الجبهة وهل مونت بالمواد الغذائية والاسلحة وكل ما هو ضروري . وكان يتابع سير العمليات الحربية ويتخذ جميع التدابير لتأمين النصر غير ملتفت للنوم والراحة ، ويستدعي الآمرين ويسألهم عن سير الامور في الجبهات وعما يحتاج اليه الجيش ، ويدعو الشعب الى تقديم

كل العون له . كتب يقول ان صعوباتنا وآلامنا ليست شيئا يذكر بالقياس الى ما قسم لجندي الجيش الاحمر الذي يريق دمه في سبيل حماية سلطة العمال والفلاحين .

وبالرغم من تفوق قوى الامبرياليين ومن الصعوبات الباهظة — كالنقص البالغ في المواد الغذائية وعدم كفاية الملابس والاسلحة والذخائر الحربية — كان لينين يؤمن ايمانا لا يتزعزع بانتصار النظام الجديد وكان يبعث هذا الايمان في الجماهير الواسعة من الكادحين . وكان في كل يوم تقريبا ، واحيانا عدة مرات في اليوم ، يخطب في المؤتمرات الشعبية امام العمال وجنود الجيش الاحمر وفي المعامل و المصانع .

كان كل شيوعي وكل البلد يشعر بيد لينين الحديدية وارادته الصامدة وفكره الثوري الصافي ، وكانت خطبه اللاهبة وايمانه الراسخ بانتصار القضية العادلة تثير في العمال والفلاحين الامل والعزيمة وتجمع صفوفهم وتوحي لهم بالثقة في النصر .

كتب آ . غ . بانيونين العامل في مصنع « دينامو » بموسكو عن قوة تأثير خطب لينين : « كنت مستعدا بعد سماع كلماته الملتهبة لالقاء نفسي فورا في لهيب المعركة . كنا نستمع الى كل كلمة من كلماته ونحن جياع حفاة عراة ولكن بحماسة ووعي» .

كان لينين يعنى ايضا برفع مستوى الشعب الروحي وايراده الى مناهل الثقافة .

خطب في يناير (كانون الثاني) ١٩١٨ في المؤتمر الثالث لسوفييتات عموم روسيا فقال ان كل نعم التكنيك والثقافة كانت من قبل ، في النظام الرأسمالي ، وقفا على الاغنياء ، وكان التعليم ، حتى في درجاته الاولى ، بعيدا عن متناول الكادحين . اما الحكم السوفييتي فقد جعل كل التكنيك والعلم والثقافة ملكا للشعب بأسره .

يقول اصدقاء لينين واقاربه كيف كان يتابع بانتباه ، الادب السوفييتي المبتدئ . كان يقرأ مؤلفات بيدني وسيرافيموفيتش وغوركي المرة تلو المرة ويستشهد بها في كتاباته وخطبه ويقترح نشرها على نطاق واسع بين ابناء الشعب .

كان لينين يحترق في العمل غير ضانّ بقواه . استراحته الوحيدة التمشي في الكرملين والذهاب ايام العطلة مع زوجته واخته ماريا الى هضاب فوروبيوفي (هضاب لينين حاليا) الواقعة عند طرف موسكو والى ضواحي المدينة الأخرى .

كان اعداء الثورة الداخليون ، بايعاز من الامبرياليين وباموالهم، يدبرون المؤامرات على الحكومة السوفييتية ويعدون العدة لاغتيال لينين ورفاقه . وفي ٣٠ اغسطس

(آب) ١٩١٨ اقدمت كابلان الاشتراكية الثورية على محاولة لاغتيال لينين واصابته بجراح بالغة بان اطلقت رصاص مسدسها مواجهة عليه . وكانت الرصاصات التي اطلقتها كابلان مسمومة ، ونقل لينين جريحا الى شقته في الكرملين وتناوب الاطباء في السهر على صحته ليل نهار وتهدده خطر الموت .

تابع الحزب والبلاد كلها ، بقلق شديد ، حالة زعيمهما الصحية وانهالت الاسئلة عن علاج لينين وحالته على موسكو في كل ساعات النهار والليل . ولشد ما فرح الشعب عندما بدأ يتعافى . لقد تلقى الوف التهاني من العمال والفلاحين وكتبت « البرافدا » في سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ : « ان لينين يصارع المرض ولسوف ينتصر عليه ! هذا ما تريده البروليتاريا وتلك هي ارادتها وهذا هو حكمها على القدر ! » .. وكتب فلاحو ناحية بنكوف من قضاء نوفوسيلسك : « ايها الرفيق لينين ! . . تحياتنا الحارة اليك . تعاف حبا بنا ونكاية بالامبرياليين » . وفي ١٢ سبتمبر (ايلول) حرر الجيش الاحمر مدينة سيمبيرسك من البيض ، وابرق جنود الجيش الاول : « عزيزنا فلاديمير ايليتش ! ان استرداد مسقط رأسك هو جوابنا على احد جرحيك ، وستكون مدينة سمارا جوابنا على الجرح الثاني ! » . فرد لينين : « ان استرداد

سيمبيرسك – مسقط رأسي – هو انجع وافضل ضماد لجراحي . اني اشعر بدفق لا مثيل له من النشاط والقوة . اهنيء جنود الجيش الاحمر بالنصر واشكرهم باسم جميع الكادحين على كل تضحياتهم » . وما كاد يتعافى من جراحه حتى عاد الى قيادة الحزب والبلاد .

وفي شتاء ١٩١٨ – ١٩١٩ اندلع لهيب القتال في الجبهات بقوة جديدة اذ ارسل امبرياليو الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان قوات حربية ضخمة ضد روسيا السوفييتية ونزلت جيوشهم في الشمال واوديسا والقرم وما وراء القفقاس وآسيا الوسطى والشرق الاقصى . وطوق اكثر من مليون جندي مدجج بالسلاح بلاد السوفييتات من جميع الجهات . وقدم الامبرياليون المساعدة لجنرالات الحرس الابيض وخصوصا كولتشاك الذي انتقل جيشه الى الهجوم في ربيع سنة ١٩١٩ .

شدد الشعب ، بقيادة الحزب ، مقاومته لاعداء ثورة اكتوبر . ورفع لينين شعار : « النجدة للجبهة الشرقية ! » وانطلق الى الجبهة ، تلبية لنداء الحزب الشيوعي ، عشرون الف شيوعي وبضعة الوف من الشباب الشيوعي واكثر من ستين الف عامل اعضاء في النقابات .

لم يكن لينين يخفي عن الكادحين الصعوبات وكان لا يقول لهم الا الحقيقة . وكان يعلم الحزب هذا

فيتوجه اعضاؤه الى المصانع والمناجم وبلدات العمال والقرى ويحدثون الناس عن وضع بلاد السوفييتات الصعب ويهيبون بالعمال والفلاحين والجنود والبحارة ان يعززوا الحكم السوفييتي ويدافعوا عنه . وكانوا ، في اخطر قطاعات القتال ، يضربون المثل بسلوكهم مما يجعل الجنود مستعدين لكل مأثرة . وكانت متانة الحزب الحديدية ، ورباطة الجأش التي حافظ عليها في تلك الايام الرهيبة القاسية ، والايمان الراسخ بالانتصار ، تزيد من متانة الوشائج التي تربطه بالشعب . قال لينين ان الحرب المظفرة تحتاج الى مؤخرة قوية منظمة . وسيباد الجيش ، ولو كان افضل جيش في العالم ، اذا لم يدعمه الشعب . ويجب ان يكون الجيش مسلحا وممونا بالمواد الغذائية والملابس ، وكل هذا تقدمه المؤخرة . فكان لينين والحزب يدعوان دائما الى تقوية المساعدة للجبهة .

وكان العمال وجميع الكادحين يردون على نداء الزعيم باجتراح البطولات في جبهة العمل . وابتداء من ربيع ١٩١٩ ، وعلى غرار عمال سكة حديد موسكو ، راح العمال في كل انحاء البلاد ينظمون بعد انتهاء يوم العمل ما يسمى بالسبوت الشيوعية (١) ويعملون بالمجان

---

(١) السبوت الشيوعية هي العمل بالمجان للمصلحة العامة بعد انتهاء يوم العمل . المترجم.

لمصلحة الدولة الحبيبة . وقال لينين عن هذه السبوت ، في مقالة « المبادرة الكبرى » ، انها حدث ذو اهمية تاريخية عالمية وبداية فعلية للموقف الشيوعي من العمل . وقال ان الشيوعية تبدأ حيث تظهر عناية العمال العاديين بزيادة انتاجية العمل وحماية كل بود (١) من الحبوب والفحم والحديد وغير ذلك من المواد التي تعود ملكا للمجتمع بمجموعه . وقد اشترك لينين نفسه في اعمال السبت التي نظمت في الكرملين في اول مايو (ايار) ١٩٢٠ .

كان لينين يدعو العمال الى زيادة انتاجية العمل بكل الوسائل . كتب يقول : « ان انتاجية العمل هي ، في آخر كل تحليل ، اهم واول ما يلزم لانتصار النظام الاجتماعي الجديد » .

كان على البلاد السوفييتية ان تحمي نفسها من غزو ١٤ دولة . وكان يجب اخضاع كل شيء للنضال من اجل الانتصار على المتدخلين واعداء الثورة الداخليين ، وفرض النظام العسكري لا في الجيش والاسطول فقط ، بل ايضا في الصناعة والنقليات وفي كل مكان . ولتموين الجيش والعمال اضطرت الحكومة السوفييتية الى اتخاذ تدابير قاسية جدا في توزيع الاحتياطيات الضئيلة من

---

(١) البود – معيار روسي يعادل ١٦,١٤ كغ . المترجم .

المواد الغذائية الموجودة في البلاد . وطبق نظام مصادرة فائض الحبوب الذي بموجبه كان على الفلاحين ان يقدموا للدولة فائض الحبوب لتموين الجيش والعمال . قال لينين ان السلطة السوفييتية ، بوجودها في قلعة مطوقة ، لا تستطيع الصمود بدون نظام المصادرة وجعل العمل فرضا على الجميع واصبحت المواد التموينية لا تقدم الا لمن يعمل . وطبقت سياسة اقتصادية تسمى بـ« شيوعية الحرب » . وكان هذا تدبيرا موقتا فرضته الحرب والخراب .

وفي معمعان النضال ضد المتدخلين الاجانب واعداء الثورة الداخليين ، اجتمع المؤتمر الثامن للحزب الذي افتتح في ١٨ مارس (آذار) ، في يوم كومونة باريس . فكان ما حلم به رجال الكومونة وما ناضلوا من اجله حققته بروليتاريا روسيا . وكان هذا يرفع من معنويات مندوبي المؤتمر ويبعث فيهم الثقة بانتصار الثورة الاشتراكية في البلدان الاخرى . والقى لينين في المؤتمر تقارير عن عمل اللجنة المركزية وعن برنامج الحزب وعن العمل في القرية . وقال ان الدولة السوفييتية تنهج بدأب واستمرار سياسة سلام ولكن الدول البرجوازية تحاربها حربا شعواء . واذن فمن الضروري تدعيم القوة الدفاعية للجمهورية .

وخصص لينين الجزء الاساسي من تقريره عن العمل

في القرية ، لمسألة الموقف من الفلاحين الوسط ، وقال ان الطبقة العاملة قامت بثورة اكتوبر الاشتراكية مع فقراء الفلاحين ، وايد الاجراء الزراعيون والفلاحون الفقراء الحكم السوفييتي بلا تحفظ . ولكن الجمهرة الاساسية من سكان الارياف تتألف من الفلاحين الوسط الذين وقف كثيرون منهم موقف التربص ومعرفة من هو الذي سينتصر . وابتداء من خريف ١٩١٨ اصبح الفلاحون الوسط يلتفتون صوب السوفييتات . ووصف لينين هذا بانه واقع هام . قال في مؤتمر الحزب : اننا الآن اقتربنا من لحظة يجب فيها انشاء حلف متين مع الفلاحين الوسط . وبدون هذا الحلف لا نستطيع بناء الاشتراكية . وعلى اساس تقرير لينين قرر المؤتمر انتهاج سياسة التحالف المتين مع الفلاحين الوسط .

وكان لسياسة الحزب الرامية الى تعزيز تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين الوسط بالاعتماد على الفقراء لمكافحة فئة الكولاك ، دور حاسم في نجاح الحرب الاهلية وفي هزم الامبرياليين والحرس الابيض وفي بناء الاشتراكية .

واتخذ المؤتمر الثامن برنامجا جديدا للحزب صاغته اللجنة التي يترأسها لينين ، وحدد البرنامج الجديد مهمات الحزب الشيوعي لكل الفترة الانتقالية من الرأسمالية الى

الاشتراكية . وقال لينين في تقريره عن البرنامج انه مبني على اساس علمي ومنطلق من الواقع وانه ارشاد للطبقة العاملة والحزب في بناء المجتمع الجديد الاشتراكي .

وببهجة وحماسة عظيمتين صوت المندوبون بالاجماع للبرنامج ، فهو اول برنامج في التاريخ لحزب شيوعي يمسك بيديه مقاليد الحكم ويبني المجتمع الاشتراكي . وقال لينين عن البرنامج الجديد وعن اهميته الدولية :

« ان برنامجنا سيكون اقوى مادة للدعاية والتحريك ، سيكون تلك الوثيقة التي سيقول العمال على اساسها : « هنا رفاقنا واخواننا، هنا تحقق قضيتنا المشتركة »» .

ومع ان لينين كان مشغولا جدا ببناء الدولة السوفييتية والدفاع عن البلاد ، الا انه كان يجد متسعا من الوقت لاستقبال وفود العمال والفلاحين العديدة وممثلي الاحزاب الشيوعية الشقيقة . وكان يبدي اهتماما وتحسسا تجاه الرفاق في العمل وتجاه اعضاء الحزب العاديين . وكان يعنى بالناس ويضع في حب عظيم للشعب تدابير لانشاء المصحات من اجل الكادحين ويعنى بتحسين عمل المدارس ومؤسسات الاطفال . وكان يعلم كل العاملين في الحزب والسوفييتات ان يعنوا من كل قلوبهم بالكادحين

كتب الشيوعي القديم ف . آ . كاربينسكي : « ان احدى الصفات « الدنيوية » النادرة كانت تجعل فلاديمير

ايليتش رجلا من ابرز الرجال وهي حساسيته الخارقة وبشاشته وحسن ادبه وبساطته وتواضعه ليس فقط مع الرفاق – سواء أكان الرفيق عضوا في اللجنة المركزية ام عضوا عاديا في الحزب – بل مع الناس عموما سواء أكان شخصية مشهورة او خادمة عادية » .

وكان الكادحون يبادلون لينين حبا بحب ، فكانت الرسائل والتحيات تتوارد بالالوف الى زعيم الشعب الكادح الكبير . فقد ارسل اليه عمال مصنع ستودولسكايا للجوخ في كلينتسي تحية وقطعة من الجوخ هدية منهم اليه وكتبوا يقولون انهم سموا مصنعهم باسمه ورجوه ان يلبس طقما من الجوخ الذي نسجوه بايديهم .

ورد لينين بكثير من الحرارة : « ايها الرفاق الاعزاء! اشكركم من قلبي لتحيتكم وهديتكم واقول لكم سرا انه لا ينبغي ارسال الهدايا لي ، وارجوكم كثيرا ان تبلغوا كل العمال هذا الرجاء السري تبليغا واسع النطاق . تقبلوا اطيب الشكر والتحيات والتمنيات . المخلص ف . اوليانوف (لينين) » .

في بداية سنة ١٩١٩ استقبل لينين الفلاح ايفانوف الذي القى لدن عودته الى قريته تقريرا في جلسة اللجنة التنفيذية في الناحية فقال ان لينين يوافق على سياسة اللجنة التنفيذية ويبعث بتحيته وشكره القلبي ، واضاف

عند ذلك قائلا ان لينين يعمل في غرفة باردة ، فقررت اللجنة التنفيذية لناحية ميلينوفو التابعة لقضاء سودوغدا ، من حاكمية فلاديمير : « ارسال حافلة مليئة بالحطب الى الرفيق لينين على حساب اللجنة التنفيذية واذا اقتضى الامر فتوضع مدفأة حديدية بيدي حداد القرية » . وكان ذلك تعبيرا ساطعا لاهتمام الكادحين المؤثر بزعيمهم .

كان لينين يخطب في الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية داعيا الشعب الى بناء حياة جديدة ومعلما اياه ذلك . وكان يخاطب عمال التعدين والاستخراج وعمال السكة الحديدية والنسيج ويحدثهم ببساطة ويتناول جوهر القضية مباشرة . وكان كلامه يأسر الافئدة بحماسته وقوة يقينه ورسوخ ايمانه بقوى الشعب العامل . قال آ . آ . نيكيشين العامل في حقول بترول باكو الذي زار لينين مع رفاق له آخرين : « خرجنا من الكرملين وبدأنا نتبادل انطباعاتنا . كنا نفكر بان فلاديمير ايليتش سيقول اشياء غير عادية وكلمات غير عادية ، ولكنه قال لنا اشياء عادية للغاية بكلمات بسيطة للغاية . . . كان ظاهرا ان فلاديمير ايليتش يحيا حياتنا ويعرف الكثير عنا ويدرس امكانياتنا ويعرف قطاعاتنا الضعيفة ويشير اليها . وادهشتنا جميعا بساطته الفائقة ودماثته غير العادية وكنا بجلوسنا معه خمس دقائق نشعر وكأننا نعرفه منذ زمن بعيد بعيد وتحادثنا

بكثير من البساطة والانفتاح . لم يكن هناك اي حرج واي تصنع بل كان كل شيء بسيطا وسهلا . وهذه البساطة والسحر كانا يأسران في فلاديمير ايليتش ، هذا الزعيم والمعلم والقائد والصديق للطبقة العاملة ! » . وكان العمال والفلاحون يسمون لينين بدافع الحب « ايليتشنا » .

وكان لينين يؤمن ايمانا شديدا بقوى الجماهير المبدعة. فقد كتب يقول : « اني ، ككل شيوعي ، استمد من ثبات الجماهير العاملة الكادحة هذا ، ثقتي بحتمية انتصار العمال وقضيتهم على النطاق العالمي » . كان لينين يعمل لاشراك افراد الفئات الدنيا من الناس ، من العمال والفلاحين العاديين ، اشراكا واسعا في عمل الحزب والدولة والنقابات . وكان يلح بشكل خاص على اشراك النساء في العمل الفعال . كان يقول : عندما تشترك الملايين من النساء في الحياة الاجتماعية تصبح قضية البناء الاشتراكي متينة . وكان كثيرا ما يخطب في اجتماعات ومؤتمرات العاملات والفلاحات ويحدثهن عن وضع النساء الكادحات العبودي المذلّ في المجتمع الرأسمالي ، ويشير الى ان الحكم السوفييتي فعل من اجل النساء ، في زمن وجيز ، ما لم تفعله جمهوريات العالم البرجوازية مجتمعة في مئة سنة ، ويدعوهن الى الاشتراك بنشاط في دفاع وبناء الدولة الاشتراكية .

يذكر الكاتب آ . سيرافيموفيتش كيف ابدى لينين مرة رأيه في مجلة « تفورتشيستفو » (« الابداع ») فسأله :

– قل لي لماذا لا تكتب مجلتكم شيئا عن حياة المرأة السوفييتية والفلاحة السوفييتية . انها تقوم بدور عظيم في الدولة الجديدة ، في الدولة الاشتراكية لانها لاول مرة عندنا تدخل الى المسرح الاجتماعي الواسع . انظر كيف تتوق نساؤنا ، حتى في القرية ، الى العلم والثقافة . سيمر قليل من السنين وتظهر عندنا نساء بين الاطباء والمهندسين والعلماء ورجال الدولة . واستتلى يقول مستغرقا في فكرته : نعم ، نعم ، يجب ان تكتبوا عن النساء . فعليهن يتوقف الشيء الكثير في ميدان بناء حياتنا .

وكان لينين صديقا للشباب ، يتابع حركتهم بانتباه ويساعدهم في شغل الموقف السياسي الصحيح . وبوصية منه كان الحزب يرسل خيرة الشيوعيين لتنوير الشبان والشابات سياسيا . وبقيادته انشيء الاتحاد الشيوعي للشباب ، الذي يحمل الآن اللقب المشرف – لقب « اللينيني » . وقد استقبل للمحادثة وفد المؤتمر الاول لاتحاد الشباب الشيوعي الذي عقد في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨ . وفي خريف ١٩٢٠ القى في المؤتمر الثالث لهذا الاتحاد خطابه « مهمات منظمات الشباب » . وكان المؤتمر

قد اجتمع في وقت لا تزال فيه المعارك الشديدة دائرة ضد جنرال الحرس الابيض فرانجل . ويقول المندوبون انهم كانوا ينتظرون من لينين تقريرا عن الوضع الدولي والداخلي وفي كيف يجب القتال ضد الحرس الابيض والنضال ضد العصابات وعن مصادرة فائض الحبوب. فماذا قال لهم لينين؟ لقد دعا الشباب الى ان يتعلموا ثم ان يتعلموا ثم ان يتعلموا . وقال ببساطة ووضوح ان على الشباب ان يتعلموا بناء الشيوعية . وقال ان الشيوعية لا يمكن بناؤها الا بالاستناد الى العلم والمعرفة اللذين كدستهما البشرية جمعاء . ويجب تطبيق هذه المعرفة في العمل الانتاجي واستخدامها في الزراعة . وبغير ذلك لن تبنى الشيوعية . وان يكون المرء عضوا في اتحاد الشباب يعني ان يبذل قواه للقضية المشتركة . وعلى الشباب ، بالتعاون مع العمال والفلاحين ، ان يقرروا عمليا ، في كل يوم وفي كل مدينة وقرية ، هذه او تلك من مهام العمل المشترك ولو كانت من اصغر المهام ومن ابسطها . وقال لينين : « ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يربي الجميع ، منذ الصبا ، بروح العمل الواعي النظامي » .

وكشف لينين امام الشباب عن مبادئ الاخلاق الشيوعية ، العظيمة النبيلة . وقال ان الاخلاق الشيوعية تقوم على اساس النضال من اجل بناء المجتمع الشيوعي

وان الاخلاص لقضية الشيوعية واخضاع كل الحياة الخاصة والنشاط الخاص للنضال من اجل سعادة الكادحين ، وحب الوطن ، والاممية ، وعدم المهاودة تجاه اعداء الشيوعية ، والروح الجماعية ، – ان كل ذلك هو الوجه الاخلاقي لانسان المجتمع الجديد . ولقد كان لينين كذلك .

اثار خطاب لينين الحماسة في الشباب والاندفاع الى اجتراح البطولات في جبهتي القتال والعمل . وحتى الآن ، في فترة بناء الشيوعية ، تحافظ ارشادات لينين ونصائحه للشباب على كل اهميتها .

كان لينين يبذل كل قواه لتدعيم السلطة السوفييتية والنضال ضد المتدخلين الاجانب والحرس الابيض ولتربية الجماهير تربية شيوعية . وفي الوقت نفسه كان يستفيد مما لدى الطبقة العاملة في روسيا والحزب البلشفي من خبرة ثورية عظيمة ومن النظرية الثورية التي وضعها في الظروف الجديدة لمساعدة الحركة العمالية العالمية وتنظيم الاممية الشيوعية . ونشأت احزاب شيوعية في النصف الثاني من سنة ١٩١٨ في عدد من البلدان – في المانيا والنمسا وفنلنده والمجر وبولونيا . وفي يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ اهاب لينين بعمال اوروبا واميركا ان يؤسسوا الاممية الثالثة . وفي مارس (آذار)

١٩١٩ عقد في موسكو المؤتمر الاول للاممية الثالثة الشيوعية (الكومنترن) الذي قاد لينين عمله والقى فيه تقريرا عن الدمقراطية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا وتحدث عن الحكم السوفييتي وجوهر ديكتاتورية البروليتاريا .

لقد شوه زعماء الاممية الثانية تعاليم ماركس ووقفوا ضد دولة الديكتاتورية البروليتارية . ففضحهم لينين كاعوان للبرجوازية . وكان كتابه « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » المكتوب في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨ ضربة قوية انزلها بالانتهازية .

كتب بونتش - برويفيتش في مذكراته ان فلاديمير ايليتش كان منهمكا بشكل خاص بكتابة الكتاب و« كان يتحرق غضبا بكل معنى الكلمة » و« يكتب اياما بكاملها حتى ساعة متأخرة من الليل هذا الكتاب المدهش بقوته » .

لماذا غضب لينين هكذا ؟ وعلى من انقضّ ؟

في بداية ١٩١٨ اصدر كاوتسكي زعيم الانتهازية الفكري كتيبا بعنوان « ديكتاتوريه البروليتاريا » وفيه شوه التعاليم الماركسية عن الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا وافترى على الدولة السوفييتية وحاول بكل الوسائل تسويد صفحة الحزب البلشفي في نشاطه . ففضح لينين خيانة كاوتسكي لمصالح الطبقة العاملة وانتقده لكونه لم

يعترف بالشيء الرئيسي في الماركسية وهو ديكتاتورية البروليتاريا .

وكشف لينين في كتابه عن تهافت محاولات كاوتسكي لتصوير الدمقراطية البرجوازية بانها « بحتة وخارجة عن الطبقات». وقال : ما دامت هناك طبقات شتى فلا يمكن ان يكون مجال للحديث الا عن الدمقراطية الطبقية. فاذا كانت الدمقراطية البرجوازية تعبر عن مصالح الاقلية فان الدمقراطية البروليتارية الاشتراكية هي « اكثر دمقراطية بمليون مرة من اية دمقراطية برجوازية » وتحمي مصالح الكادحين الذين هم الاكثرية المطلقة بين السكان . وبين لينين على اساس تجربة الحكم السوفييتي في روسيا انه لا وجود لسلطة اكثر دمقراطية من سلطة الكادحين التي تمارس بواسطة السوفييتات ، وان الشعب السوفييتي استطاع بفضل ديكتاتورية البروليتاريا بالذات ان يناضل بنجاح ضد الثورة المعاكسة وغزو الامبرياليين العسكري وان يباشر ببناء الحياة الجديدة . واشار لينين الى ما لنضال الطبقة العاملة وشعوب روسيا السوفييتية في سبيل الاشتراكية من اهمية دولية هائلة . وقال ان الحزب الشيوعي والطبقة العاملة والكادحين في الجمهورية السوفييتية ، اذ يناضلون لانتصار الاشتراكية ، انما يضربون المثل لجميع الشعوب الاخرى .

اعلن المؤتمر الاول تأسيس الاممية الثالثة الشيوعية الذي كان انتصارا عظيما جدا للينينية . وقد اشترك لينين في عمل مؤتمرات الكومنترن الاخرى : المؤتمر الثاني سنة ١٩٢٠ ، والمؤتمر الثالث سنة ١٩٢١ ، والمؤتمر الرابع سنة ١٩٢٢ . وعمل في اهم اللجان والقى الخطب والتقارير في مسألتي الفلاحين والقوميات وفي الموقف من الشعوب المقهورة وفي المستعمرات وفي دور وتكتيك الاحزاب الشيوعية ووضع مسودات اهم القرارات التي اتخذتها مؤتمرات الكومنترن .

وكان يؤكد بقوة خاصة على اهمية وحدة وتلاحم الاحزاب العمالية والشيوعية في جميع البلدان ويوصي بالتقيد الشديد بمبادئ الاممية البروليتارية .

وكان لينين يقابل مندوبي مؤتمرات الكومنترن ويتحادث معهم حول الحركة العمالية وبناء الاحزاب الشيوعية في بلدانهم . وكان لمقابلات لينين واحاديثه هذه دور هام في حياة قادة الاحزاب الشيوعية الشقيقة من امثال و . غالاخير (بريطانيا) وم . كاشان (فرنسا) وآ . زابوتوتسكي (تشيكوسلوفاكيا) وخ . كاباكتشييف (بلغاريا) وكثيرين غيرهم .

وكان لينين يعبر في رسائله الى رجالات الحركة الشيوعية والعمالية العالمية عن ثقته العميقة بحتمية انتصار

الثورة العالمية وانتصار الدمقراطية الاشتراكية الجديدة في جميع البلدان .

وكان لينين محبا شديد الحب للوطن ، محبا حبا لا حدود له لشعبه ، محبا للثقافة الروسية واللغة الروسية والادب الروسي . وفي الوقت نفسه كان امميا بروليتاريا كبيرا ربط دائما مصالح ومهمات حزب البلاشفة والطبقة العاملة وجميع الكادحين في روسيا بمصالح ومهمات الحركة العمالية والشيوعية العالمية وكان يعتبر الثورة في روسيا جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية .

ورحب لينين بتأسيس السوفييتات في المجر وبافاريا (ربيع سنة ١٩١٩) وايد قائد الثورة المجرية بيلا كون . وكتب الى كلارا زيتكين : « يسرنا جميعا بالغ السرور انك مع الرفيق مهرينغ وسائر «الرفاق السبارتاكيين» (١) في المانيا « معنا قلبا وقالبا » ».

وكان يتتبع بانتباه الوضع في الاحزاب الشيوعية والاشتراكية ويجمع دائما فيها صفوف العناصر الثورية حقا وينتقد في الوقت نفسه كل نوع من انواع تشويه وتحقير الماركسية ، ويرى من الضروري تنمية الصلات بين الاحزاب الشيوعية والاحزاب العمالية الاخرى وتبادل

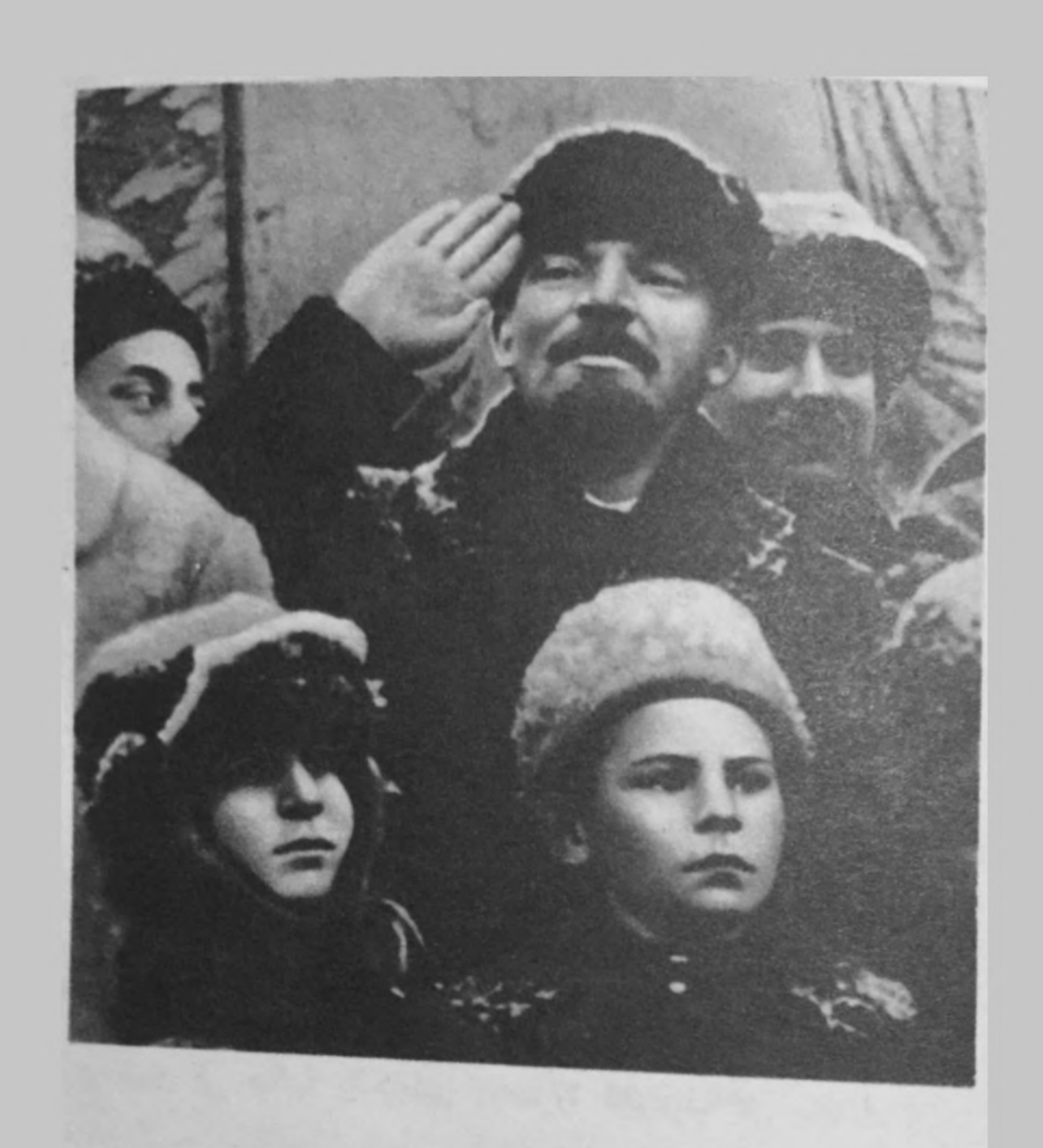
---

(١) السبارتاكيون هم اعضاء المنظمة الثورية للاشتراكيين-الدمقراطيين اليساريين الالمان الذين كانوا في سنة ١٩١٩ في عداد المؤسسين للحزب الشيوعي الالماني .

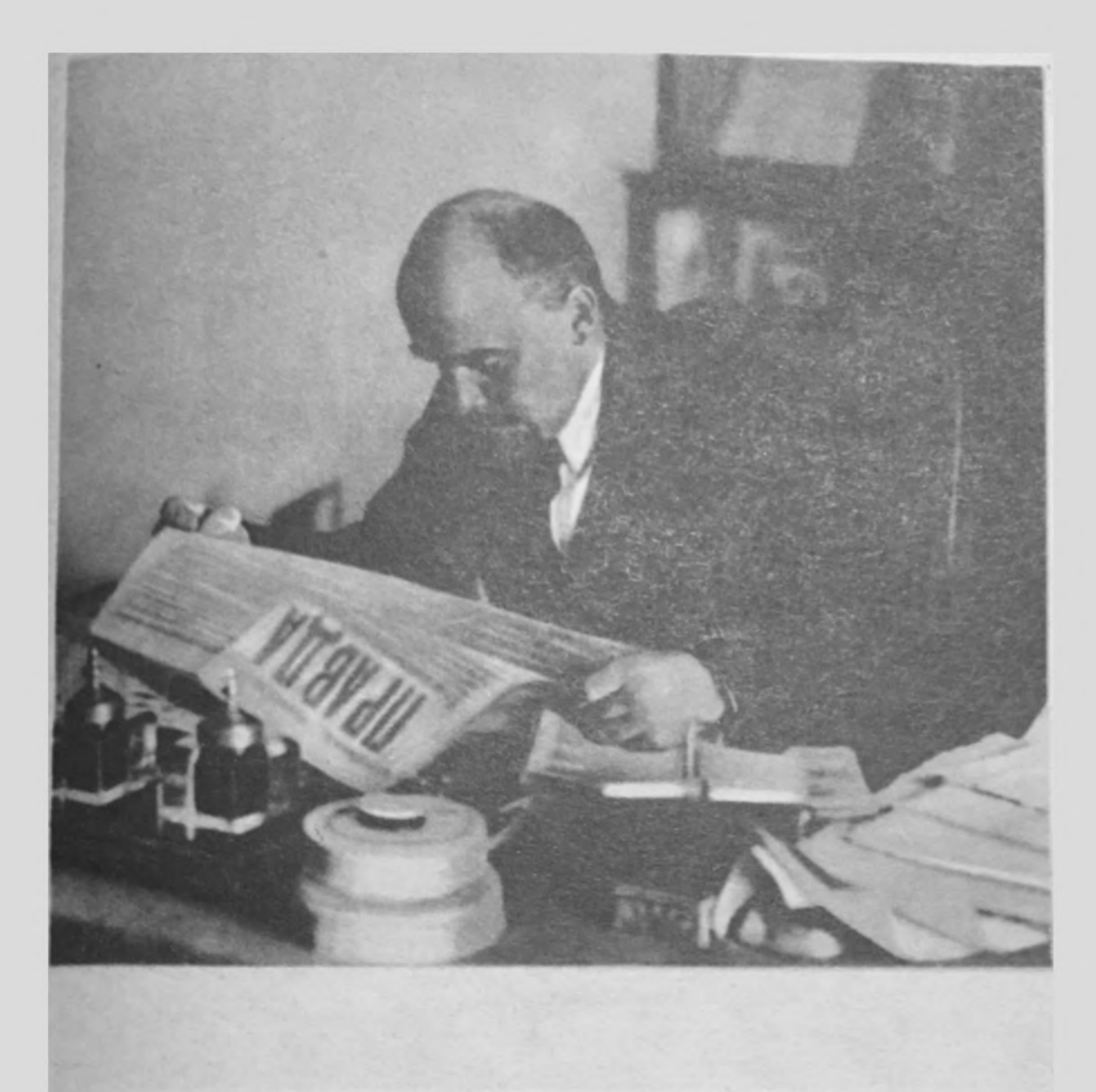
المعلومات عن الوضع والنشاط وكان يطبق هذا بنفسه بلا شائبة .

ولتعريف الاحزاب الشيوعية الناشئة في مختلف البلدان بتجربة الشيوعيين الروس وجعل هذه التجربة في متناول ايديها كتب لينين سنة ١٩٢٠ كتاب « مرض « اليسارية » الطفولي في الشيوعية » الذي القى فيه الضوء على تاريخ نشوء الحزب البلشفي وتطوره ونضاله وانتصاراته ، وبيّن كيف نما حزب البلاشفة واشتد ساعده وكيف ولماذا تغلب بنجاح على الصعوبات وما هي العبر التي تستخلص من تجربة سنيه العديدة بالنسبة للاحزاب الشيوعية الاخرى .

كتب لينين يقول ان حزب البلاشفة ترعرع واشتد ساعده في النضال ضد الانتهازيين والمنشفيك والاشتراكيين الثوريين وغيرهم من اعداء الطبقة العاملة واعداء الماركسية وتغلب على الصعوبات الهائلة بفضل الانضباط الحديدي في صفوفه وصلته الوثيقة بالجماهير ولأنه كان دائما يسترشد بنظرية الماركسية . وباعتبار الانتهازية اليمينية الخطر الرئيسي في الحركة العمالية انتقد لينين انتقادا شديدا اخطاء « اليساريين » في الاحزاب الشيوعية الذين لم يفهموا فهما صحيحا دور ومهمات الاحزاب الشيوعية



لينين في الساحة الحمراء في ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٩ .
صورة فوتوغرافية



لينين في مكتبه بالكرملين . صورة فوتوغرافية من سنة ١٩١٨

بالنسبة للجماهير ورفضوا العمل في البرلمانات والنقابات البرجوازية وانكروا جواز الاتفاق والمصالحة مع الاحزاب الاخرى واحلوا الكلام الثوري محل العمل الثوري وكان ذلك مضرا وخطرا على قضية الطبقة العاملة وعلى كل الحركة الشيوعية العالمية وادى الى عزل الحزب عن الجماهير . وقال زعيم البروليتاريا العالمية : حيثما تكون الجماهير يجب ان يعمل الشيوعيون . وعلم المناضلين مرونة التكتيك وحذر من تطبيق الحقائق العامة على المهمات المحددة تطبيقا جامدا وقالبيا . وقال انه عند حل المسائل العملية المرتبطة بخصائص هذا البلد او ذاك لا يجوز السهو ولو دقيقة واحدة عن المهمة الامية الاساسية وهي اسقاط سلطة الامبرياليين وبناء الاشتراكية والشيوعية . وقد ساعد كتاب لينين هذا الاحزاب الشيوعية في تذليل الاخطاء والنضال بنجاح اكبر ضد اعداء الطبقة العاملة وفي ان تصبح احزابا ماركسية صلبة البنيان قادرة على جر الجماهير وراءها . ولهذا الكتاب حتى الآن اهمية عظيمة بالنسبة لكل الحركة الشيوعية العالمية .

لقد استحق لينين بنضاله المتفاني من اجل قضية العمال والفلاحين ، الحب العظيم لدى كادحي العالم كله . وكانت البروليتاريا العالمية والشيوعيون في جميع البلدان يرون فيه زعيمهم ومعلمهم . ولقد حفظت لنا الايام البوما

سجل فيه مندوبو المؤتمر الثاني للكومنترن خواطرهم عن لينين واعربوا له عن حبهم واحترامهم الذي لا حد له . وفيما يلي بعض هذه التسجيلات :

كتب انطونين زابوتوتسكي : « ان للبروليتاريا الروسية كل الحق في ان تفتخر بالرفيق لينين وبوسعها ان تعتبر من دواعي الحظ ان يكون عندها لينين في الحقبة الثورية عندما ظهرت اكبر الحاجة الى هذا . . . » .

وكتب جون ريد : « ان لينين بسيط وانساني وفي الوقت نفسه بعيد النظر ولا يعرف التردد » .

وكتب مندوبون من البلدان المستعمرة والتابعة ان لينين احيا في قلوب شعوب الشرق آمالا جديدة ودلها على طريق السعادة . وقال مندوب من الهند في لينين بايجاز وقوة تعبير : « انه انبل ممثل للبشرية » .

كانت الجماهير الكادحة والشعوب المقهورة في بلدان الغرب والشرق ترهف السمع لما يقوله لينين وما يبديه من نصائح . كتب الشيوعي الايطالي جيرمانيتو ان اسم لينين كان معروفا في ايطاليا في بداية العشرينيات حتى في ابعد القرى. ودلالة على الاحترام الشديد له كانت بعض الاسر العمالية تسمي من يولد لها من ابناء باسم « لينين » .

في صيف ١٩١٩ شدد المتدخلون والحرس الابيض

ضغطهم على الجمهورية السوفييتية . وجرت في جبهات الحرب الاهلية معارك فاصلة ضد قوى المتدخلين الاجانب والحرس الابيض الموحدة . فقد رمى امبرياليو الولايات المتحدة وبرطانيا وفرنسا والمانيا واليابان للهجوم على شعبنا جيوش الحرس الابيض التابعة للجنرالين دينيكين ويودينيتش وفلول قوات كولتشاك . وبنتيجة هذا الهجوم نهبت الوف المدن والقرى وزاد الاقتصاد الوطني خرابا وهلك وافتقر الملايين من الناس . فعبأ حزب الشيوعيين وعلى رأسه لينين الشعب من جديد لصد العدو . وهبت جماهير جديدة وجديدة للدفاع عن الوطن السوفييتي .

وفي تلك الايام العصيبة اقترح لينين اجراء « اسبوع حزبي» خاص واشراك جماهير جديدة من العمال الطليعيين في الحزب . وانتسب للحزب ، تلبية لنداء القائد ، مئات والوف جديدة من العمال والفلاحين والجنود . واظهر « الاسبوع الحزبي » بوضوح ان الجماهير تسير وراء الشيوعيين وان الحزب يتمتع بتأييد الشعب الشديد . كتب لينين في « دولة العمال والاسبوع الحزبي » : « ان جماهير الكادحين معنا وفي هذا قوتنا. في هذا مصدر منعة الشيوعية العالمية » .

وفي اواخر ١٩١٩ عندما كان الجيش الاحمر قد انتصر في جميع الجبهات تقريبا ، سنحت للبلاد فرصة

سلام لاستعادة الانفاس . وحول لينين وحزب البلاشفة فورا جزءا كبيرا من القوى نحو البناء الاقتصادي ـ لانهاض النقليات وصناعة الوقود وغيرهما من قطاعات الاقتصاد الحاسمة .

وكان وضع خطة البناء الاقتصادي يتطلب بالحاح عقد مؤتمر جديد ، المؤتمر التاسع للحزب يكون هدفه الرئيسي تعيين اساليب وطرائق وترتيبات الانتقال من النضال في جبهات الحرب الى النضال الخالي من اراقة الدماء ، الى انهاض وتنمية كل الاقتصاد الوطني .

افتتح المؤتمر التاسع للحزب في ٢٩ مارس ١٩٢٠ في مسرح البلشوي بموسكو . واستغرقت جلساته ثمانية ايام وارتقى لينين المنبر فيه ست مرات . وطرح لينين في تقرير اللجنة المركزية السياسي امام الحزب مهمة احياء اقتصاد البلد .

وعلى اساس ارشاداته بحث المؤتمر التاسع للحزب سنة ١٩٢٠ مسألة الخطة الاقتصادية الواحدة التي تشغل كهربة الاقتصاد الوطني مكانة رئيسية فيها .

كان لينين يرى ، عبر الفقر والخراب ، مستقبل البلاد السوفييتية العظيم ويؤمن عميق الايمان بان في النظام السوفييتي ينبوعا لاينضب من القوى سواء للانتصارات الحربية او للبناء الاشتراكي . وقال لينين ان من الضروري

لبناء الاشتراكية والشيوعية تنمية الصناعة الضخمة وكهربة البلاد . وقال : « ان الشيوعية هي الحكم السوفييتي مضافا الى كهربة البلاد بأسرها » ، وانه اذا غطيت روسيا بشبكة كثيفة من محطات توليد الكهرباء ومن المعدات التكنيكية القوية اصبح بناؤنا الاقتصادي الشيوعي نموذجا لاوربا وآسيا الاشتراكيتين القادمتين . وقال ان الاشتراكية غير ممكنة بدون تنمية العلم والتكنيك ولكن العلم ايضا لا يمكن ان يزدهر ازدهارا كاملا بدون الاشتراكية ولن يحرر العلم من النير الرأسمالي غير الاشتراكية . وقد زعم اعداؤنا آنذاك ان الحزب البلشفي والشعب لن يتغلبا على الصعوبات وانه لا مجال للحديث عن اية كهربة . وحتى هربرت ويلز الكاتب البريطاني الكبير ومؤلف الكثير من الروايات الخيالية لم يستطع ان يفهم فكرة لينين العظيمة . فقد جاء ويلز الى موسكو سنة ١٩٢٠ وتحدث مع رئيس الدولة السوفييتية وسمى لينين بـ « حالم الكرملين » ولم ير في خطة لينين الجريئة لكهربة البلاد شيئا غير « الخيال الكهربائي » . فقال له لينين : « تعال الينا مرة اخرى بعد عشر سنين وسترى ما تحقق في روسيا في هذه المدة » .

وانشئت بمبادرة من لينين في بداية ١٩٢٠ لجنة من كبار العلماء والمهندسين برئاسة غ . م . كرجيجانوفسكي

احد اقدم اعضاء الحزب . اما كيف كان لينين يوجه عمل هذه اللجنة فهذا ما تدل عليه رسائله الكثيرة الى غ . م . كرجيجانوفسكي ور. ا . كلاسون وآ . ف . فينتر وغيرهم من علماء البلاد الكبار . ففي ظروف سنة ۱۹۲۰ القاسية تقدم الحزب الشيوعي ، بقيادة زعيمه ، ببرنامج ضخم لانماء القوى المنتجة في الجمهورية على اساس تعميم الكهرباء . فقد نص في البرنامج الموضوع لمدة ۱۰ ــ ۱٥ سنة ، على بناء ۳۰ محطة كهربائية كبيرة وزيادة انتاج الطاقة الكهربائية الى اكثر من ۱۷ مثلا والانتاج الصناعي عموما الى حوالى ۱٥ مثلا بالقياس الى سنة ۱۹۲۰.

اعتبر لينين هذه الخطة اساسا لعمل الحزب الاقتصادي وبرنامجا ثانيا له . واصبحت هذه الخطة بداية لتاريخ تطوير الاقتصاد تطويرا مجموعيا ومبرمجا ومبررا عاميا . وبوشر بتحقيق خطة لينين لكهربة البلاد في ذلك الوقت بالذات اي في سنوات الخراب الاقتصادي والنضال ضد الاعداء الخارجيين والداخليين . واشد ما فرح لينين عندما اشتعلت بحضوره في قرية كاشينو الصغيرة قرب موسكو مصابيح الكهرباء التي سماها الشعب في حنان بـ «مصابيح ايليتش».

تحققت الخطة في مدة وجيزة جدا . وعندما جاء ويلز مرة اخرى الى الاتحاد السوفييتي سنة ۱۹۳٤ .تحقق من هذا بام عينيه .

ان ما بذله الحزب الشيوعي وزعيمه الكبير من نشاط بطولي متوثب حقق للعمال والفلاحين نصرا حربيا على اعداء البلاد السوفييتية الكثيرين الاقوياء .

واضطر الشعب السوفييتي سنة ١٩٢٠ الى صد هجوم جديد للامبرياليين . فقد هاجم بلادنا هذه المرة الاقطاعيون والبرجوازية البولونيون ومن ورائهم ، كما في السابق ، الامبرياليون البريطانيون والاميركيون .

وقد خطب لينين في ٥ مايو (ايار) ١٩٢٠ في جنود الجيش الاحمر الذاهبين الى الجبهة البولونية فقال ان الدولة السوفييتية لم ترد الحرب وانما فرضت الحرب عليها فرضا . وفضح الطبقات المسيطرة في بولونيا ، التي شنت هذه الحرب ، ورحب بنضال العمال البولونيين البطولي لتأييد الجمهورية السوفييتية وتحدث عن مشاعر التعاطف العميق التي تكنها شعوب بلادنا لشعب بولونيا .

وفي هذه المرة ايضا اخفقت خطة الامبرياليين لخنق روسيا السوفييتية . واخفقت في خريف السنة نفسها في القرم حملة البارون فرانجل آخر صنيعة لهم .

وربحت الاشتراكية اول معركة فاصلة ضد قوى العالم الرأسمالي . وقال لينين في اعتزاز مشروع : « لقد صمدنا في وجه الجميع » .

تكللت الحرب الاهلية بانتصار تاريخي عالمي

للشعب السوفييتي . وتحققت نبوءة لينين القائلة : « لن يغلب ابدا ذلك الشعب الذي عرف فيه معظم العمال والفلاحين وشعروا ورأوا انهم يدافعون عن سلطتهم هم ، عن السلطة السوفييتية ، سلطة الكادحين » .

ملهم ومنظم البناء الاشتراكي

قاد الحزب الشيوعي برئاسة لينين الشعب السوفييتي ، في مهارة وجرأة ، عبر جميع مشاق الحرب الاهلية . ولكن صعوبات هائلة جديدة اعترضت طريق البناء الاقتصادي السلمي . فالامبرياليون وان لم يستطيعوا القضاء على الجمهورية السوفييتية بالقوة العسكرية الا انهم احدثوا في بلادنا من الخراب بحيث حصلوا ، حسب تعبير لينين ، على « نصف حل لمهمتهم » . كانت الصناعة تنتج جزءا من سبعة اجزاء حتى من تلك الكمية الزهيدة من الانتاج الذي كانت تقدمه قبل الحرب . وكان الخراب على اشده في تلك المناطق التي سيطر عليها الحرس الابيض والغزاة الاجانب . وكانت اكثرية المؤسسات متوقفة بسبب انعدام الوقود والخامات . وكان ينتج لكل نسمة من السكان اقل من كيلوغرام من الحديد الصب واقل من متر من الانسجة القطنية . وكان النقل

بالسكة الحديدية في حالة دمار كامل . وكان العمال يعانون الجوع في المدن والزراعة على اشد ما تكون من التدهور . وعندما كانت الحرب الاهلية والتدخل كانت الجماهير الكادحة من الفلاحين تؤيد الحكم السوفييتي لانه اعطاها الارض وحررها من نير الاقطاعيين وكانت تتحمل كل المشقات وترضى بالتضحيات وتذعن لسياسة شيوعية الحرب . ولكن عندما بدأت البلاد في البناء السلمي اصبح الفلاحون يبدون استياءهم من نظام مصادرة فائض الحبوب وراحوا يطالبون بالسلع الصناعية الضرورية لانهاض الاقتصاد ، ولكن هذه السلع الصناعية مفقودة . وكان الفلاحون يريدون التصرف في حرية بمنتجات عملهم وبيعها في السوق وشراء السلع الصناعية باسعار مناسبة ولكن ذلك كان محظورا في فترة شيوعية الحرب .

واستغل اعداء النظام الجديد استياء الفلاحين فراحوا يشجعونهم على مناهضة الحكم السوفييتي واستطاعوا في عدد من الاماكن في روسيا الوسطى واوكرانيا ومنطقة الدون وسيبيريا اثارة فتن كولاكية انضم اليها جزء من الفلاحين الوسط . وفي مارس (آذار) ١٩٢١ حدث تمرد معاد للثورة في قلعة كرونشتادت

وفي تلك الفترة الخطرة على البلاد ظهرت حكمة لينين بقوة جديدة . فقد اقترح زعيم الحزب والشعب

بجرأة تحقيق انعطاف حاسم في السياسة الاقتصادية للحزب والدولة السوفييتية . وكانت السياسة الاقتصادية الجديدة (المعروفة اختصارا بـ « النيب ») التي وضعها لينين تطويرا لمشروع ارساء اسس الاقتصاد الاشتراكي الذي كان قد رسمه سنة ١٩١٨ في كتيب « المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية » .

وبين لينين ان انهاض الاقتصاد الوطني يجب ان يبدأ بالزراعة لانها كانت لا تلبي اطلاقا حاجات المراكز الصناعية الى الخبز والخامات . وبدون هذا لم يكن من الممكن انهاض الصناعة وتوفير الموارد اللازمة لتنمية الصناعة الثقيلة .

قال لينين ان الاقتصاد الفلاحي الصغير هو الغالب في بلادنا . وعلى الطبقة العاملة ان تألف الفلاحين الذين يعدون بالملايين وان تعيد تربيتهم وان تشركهم في البناء الاشتراكي . ولا يمكن هذا الا بواسطة السياسة الاقتصادية الجديدة . فما هو كنه هذه السياسة ؟ ولماذا سميت بالجديدة ؟

اقترح لينين الاستعاضة عن نظام مصادرة فائض الحبوب بنظام الضريبة العينية والسماح للافراد بالاتجار بفائض الحبوب وغيرها من الحاصلات . ووضع امام الحزب مهمة تنظيم التجارة تنظيما جيدا واعادة تنظيم

التعاونيات وطالب بان يتعلم الشيوعيون التجارة وتموين العمال والفلاحين بالسلع بشكل ارخص وافضل مما كان يفعله الرأسماليون . وعندئذ ـ كما قال لينين ـ ستكون للفلاحين مصلحة في ان ينتجوا المزيد من الحبوب ، وهذا ما يدفع الى انهاض وتنمية كل الاقتصاد الوطني . وقال لينين ان « النيب » تؤدي الى تدعيم تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين والى تدعيم السلطة السوفييتية .

كانت السياسة الاقتصادية الجديدة للحزب الشيوعي والدولة السوفييتية هي وحدها الصحيحة في فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وكانت في اول امرها تراجعا الى حد ما لانها كانت تسمح بالتجارة الخاصة واستئجار القوة العاملة ، مما ادى الى انبعاث الرأسمالية جزئيا . ولكن هذا التراجع كان موقتا وغير خطر على النظام السوفييتي . فالسلطة في ايدي العمال والفلاحين ، والصناعة والارض والمصارف والخطوط الحديدية والنقليات المائية والبحرية ملك للدولة .

وفي ١٩٢١ عقد المؤتمر العاشر للحزب البلشفي وكانت له اهمية كبيرة جدا ، لانه اقر اقتراح لينين بالانتقال الى السياسة الاقتصادية الجديدة كما اتخذ ايضا قرارا بصدد النقابات وعين دورها ومهماتها في الظروف الجديدة ووافق على تعريف لينين للنقابات بانها مدرسة

للادارة ، مدرسة للتسيير الاقتصادي ، مدرسة للشيوعية .

وكانت الصعو بات التي تعانيها البلاد تترك اثرها السلبي في الوضع في الحزب الشيوعي ايضا . ففي نهاية سنة ١٩٢٠ كان يضم اكثر من ٥٠٠ الف عضو يؤلف العمال اقل من نصفهم ، والفلاحون الربع ، والباقي من المستخدمين والحرفيين والمثقفين . وتسرب لصفوف الحزب عدد من المنشفيك والاشتراكيين الثوريين السابقين. وكان قسم من اعضاء الحزب متقلقلا سياسيا . ونشطت التجمعات المعادية للحزب وعلى رأسها تروتسكي وبوخارين وغيرهما من الكتلويين ، وراحوا يناهضون لينين وخط الحزب في مسألة طرق البناء الاشتراكي ودور النقابات . وكان المعارضون يخالفون الانضباط الحزبي ويحاولون شق الحزب وتقويض قوته .

هذا الخطر رآه لينين الذي كان يولي اهمية حاسمة لوحدة الحزب التي هي احد المصادر الرئيسية لقوته . وقال لينين انه اذا نشأ انقسام داخل الحزب ادى حتما الى سقوط تحالف الطبقة العاملة والفلاحين والى هلاك السلطة السوفييتية والى عودة الرأسمالية في بلادنا .

واقترح لينين على المؤتمر ان يحظر في الحزب وجود ونشاط اي نوع من التكتل والجماعات المعادية للحزب .

واقر المؤتمر مشروع قرار لينين بتدعيم وحدة الحزب واعلن ان كل عضو من اعضاء الحزب ولو كان عضوا في اللجنة المركزية يقع تحت طائلة الفصل من صفوفه اذا قام بنشاط تكتلي . وفي سنة ۱۹۲۱ اقترح لينين تطهير الحزب ودعا الى تطهيره من كل الناس الغرباء الذين انضموا اليه بدافع المصلحة ، من غير الشرفاء وغير الثابتين ومن الذين تحولوا الى بيروقراطيين . وعلى اثر التطهير تحسن تركيب الحزب وقويت وحدته .

بعد ان اقر قانون الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية ابدى لينين عناية يومية بتحقيق المقررات . فكان يصدر التعليمات بتحسين الانتاج الزراعي وزيادة انتاجيته ويدعم بكل الوسائل القطاع الاشتراكي في الزراعة ويدرس باهتمام نشاط المزارع الحكومية (السوفخوزات) التي هي ، حسب تعبيره ، الزراعة البروليتارية فعلا ، ويدعم المزارع التعاونية ، محذرا في الوقت نفسه من التسرع في هذه القضية .

وفي كتيب « عن الضريبة العينية » ومقالتي « لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر » و « حول اهمية الذهب اليوم وبعد انتصار الاشتراكية التام » شرح لينين للعمال والفلاحين بالتفصيل كنه السياسة الاقتصادية الجديدة وطرق تطبيقها . وباشر الحزب ، على اساس تعليمات لينين ،

بانهاض الاقتصاد الوطني وتحسين اوضاع الجماهير الشعبية .

وكان نشاط لينين دائبا ومتعدد النواحي الى حد غير عادي . فقد كان يعطي التعليمات العملية عن عمل حوض الدونيتز الفحمي وصناعة باكو البترولية والصناعة التعدينية، واشار اكثر من مرة الى عظم اهمية حوض كورسك الحديدي بالنسبة للاقتصاد الوطني ، وتحت اشرافه المباشر بنيت اولى المحطات الكهربائية . وكان يعتبر الاستقلال المالي للمؤسسات وريعية الانتاج ومصلحة العاملين المادية في نتائج عملهم ومكافأة العاملين على توفير الموارد المادية واتقان الانتاج ، — كان يعتبر هذا كله شيئا هاما لاحياء الصناعة وتنميتها . كتب لينين يقول : « اعتقد ان التروستات والمؤسسات ذات الاستقلال المالي قائمة بالذات لكي تكون هي المسؤولة ، والمسؤولة كليا ، عن عدم خسارة مؤسساتها » .

وكان يدافع بشكل خاص عن مبدأ المصلحة المادية . كتب يقول : « بدون المصلحة الشخصية لن يفيد شيء. يجب المقدرة على اثارة المصلحة» . وفي الوقت نفسه كان يرى من الضروري رفع مستوى وعي الكادحين وغرس الشعور بالمسؤولية فيهم وتعويدهم على معالجة الامور في حسن تدبير . وناضل لينين بحزم ضد الاستهتار

الاقتصادي باموال الدولة وضد تبذير موارد الدولة .
فتوفير خيرات الشعب هو قانون للمجتمع الشيوعي ، يتجلى في الصيغة الاينينية التالية : « ان كل بود من الحبوب والوقود هو قدس حقيقي في زمان كهذا ــ أما بالنسبة للمجتمع الشيوعي الحقيقي فهذا صحيح دائما ... » .

وعمل الحزب والحكومة السوفييتية لتدعيم ادارة الاقتصاد الوطني المنهاجية الممركزة وبذلا في الوقت نفسه كل ما بوسعهما لتنمية الاستقلال والمبادرة الخلاقة في الاماكن . وتدل رسائل لينين الى غ . م . كرجيجانوفسكي الذي كان آنذاك رئيسا للجنة التخطيط ، على مدى تعمقه في عمل لجنة التخطيط ومدى الحاحه على المطالبة بان يكون التخطيط متصلا بالحياة ومرتكزا على خبرة الجماهير العملية الطليعية .

ومع شدة انشغاله كان يحسن ملاحظة كل ما هو تقدمي وذو مستقبل في تطور العلم والتكنيك. وكان يهتم كثيرا باستخدام ماكنات القلع في استخراج الفحم في حوض الدونيتز وباستخراج الطورب بالطريقة الهيدروليكية وغير ذلك . وقد حفظت لنا الايام كثيرا من الوثائق الدالة على اهتمامه الشديد بالاختراعات وعلى تأييده الكلي للمخترعين .

وكان يعير اهتماما كبيرا لقضايا تنظيم الادارة ولعمل جهاز الدولة . وكانت تثير حنقه الشديد الشكلية والتقاعس والفوضى في عمل الجهاز . كتب لينين مشيرا الى التقاعس والروتين في بعض الدوائر الحكومية المركزية : « ان ماكنة الادارة السوفييتية يجب ان تعمل بانتظام ودقة وسرعة».

وكان يشترك اشتراكا نشيطا في وضع التشريعات السوفييتية ويناضل للتقيد بالشرعية الثورية ويناهض بشدة تبديلات الجهاز السابقة لاوانها وغير المدروسة جيدا والمتسرع فيها . كتب في يناير (كانون الثاني) ١٩٢٢ : « اني اخاف اشد الخوف من تبديلات الانظمة » . وكان ينصح بتجربة كل تدبير كبير نوعا ما تجربة عملية قبل اقراره كقانون ، ويقول ان التشريع يجب « فحصه ثلاث مرات . قس سبع مرات! » .

وكان يعرف خيرا من اي شخص آخر كادرات السوفييتات والحزب ويقدر فيها الاخلاص للشيوعية ، والمعرفة العميقة بالامور ، والصلابة في تطبيق خط الحزب وفي الوقت نفسه المرونة والحساسية والاهتمام بالناس .

وكان فلاديمير ايليتش يرى من المفيد تحويل كادرات الحزب الى العمل الاقتصادي ويشير الى ان « جهاز اللجنة المركزية يجب تقويته وتقريبه من اماكن العمل » ويقترح ان « يرفع الاقتصاديون (من اللجنة

РОССИЙСКАЯ КОММУНИСТИЧЕСКАЯ
ПАРТИЯ (большевиков).

Пролетарии всех стран, соединяйтесь!

ПАРТИЙНЫЙ БИЛЕТ №114482

Фамилия Ульянов (Ленин)

Имя и отчество Владим. Ильич

Год рождения 1870

Время вступления в партию 1893

Выдан Замоскворец-
(точное наименование организации,
Райком
выдавшей билет).
Москва

Личная подпись В. Ульянов (Ленин)

Место
фотографическ.
карточки.

Секретарь Укома / Райкома

............1922 г.

بطاقة لينين الحزبية . صورة فوتوغرافية



عند ضريح لينين . صورة فوتوغرافية

المركزية) الاماكن وان يتحققوا من الامور وان يوجهوا التعليمات » . وهذه المبادئ اللينينية كان الحزب ولا يزال يسير عليها في انتقاء الكادرات وتوزيعها وتربيتها .

وكان يستنكر بشدة الاساليب الادارية وطرائق اصدار الاوامر والفظاظة في معاملة الرفاق والمرؤوسين . اقترح مرة على مفوض الشعب غ . ا . بتروفسكي – وكان ذلك في مارس (آذار) ١٩١٩ عندما عرف بفظاظة آ . غ . برافدين (عضو مكتب مفوضية الشعب للشؤون الداخلية) – ان يعاقب برافدين بشدة وان يراقب نشاطه لان عنده « ميلا الى « اصدار الاوامر » بحمق » .

وكان في تقدير الناس ينصح بالاصغاء لرأي الكادحين . كتب يقول : « ان جمهرة الكادحين تلتقط باعظم الحساسية الفرق بين الشيوعيين الشرفاء المخلصين والشيوعيين الذين يثيرون النفور في الشخص الذي يكسب رزقه بعرق جبينه وليست له اية امتيازات واية «دروب الى الرؤساء » » .

لقد اثر العمل المرهق والجرح البالغ الذي اصيب به سنة ١٩١٨ (فاحدى الرصاصات لم تستخرج) في صحة لينين فكان منذ شتاء ١٩٢١ يضطر ، بناء على الحاح الاطباء ، الى الانقطاع كثيرا عن العمل واللجوء الى العلاج والخلود الى الراحة . وساءت صحته كثيرا فى سنة ١٩٢٢ .

ولكنه ، بالرغم من مرضه ، كان يشتغل كل يوم بامور الدولة .

وفي مارس (آذار) ١٩٢٢ خطب في المؤتمر الحادي عشر للحزب وعرض في تقرير اللجنة المركزية السياسي تقديراته للسنة الاولى من السياسة الاقتصادية الجديدة ونوه في سرور بان نهوضا قد بدأ في جميع قطاعات الاقتصاد الوطني وان تحالف الطبقة العاملة والفلاحين قد اشتد . وانتقد في الوقت نفسه النواقص ضاربا المثل في الانتقاد والانتقاد الذاتي البلشفيين الراميين الى تحسين نشاط هيئات السوفييتات والحزب والاقتصاد . وقال ان التراجع قد انتهى وانه يجب الآن تنظيم الهجوم على العناصر الرأسمالية . واشار الى دور الحزب في بناء الحياة الجديدة وقال وكأنه يقرأ الغيب ان ليس في العالم قوى تستطيع القضاء على منجزات ثورة اكتوبر الاشتراكية لان هذه المنجزات اصبحت عالمية تاريخية . وكان ذلك آخر مؤتمر للحزب يتكلم فيه لينين .

وانتقل صيفا الى قرية غوركي القريبة من موسكو. وفي اواخر مايو (ايار) اصابته نوبة مرض حادة ولكن صحته تحسنت بعض الشيء فيما بعد فاستأنف في اواسط يوليو (تموز) مراسلاته العملية وطالب بموافاته بالكتب . وتحفظ الآن في متحف غوركي المطبوعات

التي قرآها في ذلك الحين وهي عبارة عن ٣٢ جريدة و ١٣٧ مجلة بلغات مختلفة وكثير من الكتب .

كان العمال والفلاحون يرسلون الى لينين من جميع انحاء البلاد تحياتهم التي يبدون فيها قلقهم عليه ويعربون عن حبهم الشديد له ويتمنون له الشفاء التام . وقد اتخذ عمال مصنع « غوزناك » الاول (بموسكو) قرارا جاء فيه : « يعطى فلاديمير ايليتش اجازة لمدة ثلاثة اشهر ويطلب منه ان ينفذ عاجلا اوامر الاطباء حتى يستعيد قواه لمصلحة الكادحين » .

وكتب له فلاحو ناحية موتشكاب من قضاء بوريسوغليبسك في حاكمية تامبوف : « معلمنا ورفيقنا المحبوب ! نحن ، مندوبي مؤتمر الناحية ، نبعث لك باسم ١٥٠٠٠ فلاح تمنياتنا لك بالشفاء العاجل التام . ان ابناء ناحيتنا يسألوننا متى ستعود الى توقيع المراسيم المتعلقة برفاهيتنا . اننا . . . نرجوك ألا تغادر الفراش قبل الاوان ونتمنى لك الراحة التامة والشفاء » .

عاد لينين الى العمل في اكتوبر (تشرين الاول) وترأس جلسات مجلس مفوضي الشعب واشترك في عمل اللجنة المركزية للحزب والقى الخطب .

وفي المؤتمر الرابع للكومنترن القى في ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢ تقرير « السنوات الخمس من

الثورة في روسيا وآفاق الثورة العالمية » . وحدث مندوبي المؤتمر عما توصلت اليه السلطة السوفييتية على اساس السياسة الاقتصادية الجديدة وقال ان الجمهورية السوفييتية قد حققت نهوضا اقتصاديا عاما على اساس « النيب » بفضل الحزب الشيوعي وعمل الجماهير الشعبية البطولي ، وان النظام المالي قد توطد ، والتجارة قد انتظمت ، واقتصاد الفلاحين قد قوي ، وان خطوة الى امام قد تحققت في اعادة الصناعة الخفيفة ، وان انعطافا معينا قد لوحظ في حالة الصناعة الثقيلة ، وان اوضاع العمال قد تحسنت ، وان هناك انجازات في البناء الثقافي . واشار لينين الى ان الفضل في هذه النجاحات يعود الى السياسة الصحيحة التي ينهجها الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية .

وختم خطابه بدعوة مندوبي المؤتمر الى اقتباس تجربة الحزب البلشفي ودروس الثورة الروسية بتفكير وروية لا بتحجر وجمود .

وفي ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) القى خطابا في جتماع سوفييت موسكو ، وصف فيه حالة البلاد بعد حق الحرس الابيض والمتدخلين واشار الى المهمات قائمة امام الشعب والى طرق ووسائل تنفيذها ودعا الى سير الاقتصاد بحساب . واكد بقوة خاصة على دور

الحزب في تشييد المجتمع الاشتراكي . واعرب عن ثقته الراسخة بان « روسيا الاشتراكية ستطلع من روسيا النيب » . وكان هذا آخر خطاب له .

وكان لينين يعير اهتماما كبيرا لتدعيم الصداقة بين الشعوب ، ويناضل دائما ضد الاضطهاد القومي وعدم المساواة المفيدين كثيرا للمستغلين . وبعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى عني لينين بلا كلل بتطوير الجمهوريات القوميه ورأى في الصداقة بين الشعوب اساسا لمتانة الدولة السوفييتية . وطرح مهمة توحيد الجمهوريات السوفييتية في دولة اتحادية واحدة .

ولكن كيف توحد ، وعلى اي اسس ؟ لحل هذه المسألة شكلت لجنة برئاسة ستالين الذي اقترح ان تدخل الجمهوريات المستقلة : اوكرانيا وبيلوروسيا وجورجيا وغيرها ، في جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفييتية بحقوق الجمهوريات ذات الحكم الذاتي .

عارض لينين هذا الاقتراح بشدة وكتب رسالتين الى اعضاء المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) « بصدد تشكيل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » و« حول مسألة القوميات او « الحكم الذاتي » » ، وفيهما عرض اسس توحيد الجمهوريات وهي : انشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية

السوفييتية ـ الاتحاد الطوعي للامم المتكافئة والمستقلة ، المبني على مبادئ الاممية البروليتارية . وكانت تلك دولة جديدة متعددة القوميات لم يشهد التاريخ لها مثيلا من قبل ، مبنية على اساس الصداقة بين الشعوب .

واتخذ المؤتمر الاول لسوفييتات الاتحاد (في ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٢٢) قرارا بانشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . وانتخب لينين رئيسا لمجلس مفوضي الشعب فيه .

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٢ اصابت لينين نوبة مرض قوية جديدة . وفي يناير (كانون الثاني) ـ فبراير (شباط) ١٩٢٣ تحسنت حالته قليلا . وفي هذه الاثناء املى مقالاته الاخيرة الشهيرة : « رسالة الى المؤتمر » ، « اوراق من دفتر مذكرات » ، « حول التعاون » ، « حول ثورتنا » ، « كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي » ، « من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن » .

ان الارادة التي لا تلين ، ووعي المسؤولية ، والعناية بمستقبل الوطن وبتطوير بلاد السوفييتات ، كانت تبعث في لينين القوة على تذليل آلام المرض وتحقيق ما كان يبدو خارجا عن نطاق امكانيات البشر ، وهو تأليف عدد كامل من المؤلفات الرائعة في مدة لا تتجاوز الشهر ونصف الشهر ، بالرغم من المرض الشديد .

ان اهمية رسائل ومقالات لينين الاخيرة لا تقدر . فهي متصلة اتصالا وثيقا فيما بينها وتشكل في الحقيقة عملا واحدا طور فيه لينين الاستنتاجات والاحكام الواردة في مؤلفاته وخطبه السابقة وانجز وضع الخطة العظيمة لبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي وعرض في شكل معمم برنامج التحويل الاشتراكي لروسيا في ضوء الآفاق العامة لحركة التحرر العالمية .

كان لينين يرى ان لدى روسيا كل ما هو ضروري وكاف لتحقيق بناء الاشتراكية وقال ان المهمة الرئيسية هي اعادة وتطوير الصناعة وخصوصا الثقيلة ، وتصفية التأخر التكنيكي الاقتصادي ، والارتفاع الى مصاف بلدان العالم الطليعية . ومن الضروري لذلك تطوير الصناعة الكبيرة وتصنيع كل البلاد وكهربتها ورفع انتاجية العمل .

وكان يرى من الضروري لتحقيق بناء الاشتراكية تدعيم تحالف الطبقة العاملة والفلاحين وان على الطبقة العاملة ان تقود الفلاحين وتشركهم في البناء الاشتراكي وتساعدهم في اعادة تنظيم اقتصادهم الصغير المبعثر الفردي وجعله اقتصادا كبيرا ممكننا جماعيا ، وان الطريق الوحيد لاشراك الفلاحين في البناء الاشتراكي هو العمل التعاوني ففيه يمكن توحيد مصلحة الفلاحين

الفردية مع المصالح العامة للدولة والمجتمع كله . وفي تنظيم التعاون يجب على الدولة السوفييتية ان تساعد الفلاحين في تموينهم بالجرارات وغيرها من الماكنات الزراعية . وكان لينين في سنة ۱۹۱۹ ، في تقريره عن العمل في القرية ، الذي القاه على المؤتمر الثامن للحزب، يقول انه لو استطعنا اعطاء أهل القرية مئة الف جرار من النخب الاول وتزويدهم بسواقي الجرارات ، لاصبح الفلاحون الى جانب الشيوعية .

وكان لينين يربط تحقيق بناء الاشتراكية بتحقيق الثورة الثقافية ، ويقترح عدم الضن بالاموال على التعليم العام ، ويطرح على الحزب مهمة القضاء باسرع ما يمكن على الامية وتوسيع شبكة المدارس الابتدائية والثانوية والمتخصصة والعالية وتطوير جميع ميادين العلم وخلق فئة من المثقفين جديدة ، شعبية .

كان لينين يقول ان الدولة البروليتارية هي الاداة الاساسية لتحقيق بناء الاشتراكية . لقد هدم الحكم السوفييتي جهاز الدولة القديم وانشأ جهازا جديدا سوفييتيا واشرك الجماهير الكادحة على نطاق واسع في عمله . وكان ذلك انجازا تاريخيا عظيما . ولكن بعض حلقات الجهاز اساءت العمل في البداية ، لعدم توفر خبرة العمل الحكومي عند الكادرات السوفييتية الناشئة .

وكان لينين يعلم الجماهير باصرار ادارة الدولة والتمكن من ناصية تسيير الامور . وكان يناضل بحزم ضد البيروقراطية وضد عدم الاكتراث بحاجات ومصالح الكادحين وضد الشكلية . وكان يضرب بنفسه المثل في التنظيم . فقد كانت جلسات مجلس مفوضي الشعب تجري برئاسته في جو من الجد دائما ولم يكن يتخلف عن الحضور دقيقة واحدة . وكانت تعطى للمتكلمين مدة كلام لا تتجاوز ٣ ـ ٥ دقائق وكان لينين يطالب مقدمي التقارير وسائر المتكلمين بوقائع دقيقة محققة وارقام واقتراحات واضحة . ولم يكن يطيق العبارات والاقوال العامة والتبليغات غير المحددة وغير الدقيقة . وكان يعير سمعه لاقوال ممثلي المناطق ولرأى العاملين العاديين ، ويعيّن الناس الجدد بطيبة خاطر في اللجان ويعهد اليهم بمهمات خاصة .

وكان يقدر ويشجع الجماعية في العمل ويعتبر من غير الصحيح تقرير المسائل الهامة فرديا بدون بحثها في لجنة الحزب المركزية او مجلس مفوضي الشعب ، ويعمل دائما لبحث المسألة من جميع نواحيها وتقريرها جماعيا . كان يعتبر الجماعية اهم مبدأ لقيادة الحزب والدولة .

ولم تحدث مخالفة لهذا المبدأ اطلاقا في اثناء حياة لينين . حتى في سنوات الحرب الاهلية ، عندما كان عقد المؤتمرات صعبا للغاية ، كانت تعقد كل سنة : فالمؤتمر السابع عقد سنة ١٩١٨ ، والثامن سنة ١٩١٩ ، والتاسع سنة ١٩٢٠ ، والعاشر سنة ١٩٢١ ، والحادي عشر سنة ١٩٢٢ . اما المؤتمر الثاني عشر الذي عقد سنة ١٩٢٣ فلم يحضره لينين بسبب المرض ولكن المؤتمر كان يسترشد بتعليماته .

وفي الوقت نفسه كان لينين يبيّن ان جماعية القيادة لا تنفي مسؤولية الفرد القاسية عن العمل الموكول اليه بل تفترض هذه المسؤولية . وكان يطالب جميع العاملين في السوفييتات والحزب بالمبادرة والمسؤولية الفردية القاسية والتحقق الدقيق من تنفيذ قوانين وقرارات السلطة السوفييتية والتحقق مما ينتج عمليا ، حسب تعبيره المحبوب . وكان يطالب الشيوعيين خصوصا بمطالب عالية . قال اكثر من مرة : انكم ممثلو حزب البلاشفة وسيكوّن الشعب رأيه في كل الحزب على اساس سلوككم . وهذا ما يلزمكم في كل مكان وكل شيء بان تكونوا القدوة المثلى . وقال ان اعضاء الحزب ليست لهم اية افضليات وامتيازات على سائر الكادحين ، بل عليهم فقط التزامات اعلى .

ومع تعريته بحدة وعمق للنواقص الموجودة في عمل الدوائر السوفييتية كان يطالب باستئصال رواسب الماضي في حزم وبازالة كل آثار الافراط من الجهاز ، ويسعى لتبسيط الجهاز وترخيصه وتقليصه ، ويعلم الناس النظر بطريقة جديدة ، بطريقة اشتراكية ، الى العمل والواجبات والتقيد بالقوانين السوفييتية بدقة . وكان يناضل ضد الرشوة ، تراث القيصرية اللاعين كما كان يسميها . واقترح في مايو (ايار) سنة ١٩١٨ على د . ا . كورسكي مفوض الشعب للعدل ان يعد قانونا بالمعاقبة الصارمة على الرشوة .

ومع مطالبته العاملين في السوفييتات والحزب بالتزام اشد الانضباط كان هو نفسه نموذجا في الانضباط ، يعتبر تنفيذ ما يقرره الحزب قانونا ملزما له ويطالب الآخرين بهذا . كان يقول ان من يخالف الانضباط الحزبي يساعد اعداء الحزب .

وكان يقول ان القوانين والقواعد السوفييتية للحياة الاشتراكية الزامية للجميع ولا يسمح بان تخالف هذه القواعد من اجل اي شخص كان . ففي مايو (ايار) ١٩١٨ اعلن لوما شديدا لمدير شؤون مجلس مفوضي الشعب لكونه رفع له مرتبه من تلقاء ذاته

وقد احتاج مرة الى بعض الكتب من مكتبة رومیانتسیف (مكتبة لينين حاليا) فرجا ارسالها له مستدركا انه اذا

كانت الاصول لا تسمح باخراج هذه الكتب من المكتبة فلتعط له لمدة ليلة واحدة عندما تكون المكتبة مغلقة وسيرجعها صباحا .

كان لينين يتحلى بصفات بشرية رائعة : التواضع والبساطة والمعاملة الطيبة . كان لا يطيق المديح والثناء على شخصه . فعندما بلغ السن الخمسين قرر شيوعيو موسكو الاحتفال بعيد زعيمهم . فماذا كان موقفه ؟ لقد اصغى الى بعض الخطباء ثم رفض الاستمرار في سماع الكلام المزجى له وحذر الشيوعيين في خطابه من خطر التكبر واهاب بالحزب ان يركز اهتمامه على المهمات المعلقة .

وكان لا يعرف الهوادة مع اعداء الاشتراكية ، وكان مبدئيا ومتشددا ووقف موقفا صارما ممن يخالف انضباط الحزب والدولة او من يتهامل في عمله . وقال : يجب ان يعرف المرء كيف يصحح خطأه وان عشر مرات ولكن شرط ان يتوصل مهما كانت الصعوبات الى اداء المهمة المطلوبة منه .

وكان يعنى عناية كبيرة برسائل وشكاوى الكادحين ويعلم هذا لعاملي الجهاز السوفييتي كله . وكان يطلب اطلاعه على كل الشكاوى الكتابية الواردة الى مجلس مفوضي الشعب في ظرف ٢٤ ساعة وفي ظرف ٤٨ ساعة

على الشكاوى الشفاهية ، ويطالب بالتحقق الدقيق من تنفيذ المقررات المتعلقة بالشكاوى .

وقد ابان في مقالاته الاخيرة مرة بعد مرة ان من الضروري السير على سياسة خارجية سلمية والنضال بثبات في سبيل السلام ومن اجل اقامة العلاقات العملية مع البلدان الرأسمالية ومن اجل التباري الاقتصادي بين نظامي الاشتراكية والرأسمالية . وفي الوقت نفسه كان يعلم الناس ان يكونوا دائما على حذر وان يدعموا الدفاع عن البلاد وان يحافظوا على الجيش الاحمر بكل عناية . وكان يؤمن ايمانا لا يتزعزع بان الاشتراكية ، بوصفها النظام الاكثر تقدمية ، ستنتصر في نهاية المطاف في جميع البلدان .

ومن آثار لينين الاخيرة « رسالة الى المؤتمر » . وقد تليت على الوفود في المؤتمر الثالث عشر للحزب في مايو (ايار) ١٩٢٤ . وفيها اكد من جديد على ضرورة حفظ وحدة الحزب واعتبر تلاحم وثبات اللجنة المركزية اهم شرط لوحدة الحزب . واقترح في « رسالة الى المؤتمر » زيادة عدد اعضاء اللجنة المركزية الى بضع عشرات وحتى الى مئة شخص . وقال ان هذا التدبير ضروري لزيادة هيبة اللجنة المركزية كهيئة جماعية و« للحيلولة دون ان تصبح خلافات اجزاء صغيرة من اللجنة المركزية ذات

اهمية زائدة عن الحد بالنسبة لجميع مقدرات الحزب » .

عارض تروتسكي مشروع لينين لتدعيم لجنة الحزب المركزية وزيادة عدد اعضائها ، ولكنه لقي الصد من اللجنة المركزية .

وبحث لينين في الرسالة مسألة ثبات الحزب من ناحية الصفات الشخصية لعدد من اعضاء اللجنة المركزية وذكر الصفات المميزة لكل من زينوفييف وكامينيف وتروتسكي وبوخارين وبياتاكوف وستالين .

وقال ان سلوك كامينيف وزينوفييف المتخاذل قبل ثورة اكتوبر لم يكن شيئا عرضيا . وذكّر بعدم بلشفية تروتسكي ونضاله ضد اللجنة المركزية ووصفه بانه رجل مغرور بنفسه وميال الى الوسائل الادارية اكثر من اللازم .

ووصف لينين في هذه الرسالة ستالين وابدى تخوفه من ان يعجز ، بعد ان تتركز في يديه سلطة كبيرة ، من استخدامها بما يكفي من التأني والحذر بسبب عيوبه الشخصية الكبيرة وهي الفظاظة والتقلب وفراغ الصبر وعدم الاهتمام بالرفاق وعدم الولاء وقلة الادب . واقترح على المؤتمر ان يفكر في عزل ستالين عن منصب السكرتير العام للجنة المركزية معتبرا ان من الواجب ان يكون في هذا المنصب رجل « يمتاز من جميع النواحي الاخرى عن الرفيق ستالين بمزية واحدة فقط ، هي ان يكون اكثر تسامحا ، واكثر

ولاء ، واوفر لطفا ، واشد انتباها للرفاق ، واقل تقلبا في لاهواء ، الخ . . » .

لماذا لم يعزل المؤتمر الثالث عشر للحزب ستالين ؟ لقد اخذ المؤتمر بعين الاعتبار نضال ستالين الذي لا هوادة فيه ضد التروتسكية ودفاعه عن خطة الحزب اللينينية فتركه في منصب الامين العام للجنة الحزب المركزية .

في بداية مارس (آذار) ١٩٢٣ ساءت صحة لينين كثيرا . وانتقل مرة اخرى الى غوركي في مايو (ايار) . وراح الحزب والعمال والفلاحون يتتبعون بقلق حالة زعيمهم الصحية . وفي اواسط الصيف طرأ بعض التحسن فجاء في ١٨ و ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) الى موسكو . تقول كروبسكايا في مذكراتها: « . . . توجه ذات يوم الى الكراج وركب السيارة واصر على الذهاب الى موسكو. وهناك مر بكل الغرف ودخل مكتبه ومر على مقر مجلس مفوضي الشعب ثم ابدى رغبته في التجوال في المدينة ومر من امام المعرض الزراعي . واخذ دفاتره واختار ثلاثة مجلدات لغوغول واخذها معه . . . وفي اليوم التالي راح يستعجل العودة الى غوركي » .

وفي بداية نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٣ زاره وهو في غوركي وفد من عمال مصنع غلوخوف جلب معه ١٨

شجرة كرز . وقيد الوفد الى قاعة الاستقبال ، وفتح الباب ودخل لينين مبتسما واقترب من العمال وسلم عليهم جميعا . وبعد خمس دقائق استأذنه المندوبون بالانصراف وقبلوه ، وكان آخر من ودعه العامل كوزنتسوف البالغ من عمره ستين سنة . وظلا دقيقتين متعانقين والشيخ كوزنتسوف يردد دامع العينين :

— انا عامل حداد يا فلاديمير ايليتش ، انا حداد ، ولسوف نصنع كل ما رسمت انت خطوطه .

ولما بقي لينين وحيدا ظل حتى ساعة متأخرة من الليل وهو يقرأ مرة بعد مرة رسالة عمال غلوخوف . وكان ذلك آخر لقاء له مع العمال .

ففي ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٤ ، في الساعة السادسة والدقيقة الخمسين مساء ، توفي لينين بنزيف في الدماغ .

وفي ليلة ٢١ الى ٢٢ يناير (كانون الثاني) اجتمعت اللجنة المركزية للحزب واصدرت نداء الى الشعب جاء فيه : « مات الرجل الذي نصب حزبنا بيد حازمة تحت قيادته ، ووسط دخان البارود ، راية اكتوبر الحمراء في كل انحاء البلاد ، وكسح مقاومة الاعداء واقام دعائم دولة الكادحين في روسيا القيصرية السابقة . مات مؤسس الاممية الشيوعية ، زعيم الشيوعية العالمية ، محبة ومفخرة

البروليتاريا العالمية ، راية الشرق المقهور ، رئيس ديكتاتورية العمال في روسيا » .

انتشر النبأ الفاجع بسرعة في جميع انحاء البلاد وفي العالم كله . وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) ابلغ كالينين رئيس اللجنة التنفيذية المركزية بموت لينين مندوبي المؤتمر الحادي عشر لسوفييتات عموم روسيا ، الذي كان منعقدا في تلك الايام .

نقل جثمان لينين من غوركي الى موسكو في ٢٣ يناير (كانون الثاني) ووضع في قاعة الاعمدة بدار النقابات . وبالرغم من الصقيع القارس ظل مئات الالوف من العمال والفلاحين ورجال الجيش الاحمر والمستخدمين ووفود الكادحين من جميع انحاء الاتحاد السوفييتي ، كبارا واطفالا ، في مدى اربعة ايام بلياليها ، يمرون بقاعة الاعمدة ليودعوا لينين العظيم . لقد كان حزن الشعب لا حد له .

وفي ٢٦ منه عقدت في مسرح البلشوي جلسة للمؤتمر الثاني لسوفييتات الاتحاد السوفييتي، مكرسة لذكرى زعيم الكادحين ومعلمهم الكبير . وكان كالينين رئيس اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي اول المتكلمين وقال ان الحكومة السوفييتية ستسير بلا انحراف على ارشادات لينين في كل سياستها ، الداخلية والخارجية

على السواء . وتكلمت ن . ك . كروبسكايا وختمت كلمتها بدعوة جميع الكادحين في البلاد وجميع فقراء العالم الى التلاحم والانضواء تحت راية لينين ، تحت راية الشيوعية .

وتكلم في المؤتمر ايضا كل من ستالين وتسيتكين وناريمانوف وغيرهم . وتكلم عن عمال مصنع « كراسني بوتيلوفيتس » آ . ن . سرغييف وعن الفلاحين اللاحزبيين آ . ب . كرايوشكين وعن الجيش الاحمر ك . ي . فوروشيلوف وعن الشباب ب . ا . سموردين وعن العلماء الاكاديمي س . ف . اولدينبورغ .

واتخذ المؤتمر قرارا بتخليد ذكرى لينين ووجه نداء الى البشرية الكادحة وقال ان خير تخليد لذكرى لينين نشر مؤلفاته التي تحمل افكار الشيوعية في العالم كله نشرا واسع النطاق .

وتلبية لرجاء عمال بتروغراد اتخذ المؤتمر قرارا بتسمية بتروغراد باسم لينينغراد .

وفي ٢٧ يناير (كانون الثاني) في الساعة الرابعة بعد الظهر شيع جثمان لينين ووضع في ضريح شيد خصوصا لهذا في الساحة الحمراء .

لقد ودع الشعب السوفييتي زعيمه بحزن عميق . واعلنت البروليتاريا العالمية توقيف جميع الاعمال لمدة

خمس دقائق . فتوقفت السيارات والقطارات وانقطع العمل في المصانع ، وهكذا شيع الكادحون في العالم كله زعيمهم الراحل ، اباهم ومعلمهم وخير اصدقائهم والمدافعين عنهم — فلاديمير ايليتش لينين .

كانت وفاة لينين خسارة بالغة للحزب والطبقة العاملة في البلاد السوفييتية ولكل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية . وللتعويض عن هذه الخسارة العظيمة زاد الحزب التفافا حول اللجنة المركزية والتفت الطبقة العاملة والجماهير الكادحة حول حزب لينين . وصرح عشرات الالوف من العمال اللاحزبيين برغبتهم في الانتساب لحزب لينين . ووجهت اللجنة المركزية للحزب نداء لينينيا الى العمال الصناعيين داعية اياهم للانتساب الى الحزب . ولم تمض بضعة اسابيع حتى انتسب اكثر من ٢٤٠ الف عامل للحزب استجابة لهذا النداء اللينيني .

واتباعا بلا انحراف لوصايا لينين وحفاظا على الوفاء لتعاليمه اخذ الحزب الشيوعي الذي انشأه وقوّاه بيد الشعب السوفييتي في الطريق الذي اشار اليه لينين العظيم .

انتصار الافكار العظيمة للينينية

ترك فلاديمير ايليتش لينين للحزب الشيوعي السوفييتي وللحركة الشيوعية العالمية تعاليم ثورية عظيمة هي اللينينية التي تشكل معينا لا ينضب للفكر الثوري والعمل الثوري .

فقد كتب لينين في ثلاثين سنة من نشاطه السياسي مئات الكتب والكتيبات والوف المقالات والرسائل والقى عددا عظيما من الخطب في مؤتمرات الحزب ومجالسه العامة وفي اجتماعات الكادحين . وصدرت مؤلفات لينين في العهد السوفييتي بعدد ضخم من النسخ في مؤلفات كاملة ومنتخبات ومطبوعات مستقلة . وفي سنة ١٩٦٥ تم طبع المؤلفات الكاملة للينين في ٥٥ مجلدا وهي كنز بكل معنى الكلمة لافكار اللينينية العظيمة يحتوي على زهاء ٩ آلاف اثر لينيني . وانتشرت مؤلفات لينين على نطاق واسع خارج الاتحاد السوفييتي . وقد صدرت بـ ١٢٠ لغة من لغات شعوب العالم .

شكلت آثار لينين مرحلة جديدة ، هي المرحلة اللينينية ، في تطور الماركسية في الحقبة التاريخية التي بدأت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، وهي حقبة انهيار الرأسمالية وقيام وانتصار الاشتراكية والشيوعية . لقد طور لينين الماركسية تطويرا خلاقا بكل

اجزائها من الفلسفة والاقتصاد السياسي ونظرية الشيوعية العلمية واغناها باستنتاجات واحكام جديدة . ولهذا فان محاولات الايديولوجيين البرجوازيين والمحرفين للتفريق بين الاينينية والماركسية هي محاولات متهافتة لا تقوم على اساس ، فالاينينية هي الماركسية ذاتها التي طورها لينين من جميع النواحي . ليس ولا يمكن ان تكون في الظروف الراهنة ماركسية تخلو من ذلك القسط العظيم الذي اسهم به لينين . ان المفهوم اللينيني للماركسية هو وحده يتفق مع مضمونها الحقيقي ومع روحها الثورية .

ليست هناك مسألة من مسائل الماركسية لم يطورها لينين في آثاره. وقد وضع لينين نظرية الحزب البروليتاري ذي الطراز الجديد وطور النظرية الماركسية للثورة الاشتراكية ونظرية الدولة وديكتاتورية البروليتاريا والمسألة الزراعية ومسألة القوميات وطرق بناء الاشتراكية والشيوعية وقوانين الحركة الشيوعية .

ان خصوم اللينينية المحرفين ، في محاولتهم لضرب الاهمية الدولية للينينية ، يسعون الى حصرها بالاطر الاقليمية . ويزعمون ان الاينينية هي ظاهرة روسية صرفة ما كان لها ان تظهر وتنتشر الا في الواقع الروسي . ولكن الحياة تكذب هذا التخرص الكاذب . فاللينينية تصلح لكل البلدان ولها اهمية دولية عامة . وليست هناك ولا

يمكن ان تكون هناك ماركسية - لينينية اوربية او آسيوية او افريقية او « خاصة بقوم ما » عموما . ان التعاليم الماركسية - اللينينية واحدة ولا تتجزأ .

ومن اهم صفات الماركسية - اللينينية صلتها التي لا تنفصم مع الحياة والتطبيق العملي. ليست الماركسية - الاينينية تعاليم متحجرة بل هي في تطور دائم . وقد علمنا لينين ألا نحفظ عن ظهر قلب هذه او تلك من احكام الماركسية وألا نفصلها من التطبيق العملي بل ان نطورها تطويرا خلاقا وان نستخدمها بحسب الظروف التاريخية . قال : « ان الماركسية هي ان تعرف كيف تحدد السياسة التي يجب انتهاجها في هذه الظروف او تلك » .

ان الماركسية - اللينينية هي النظرية الوحيدة لتطور المجتمع البشري ، التي ثبتت لجميع امتحانات الزمن . فقد عرف التاريخ غير قليل من التعاليم السياسية التي حاولت تفسير مغزى الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بالمستقبل ولكنها جميعا اثبتت عدم صلاحها . اما الماركسية - اللينينية فهي وحدها التي تؤكدها الحياة على الدوام والتي تكسب الحظوة في جميع بلدان العالم وفي فئات من المجتمع متزايدة الاتساع . ان افكار الماركسية - اللينينية تحيا وتنتصر في التحويلات الهائلة التي يحققها الشعب السوفييتي بقيادة حزب لينين . ان افكار الماركسية -

اللينينية تحيا وتنتصر في انجازات شعوب البلدان الاشتراكية ، في نجاحات الحركة الشيوعية العالمية والطبقة العاملة العالمية وقوى التحرر الوطني .

ما سبب هذه الحيوية التي تتصف بها تعاليم ماركس وانجلس ولينين ؟ سببها انها تعبر عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة ، الطبقة الاكثر ثورية ، وتقدم الاجوبة الصحيحة على المسائل الجذرية لحياة ونضال جميع الكادحين والشعوب المقهورة . وتعود قوة واهمية تعاليم الماركسية ـ اللينينية التي لا تقهر الى كونها نظرية علمية تعكس بشكل صحيح سير التطور الاجتماعي وتسمح لا باعطاء التقديرات الصحيحة للماضي والحاضر وحسب بل باستشفاف المستقبل ايضا . قال لينين ان تعاليم الماركسية لا تقهر لانها صحيحة .

ان الماركسية ـ اللينينية هي راية فكرية عظيمة توحّد شيوعيي جميع البلدان وترص صفوفهم في النضال من اجل السلم والدمقراطية ومن اجل انتصار الاشتراكية والشيوعية . ان الماركسية ـ اللينينية تعاليم اممية تنير طريق نضال الكادحين في العالم كله .

ان كادحي وطننا ، بقيادة حزب لينين ، اجتازوا وهم يحققون وصايا لينين ، في ٥٠ سنة مرت على ايام ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ، طريقا عظيما ومجيدا

واحرزوا نجاحات ذات اهمية تاريخية عالمية . وبعد ان كانت روسيا القيصرية بلادا متأخرة اصبح الاتحاد السوفييتي دولة اشتراكية قوية ومن اكبر دول العالم الصناعية . يقف الاتحاد السوفييتي الآن في المرتبة الاولى في اوربا وفي والمرتبة الثانية في العالم من حيث حجم الانتاج الصناعي . وان تحول بلادنا الى دولة اشتراكية جبارة ذات صناعة طليعية هو اعظم مأثرة وانتصار للطبقة العاملة ولكل شعبنا وانتصار لبرنامج لينين الخاص بالتصنيع الاشتراكي .

ولقد تحققت في البلاد السوفييتية وصايا لينين بصدد بناء الزراعة على أسس اشتراكية وتحققت خطة لينين التعاونية . فتحولت الزراعة من اقتصاد متخلف صغير مجزأ الى اقتصاد اشتراكي ضخم ممكنن . وكان نشر التعاونيات احد اهم الاجزاء المكونة لبناء الاشتراكية . ومن الفلاح صاحب الملك الخاص انشأ الحزب فلاحا جماعيا يماشي الطبقة العاملة الباسلة . وعلى اساس وحدة مصالح الكادحين الجذرية قوى تحالف الطبقة العاملة والفلاحين الذي نشأ في النضال المشترك من اجل تحقيق بناء الاشتراكية والشيوعية . وهذا يدل على رسوخ وحدة شعبنا الاجتماعية والسياسية والفكرية . فقد ساهم عمال موسكو ولينينغراد والاورال وحوض الدونيتز بعملهم وارادتهم

وطاقتهم في اعادة تنظيم القرية تنظيما اشتراكيا . كانوا يذهبون الى القرية ويساعدون في ترتيب امور الاقتصاد الجديد الجماعي ويحملون الى القرية افكار الحزب الشيوعي ويطبقون سياسته .

وانجزت في الاتحاد السوفييتي ، في مدة وجيزة للغاية ، الثورة الثقافية . فقبل ثورة اكتوبر كان اكثر من ثلاثة ارباع السكان في بلادنا اميين . اما الآن فبلادنا ذات سكان متعلمين جميعا وثقافة عالية . ولولا هذا لما كان من الممكن تحول البلاد الاشتراكي . وتحققت نبوءة لينين العبقرية بان العقل البشري والعلم والتكنيك سيخدم الشعب لاول مرة في التاريخ ولا يمكن ان يكون موجها ضد الكادحين في ظل الاشتراكية والشيوعية . واسترشد الحزب بارشادات لينين القائلة بان الثقافة الاشتراكية لا يمكن انشاؤها الا عن طريق استيعاب منجزات الماضي وكل قيم الثقافة العالمية ومعالجتها بروح انتقادية على اساس افكار الشيوعية العلمية وتذليل الايديولوجية الرجعية للطبقات المستغلة . وانشئت في اثناء الثورة الثقافية ثقافة اشتراكية ، شعبية حقا . وكان تكوين الوعي الشيوعي عند ملايين الكادحين اعظم انجاز للثورة الثقافية .

ويعتز الوطن السوفييتي اعتزازا مشروعا باكتشافات وانجازات علمائه العظيمة . وكان انشاء اولى التوابع

الصناعية في العالم للارض والقمر واطلاقها بنجاح نصرا باهرا للعلماء السوفييتيين وكل الشعب . وان ما حققه السوفييتيون لاول مرة من تحليقات فضائية وخروج الى الفضاء الكوني مباشرة وطيران وانزال محطة اوتوماتيكية في كوكب الزهرة والالتحام الاوتوماتيكي للاجهزة الكونية على المدار يؤكد مرة اخرى رجولة وبطولة وعظمة روح شعبنا وعلو مستوى العلم والتكنيك في الدولة الاشتراكية .

وتحققت في بلادنا افكار لينين ايضا في مسألة القوميات. فلاول مرة في تاريخ المجتمع انشئت في الاتحاد السوفييتي دولة متعددة القوميات مبنية على الاتحاد الطوعي لجميع الامم وعلى مساواتها التامة في الحقوق . ويرفع الحزب اللينيني باستمرار مستوى اقتصاد وثقافة جميع الشعوب ويقوي الصداقة بينها ويناضل ضد رواسب الشوفينية والتعصب القومي . وان الصداقة الاخوية بين شعوب بلادنا ، هذه الصداقة المتزايدة قوة من سنة الى اخرى ، هي انتصار لافكار الاممية البروليتارية الاشتراكية وهي ينبوع لا ينضب لقوة دولتنا .

وارتفع في العهد السوفييتي الى ما لا يقاس مستوى كادحي بلادنا المادي والثقافي . « كل شيء من اجل الانسان ، ولما فيه خير الانسان » ، ـ هذا هو الشعار الذي نادى به برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي .

ويملك كادحو الاتحاد السوفييتي الحق في العمل والراحة والتعلم المجاني والخدمات الطبية المجانية والضمان التقاعدي في الشيخوخة . واعطت الاشتراكية شعبنا ما لا وجود له عند كادحي اغنى البلدان الرأسمالية وهو : التحرر من نير الرأسماليين والشعور بالثقة في الغد . ولا يعرف السوفييتيون ولن يعرفوا ابدا ما هو الاستغلال وما هي البطالة .

والاتحاد السوفييتي اول بلد تولت الدولة بنفسها فيه امر العناية بصحة الشعب ، ضامنة لكل المواطنين الخدمات الطبية المجانية .

وضمنت في الاتحاد السوفييتي المساواة التامة السياسية والاقتصادية للنساء. ففي جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية تكدح النساء على قدم المساواة مع الرجال ويقفن في الصفوف الاولى من بناة الشيوعية الابطال .

ولم تغير الاشتراكية جوهر كل نظام بلادنا الاقتصادي فحسب ، بل غيرت ايضا تغييرا جذريا تركيب الطبقات . فالدور القيادي في المجتمع السوفييتي الاشتراكي هو للطبقة العاملة بوصفها اكثر الطبقات تنظيما وطليعية . وتغير الفلاحون تغيرا جذريا فلم يبقوا اولئك الفرديين الصغار بل اصبحوا فلاحين كولخوزيين يعملون في وحدة راسخة مع الطبقة العاملة . ويقوم المثقفون من الشعب المتصلون

اتصالا لا ينفصم بالطبقة العاملة والفلاحين بمهام ابداعية كبيرة .

وكانت دولة ديكتاتورية البروليتاريا الاداة الرئيسية التي بواسطتها هدم كادحو بلادنا العالم القديم وقمعوا مقاومة الطبقات المستغلة وحولوا مصائر بلادهم بحزم . وقد اصبحت هذه الدولة الآن دولة الشعب بأسره والمنظمة السياسية لكل الشعب مع بقاء الدور القيادي للطبقة العاملة . وعندما كان السوفييتيون يبنون الاشتراكية كانوا بذلك لا يقومون فقط بواجبهم امام وطنهم الذي حررته ثورة اكتوبر بل يقومون ايضا بواجبهم الاممي العظيم امام الطبقة العاملة العالمية .

وبعد ان انهى الشعب السوفييتي بناء الاشتراكية بدأ ببناء الشيوعية . وتجلى المحتوى الاساسي لفترة بناء المجتمع الشيوعي ومهماتها في البرنامج الثالث للحزب الشيوعي السوفييتي الذي اتخذ في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب . وقد عمم الحزب التجربة المتوفرة في السنين الاخيرة ورسم في مؤتمره الثالث والعشرين الخطوات الملموسة لسير مجتمعنا اللاحق في طريق الشيوعية .

ان انجاز بناء الاشتراكية، وجميع النجاحات المحرزة في تطور الصناعة والزراعة والعلم والتكنيك ، ونمو رخاء وثقافة الشعب ، ــ ان كل ذلك متصل اتصالا لا ينفصم

بالنشاط الجبار السياسي والفكري والتنظيمي للحزب الشيوعي السوفييتي ولجنته المركزية اللينينية . ففي السنين الخمسين الماضية انجز الحزب عملا لا نظير له من حيث محتواه واهميته التاريخية . ولم تكن ولا توجد مشكلة هامة واحدة لم يبذل الحزب في حلها عصارة عقله وارادته وطاقته التي لا تنضب . لقد اجتاز طريقا عظيما ـ من المجموعات والحلقات الماركسية المبعثرة الى المنظمة الضامّة في صفوفها الملايين ، التي اصبحت قوة قائدة وموجهة للمجتمع السوفييتي .

وفي اثناء حل مسائل البناء الاشتراكي خاض الحزب نضالا لا هوادة فيه ضد التروتسكيين والانتهازيين اليمينيين والانحرافيين القوميين وغيرهم من المجموعات المعارضة التي كانت وجهات نظرها تعكس ضغط الفئات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . وكان التروتسكيون وغيرهم من المعارضين يحاولون صرف الحزب عن الطريق اللينيني منكرين امكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد اولا ، وغير مؤمنين بقوى الطبقة العاملة وبمتانة تحالفها مع الفلاحين . وبعد ان سحق الحزب الاتجاهات والمجموعات المعارضة فكريا وسياسيا دافع عن صفاء الماركسية ـ اللينينية وعن الخط اللينيني العام وقوى وحدة صفوفه وراح يقود الشعب السوفييتي بصلابة وحزم نحو الشيوعية، تحت راية اللينينية.

وتعود اهمية عظيمة الى مقترحات مؤتمر الحزب الثالث والعشرين التي ترمي الى تدعيم الحزب الى حد اكبر من الناحية التنظيمية والفكرية والسياسية والى توسيع الدمقراطية في داخل الحزب والى رفع دور الشيوعيين الطليعي ومسؤوليتهم عن العمل الموكل اليهم والى توسيع وتدعيم صلات المنظمات الحزبية بالجماهير الواسعة . وكل هذا يساعد على النجاح في تنفيذ المهمات العظيمة المعقدة التي رسمها المؤتمر لمدة السنين الخمس الجديدة وفي قيادة بناء الشيوعية في بلادنا .

وللسير بسرعة اكبر نحو الشيوعية يحتاج الشعب السوفييتي الى سلام وطيد . ان جميع الشعوب بحاجة الى السلام . ويدافع الاتحاد السوفييتي عن قضية السلام لا لأنه ضعيف . فقد امتحنت قوته في نار الحرب الاهلية وفي النضال ضد الاعداء الخارجيين والداخليين عندما كان الامبرياليون يحيطون بجمهورية السوفييتات الناشئة من جميع الجهات . واسدى الاتحاد السوفييتي في اثناء الحرب العالمية الثانية قسطا حاسما في قضية هزم الفاشستية الالمانية وانقذ البشرية كلها من خطر الاستعباد الفاشستي . كانت الصناعة الاشتراكية القوية والزراعة الاشتراكية والقوات المسلحة السوفييتية ، التي انشئت بقيادة الحزب وعلى اساس وصايا لينين ، وكذلك بطولة الشعب –

كانت كل هذه هي العوامل الحاسمة التي ضمنت هزيمة الفاشستية الالمانية .

ان مصدر قوة شعوب الاتحاد السوفييتي التي لا تغلب هو كون حزب لينين قد رباها على حب الوطن كل الحب وعلى الاممية البروليتارية . لقد احرز النصر على الفاشستية بثمن كبير : فقد بذل الملايين من ابناء وطنها وبناته حياتهم . ولن تنسى ابدا بطولات السوفييتيين الذين ذبوا في نضال مرير عن شرف الوطن الاشتراكي واستقلاله وحريته . ان مأثرتهم مأثرة خالدة .

ان السياسة الخارجية السوفييتية التي وضع لينين مبادئها الاساسية ، تستهدف توفير انسب الظروف لبناء الشيوعية ، وتدعيم قوة المنظومة الاشتراكية العالمية ، وتأييد الشعوب تأييدا كليا في نضالها من اجل التحرر الوطني والاجتماعي ، وتعزيز السلام ، والحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة ، وتؤكد المبادئ اللينينية للعلاقات الدولية وترد بحزم على القوى العدوانية الامبريالية . ان الاتحاد السوفييتي يقف في طليعة النضال ضد الامبريالية .

لقد تنبأ لينين بان الشعوب المقهورة ستنهض للنضال ضد الامبريالية وستحطم اغلال العبودية الاستعمارية . وها هي نبوءة لينين تتحقق . فشعوب المزيد والمزيد من بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية تسير في طريق

الاستقلال الوطني والتطور الحر . وان نجاحات حركة التحرر الوطني وانهيار الاستعمار مرتبطة ارتباطا وثيقا بثورة اكتوبر الكبرى التي انتشرت افكارها في الكرة الارضية كلها وبمنجزات وانتصارات الاشتراكية العالمية والطبقة العاملة العالمية . وان الاتحاد السوفييتي صديق وفي لجميع الشعوب المناضلة من اجل استقلالها الوطني . ويرحب في حرارة بتحرر الشعوب من النير الاستعماري ويقدم لها العون الودي النزيه في تنمية الصناعة والعلم والثقافة وكذلك العون العسكري في النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد .

لقد اكدت تجربة السنوات الخمسين المنصرمة بعد انتصار ثورة اكتوبر تأكيدا مفحما صحة استنتاج ماركس وانجلس ولينين القائل بحتمية زوال الرأسمالية . فان النظام الرأسمالي يمر بازمة عميقة . وتعجز الامبريالية عن وقف سير التطور التاريخي ، ولا تزال نسبة القوى في الميدان العالمي تتغير لمصلحة الاشتراكية والحركة العمالية وحركة التحرر الوطني . ولم تعد الامبريالية هي التي تحدد الآن وجهة التطور العالمي الرئيسية وانما الاشتراكية هي التي تفعل ذلك .

برهن لينين علميا ان الاشتراكية ستنتصر في العالم كله ، وكان يؤمن ايمانا قويا بان البشرية كلها ، وليس

فقط بلدنا ، ستسير في طريق الشيوعية . قال « اما طريقنا فصحيح لانه الطريق الذي ستنطلق فيه سائر البلدان حتما عاجلا ام آجلا » .

وتتحقق كلمات لينين هذه ايضا. فسير البشرية نحو الاشتراكية يجري بالشكل الذي تنبأ به لينين. فقد انتصرت الاشتراكية في بلادنا وحدها اولا ثم راحت البلدان الاخرى تنفصل عن الرأسمالية . ونشأت المجموعة الاشتراكية العالمية التي تتألف من عدة بلدان يزيد مجموع عدد سكانها على مليار نسمة . وان نشوء النظام الاشتراكي العالمي هو حدث تاريخي بالغ الضخامة بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ، وانجاز للبروليتاريا العالمية بالغ الاهمية . وكان وطن اكتوبر ، الوفي لواجبه الاممي ، كان ولا يزال يقدم التأييد الواسع لشعوب الدول الاشتراكية الشقيقة . وتحت تصرف الاحزاب الشيوعية والعمالية الخبرة الغنية لبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي . ومن جهة اخرى فان تطور مجموعة كاملة من البلدان في الطريق الذي شقته ثورة اكتوبر يساعد في بناء الشيوعية في الاتحاد السوفييتي .

ان تقارب البلدان المنخرطة في طريق الاشتراكية وتلاحمها في الاسرة الاشتراكية، يتفقان مع المصالح الجذرية للشعوب ، فهذا مبني على وحدة نموذج النظام

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلى وحدة الايديولوجية الماركسية - اللينينية وعلى وحدة المهمات في النضال ضد الامبريالية ومن اجل السلام والدمقراطية والاشتراكية . وان فكرة الاممية البروليتارية التي كانت دائما المبدأ الرئيسي للحركة الشيوعية ، تجلت تجليا جديدا ساطعا في التعاون الاقتصادي والسياسي والدفاعي بين الدول الاشتراكية ذات السيادة، التي تقودها الطبقة العاملة واحزابها الماركسية- اللينينية .

وتقف الدولة السوفييتية بحزم في وجه محاولات الامبرياليين لتقويض دعائم الاسرة الاشتراكية وفصل هذا البلد او ذاك عنها كما كان الامر بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا .

وايقنت الاحزاب الشقيقة على اساس التجربة التاريخية انه لا يمكن السير الى امام في طريق الاشتراكية والشيوعية الا بالاسترشاد في صرامة ومثابرة بقوانين بناء المجتمع الاشتراكي العامة وفي الدرجة الاولى تدعيم الدور القيادي للطبقة العاملة وطليعتها الاحزاب الشيوعية . وفي هذا يترتب على كل حزب شقيق ، يحل مسائل التطور الاشتراكي حلا خلاقا ، ان يأخذ بعين الاعتبار خصائص بلده القومية وظروفها الخاصة .

ان الاخلاص بلا تردد للماركسية - اللينينية ، وتربية الجماهير الشعبية بروح افكار الاشتراكية والاممية

البروليتارية ، والنضال بلا هوادة ضد الايديولوجية البرجوازية وضد كل القوى المعادية للاشتراكية ، هو ضمان النجاح في تدعيم مواقع الاشتراكية وفي صد دسائس الامبريالية . وما من شأن التراجع عن الماركسية ـ اللينينية وعن الاممية البروليتارية الا ان يجر وراءه عواقب وخيمة على قضية الاشتراكية وعلى المصالح الوطنية للشعوب. ويدل على هذا بوضوح نهج جماعة ماوتسي تونغ الشوفيني الاستعلائي الذي يضر ضررا هائلا بالحركة الشيوعية العالمية وقضية الاشتراكية في الصين نفسها .

قال لينين ان « . . . تأثيرنا الرئيسي على الثورة العالمية انما نحققه بسياستنا الاقتصادية . . . وقد انتقل النضال الى هذا الصعيد على النطاق العالمي . فاذا نفذنا هذه المهمة نكون قد انتصرنا في النطاق العالمي على وجه التأكيد وبشكل نهائي » . ولقد جاء هذا الوقت . فتأثير المنجزات الاقتصادية والثقافية في بلدان الاشتراكية على سير التاريخ العالمي يتعاظم .

وتحت راية الماركسية ـ اللينينية نمت الحركة الشيوعية العالمية واصبحت الآن قوة هائلة لا تغلب . وهذا دليل ساطع على حيوية تعاليم لينين . لقد نمت الحركة الشيوعية واتسعت وقويت في غمرة النضال ضد الانتهازية في صفوفها وبتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى

وانتصارات الاشتراكية ونجاحات نضال الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية .

وكان لينين يدعو دائما الى تدعيم وحدة الاحزاب الشيوعية والعمالية . قال : « بدون النزوع الطوعي الى التحالف والوحدة من جانب البروليتاريا ، ثم من جانب جميع جماهير الكادحين في جميع البلدان والامم بالعالم كله ، لا يمكن لقضية الانتصار على الرأسمالية ان تنتهي الى النجاح » . وبدافع الافكار اللينينية العظيمة عن تضامن الطبقة العاملة العالمي وعن حتمية انتصار الاشتراكية في العالم كله ، تسير الاحزاب الشيوعية والعمالية في طليعة نضال شعوبها من اجل السلام والدمقراطية والاشتراكية .

ان الحزب الشيوعي السوفييتي هو احدى فصائل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ويربطه بالاحزاب الشقيقة الاخرى الاخلاص الشديد لتعاليم ماركس وانجلس ولينين العظيمة ووحدة الهدف في النضال من اجل المصالح الجذرية للجماهير الكادحة . وعلى مدى خمسين سنة من الزمن ظل الشعب السوفييتي وحزبه الشيوعي يسيران على خط الاممية البروليتارية وينطلقان من مبدأ عدم تجزؤ المهمات الاممية والمهمات الوطنية لبلد الاشتراكية الظافرة . ان الهدف العظيم للشعب السوفييتي – اي بناء الشيوعية – هو في الوقت نفسه قضيته الاممية الرئيسية ايضا .

ويناضل حزبنا بلا كلل ضد كل انحراف الى اليمين والى « اليسار » مطبقا الاستراتيجية والتكتيك اللينينيين ومبادئ الاممية البروليتارية .

ويتقيد الحزب الشيوعي السوفييتي دائما في نشاطه بخط الحركة الشيوعية العالمية العام ، ويراعي كل المراعاة اصول العلاقات بين الاحزاب ، التي وضعت بصورة جماعية ، وهي : التكافؤ التام والاستقلال وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والتآزر والتضامن الاممي . ويلقى نشاط الحزب الشيوعي السوفييتي الرامي الى وحدة الحركة الشيوعية العالمية ، وامميته المتماسكة ، تقديرا ساميا وتأييدا كاملا من اكثرية الاحزاب الشيوعية والعمالية .

ويسير الحزب الشيوعي السوفييتي باستمرار في نشاطه اليومي على هدى الافكار اللينينية الخالدة المحيية ، ويطورها تطويرا خلاقا ويطبقها عمليا . وتسدي الاحزاب الشقيقة قسطها من المساهمة في تراث الماركسية - اللينينية . ان اللينينية هي السلاح الفكري لجميع الاحزاب الشيوعية ولشعوب جميع بلدان العالم .

* * *

لقد انقضت مئة سنة تقريبا على اليوم الذي ولد فيه ، على شاطئ نهر الفولغا الروسي ، في مدينة سيمبيرسك ، في اسرة اوليانوف ، فلاديمير ايليتش ، المواصل العبقري

لتعاليم ماركس وانجلس الثورية ومؤسس الحزب الشيوعي السوفييتي وباني اول دولة اشتراكية في العالم ، وزعيم ومعلم الكادحين في جميع البلدان .

وفي هذه السنين خطت البشرية شوطا بعيدا في حركتها التقدمية . واعظم درب هو الذي اجتازه وطننا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ، التي كان ملهمها ومنظمها فلاديمير ايليتش لينين ، الاسترا تيجي الاعظم والزعيم الحكيم للثورة . وان شعبنا وكل البشرية مدينان بنجاحاتهما الهائلة للينين ، وللحزب العظيم الذي انشأه ،، وللينينية .

وانه لا يحد حب الشعوب للينين العظيم الذي بذل كل قواه وفكره العبقري لقضية النضال من اجل مصالح الكادحين وسعادتهم . ان اسمه غال جدا على الناس في كل انحاء المعمورة . واصبح رمزا للثورات البروليتارية وللاشتراكية والتقدم ، رمزا لتحويل العالم تحويلا شيوعيا . وتؤثر افكار لينين الخالدة تأثيرا متزايدا على كل سير التاريخ العالمي .

وفي خواطر البشرية جمعاء وافئدتها تحيا وستظل تحيا الى الابد صورة لينين الزعيم والمعلم ، الرجل ذي الصفاء الاخلاقي البلوري والتواضع الفائق والبساطة والعزم الثوري الفوار والروح المبدئية المتشددة والتفاني الذي لا حد له

وعدم المهاودة مع المستغلين واعداء الطبقة العاملة والحب الذي ما بعده حب للكادحين .

ان معاصري لينين الذين اسعدتهم الاقدار بان يروه ويعملوا معه ويعرفوه عن كثب ، يقولون بحق ان صفات انسان المجتمع الشيوعي تتجسد في شخصية فلاديمير ايليتش .

ان اسم لينين وقضيته العظيمة وتعاليمه الخالدة ستظل حية على مدى المئات والالوف من السنين .

ان قضية لينين لا تغلب !

محتويات

